بسم الله الرحمن الرحيم

الناشر: مركز العميد الدولي للبحوث و الدراسات / قسم النشر
الاشراف: أ.د. شوقي مصطفى الموسوي
المتابعة و التنفيذ:رضوان عبد الهادي السلامي
الادارة الفنية :حسين فاضل الحلو / ثائر فائق هادي رضا / زين العابدين عادل الوكيل
التصميم:حسين عقيل ابو غريب
عدد النسخ:٢٥٠
رقم الايداع في دار الكتب والوثائق العراقية ٢١٥٧ لسنة ٢٠١٩م
الرمز البريدي للعتبة العباسية المقدسة:٥٦٠٠١
صندوق البريد (ص.ب) :٢٣٢

Tel: +964 760 235 5555 **Mobile:** +964 7602323337
http: //alameed.alkafeel.net
Email: alameed@alkafeel.net

العتبة العباسية المقدسة. مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات ،مؤلف.
وقائع مؤتمر العميد العلمي الرابع. الجزء الأول.-الطبعة الاولى.- كربلاء [العراق] : العتبة العباسية المقدسة، مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، قسم النشر، ١٤٤٠ هـ. = ٢٠١٩.
٢مجلد ؛ ٢٤ سم
يتضمن إرجاعات ببليوجرافية : صفحة ٢٧٩-٢٩٠.
النص باللغة العربية ويضم مستخلصات باللغة العربية والانجليزية.
١. الثقافة العربية--المؤثرات الخارجية.٢. كربلاء (العراق)--الحياة الفكرية. ٣. الحضارة العربية. أ. العنوان.
DS36.82.A2 A8396 2018
DDC : 301.2917492704
مركز الفهرسة ونظم المعلومات التابع لمكتبة ودار مخطوطات العتبة العباسية المقدسة

دار الكفيل
للطباعة والنشر والتوزيع

وقائع مؤتمر

العميد العلمي العالمي الرابع

المنعقد تحت شعار

نلتقي في رحاب العميد لنرتقي

وبعنوان

الأمن الثقافي مفاهيم وتطبيقات

للمدة من ١٤ - ١٥ أيلول ٢٠١٧م

الجزء الأول

اللجنة العلمية

أ.د. تقي عبد الرضا العبدواني/ سلطنة عمان/ كلية الخليج.

د. جميل عبد الله المرّي/ الكويت/ جامعة الكويت.

أ.د. رياض شنته جبر/ العراق/ جامعة ذي قار.

أ.د. سعيد جاسم الزبيدي/ سلطنة عمان/ جامعة نزوى.

أ.د. عادل محمد زيادة/ مصر/ جامعة القاهر.

أ.د. عباس رشيد الدده/ العراق/ جامعة بابل.

أ.د. عبد الحسين المبارك/ العراق/ جامعة البصرة.

أ.د. متعب مناف/ العراق/ جامعة بغداد.

أ.د. مجيد عبد الحليم الماشطة/ العراق/ الجامعة الإسلامية.

أ.د. نائل حنون عليوي/ العراق/ جامعة القادسية.

اللجنة التحضيرية

أ.د. رياض طارق العميدي رئيساً

أ.د. كريم حسين ناصح عضواً

أ.د. سرحان جفات سلمان عضواً

أ.د. عادل نذير بيري عضواً

أ.د. علي كاظم المصلاوي عضواً

أ.د. مشتاق عباس معن عضواً

أ.د. فؤاد طارق العميدي عضواً

أ.م.د. علاء جبر الموسوي عضواً

أ.م.د. شوقي مصطفى الموسوي عضواً

أ.م.د. عامر راجح نصر الربيعي عضواً

أ.م. حيدر غازي الموسوي عضواً

أ.م.د. أحمد صبيح الكعبي عضواً

أ.م.د. نورس محمد شهيد الدهان عضواً

رضوان عبد الهادي عبد الخضر مقرراً

بسم الله الرحمن الرحيم

يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ
وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ
وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ

صدق الله العلي العظيم

المجادلة (١١)

المحتويات

في البدء.....٧

الانفتاحُ الثقافي وأثرهُ على المجتمع الكربلائي(الشباب أُنموذجاً).....٩

الهويَّة والتعدديَّة الثقافيَّة قراءة في ضوء أيدولوجيات الأمن الثقافي النص الروائي العراقي أنموذجا.....٦٥

الأمن الثقافي ومتطلبات تحقيقه.....٨٦

معالم الأمن الثقافي والغزو الثقافي في قصص الأنبياء.....١٠٩

الأمن الثقافي وأبعاده التربوية والتعليمية.....١٣٩

جدلية الأمن الثقافي وهوية الأوطان ... التحدي والاستجابة.....١٦٥

الأمن الثقافي ركيزة أساسية لتحقيق الأمن الإنساني.....١٩٣

الأمن الثقافي في نهج البلاغة قراءة في استراتيجيات وقايته من منظور الإمام علي (عليه السلام) ٢١٥

العولمة أساليبها، وأثرها في تحديد العلاقة مع الآخر وأمنه الثقافي.....٢٤٧

مفهوم الأمن الثقافي في القرآن الكريم دراسة تحليلية.....٢٦٥

الثورة المعلوماتية والامن الثقافي (قراءة سوسيولوجية في منظومة القيم) ٢٨٧

بسم الله الرحمن الرحيم

في البدء...

تحول العالم الى قرية صغيرة جدا بسبب التطور التكنولوجي ، الأمر الذي أدى الى سهولة التبادل المعلومات وما يطرح من أفكار وسهل امر تناقل هذه الأفكار فظهر ما بات يعرف بالثقافة الكونية، ومن هنا كانت مخاوف الشعوب من نشر ثقافات متعدد ومتنوعة بعيدة عن اعرافها الثقافية التي اعتادت عليها، ومن هنا بدأ يطل علينا مفهوم الامن الثقافي ليكون جدارا حصينا يمنع وصول الثقافات غير المرغوب فيها الى تلك الشعوب ويشكل أهمية واضحة في تواجده كمنهج يحمي سيادة البلدان يوازي في مفهومه العام ما بات يعرف بالأمن السياسي والاقتصادي والقومي والغذائي وباتت الحاجة الى نشر هذا المفهوم ملحة وضرورية لرصد ومعالجة الانتشار السريع للمعلومة والحدث بين أوساط الناس . وقد يبدو ان ثمة فارق بين كلمتي المصطلح المشاع (الامن الثقافي) لان مفهوم الامن عادة يسير صوب معنى التستر والانغلاق وعدم الظهور على العكس من مفهوم الثقافة الذي يشير في دلالاته العامة الى الانتشار والظهور وهو ما يتناقض مع مفهوم الامن في دلالاته العامة ، ولكن الرغبة في تحصين المعلومة الثقافية والحفاظ عليها وتصحيح مسار نشرها هو ما دعا الى هذا التلاقح بين اللفظين .الا ان الغاية من هذا المصطلح هي إيجاد التلازم والترابط والتكامل بينهما فالثقافة لا تكتمل صورتها من دون توافر القواعد الامنة لها ومن دون الإجراءات الأمنية الوقائية التي تتخذها السلطات لحماية ثقافة الشعوب والوصول بها الى البقاء وعدم التشويه ، مع الحفاظ على حرية الرأي والرأي الآخر وهو في الوقت نفسه لا يعني غلق اباب امام التبادل الثقافي او التفاعل الإنساني لكنه يعمل على إيجاد هذه الأمور مع الحفاظ على خصوصية تلك الثقافات من التشوية وإيجاد بيئة صالحة الحاضنة لمفهوم التعايش بين الشعوب والابتعاد عن عدم الاستقرار والاختلاف ببين الشعوب بسبب هذا التشويه للمفاهيم . ومن هنا ومن أهمية هذا المفهوم (مفهوم الامن الثقافي) والرغبة في التوعية للشعوب في كيفية الحفاظ على هويتها وحماية ثقافاتها والانتماء والوصول الى الاستقرار بين الشعوب ، وتسهيل تلاقح الأفكار وتعانق الرؤى عمد مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات الى عقد مؤتمره العلمي العالمي الرابع الذي جاء تحت شعار (نلتقي في رحاب العميد لنرتقي) وبعنوان (الامن الثقافي .. مفاهيم وتطبيقات) فكانت هنالك العديد من الابحاث العلمية منها ما هو باللغة العربية ومنها ما هو باللغة الإنكليزية حيث تحدثت هذ الأبحاث عن جوانب مختلفة لظاهرة الامن الثقافي وكيفية وضع المعالجات لها والحلول التي يمكن ان يعمل بها للوقاية من خطر الثقافات المغايرة المشوهة.

وان قسم النشر في المركز يقوم اليوم بنشر هذه الأبحاث في مجلد خاص (وقائع بحوث المؤتمر)، لان مثل تلك المؤتمرات التي تحتضن بين دفتيها أبحاثا خاصة بالأمن الثقافي هي مؤتمرات تحاول ابراز اضرار الغزو الثقافي الذي قد تتعرض له الشعوب بسبب التقانة الحديثة التي سهلت سرعة انتشار المعلومة، وهي تعمل على الحفاظ على وجودنا والحث على التماسك بين افراد الشعب الواحد ، وان مثل هذه المؤتمرات تكون من الأهمية الكبيرة لانها تبين الطرائق التي من خلالها نستطيع ان نتجنب خطر الآخر علينا فالحروب في العالم الحالي لم تعد حروبا تقليدية تقوم على السلاح واستعماله بل ان هذا النوع من الحروب وهو حرب خرق الامن الثقافي للشعوب والتأثير عليها بات من اخطر ما يواجهه الانسان ، وان مثل هذه المؤتمرات تعمل على طرح وسيلة الدفاع الصائبة لمنع استباحة ما قد تتعرض له الشعوب من خطر يؤثر على مستقبلها والمسار الذي تسير عليه .

الانفتاحُ الثقافي وأثرهُ على المجتمع الكربلائي
(الشباب أُنموذجاً)

Cultural Cosmopolitanism and its Impact on the Karbala Community
(Youth as a Nonpareil)

أ. د. عبد العباس فضيخ دغبوش
جامعة كربلاء / كلية التربية للعلوم الإنسانية / جغرافية سياسية
م . م . حيدر فاضل عبد الرضا سعيد
وزارة التربية/ مديرية تربية كربلاء

Prof. Dr. `Abidal`abbas Fadheikh Daghush, Political Geography, College of Humanities, University of Karbala
Asst. Lectur. Haider Fadhil `Abidalradha Sa`aed
Ministry of Education ,
Education Directorate of Karbala ,

ملخص البحث :

تلعب العولمة الثقافية دوراً مهماً في تغيّر ثوابت المجتمع وعاداته ،وبخاصة العولمة الثقافية التي بواسطتها استطاعت الولايات المتحدة الامريكية ،نشر الثقافة الغربية والامريكية وتقبلها بسرعة في بلدان عديدة ، فقبل سنة ٢٠٠٣ ، كان المجتمع العراقي مجتمعاً منغلقاً على نفسهِ بسبب سلوك حكومته ، إذ حرمته من العديد من متطلبات الحياة ، وبعد سنة ٢٠٠٣ ، حدث تغير ملموس إذ اصبح المجتمع يتعرض الى انفتاح ثقافي واسع من وسائل الاتصال الحديثة والحواسيب ، وهذا الحرمان والشعور بان الدول المجاورة قد سبقته بانفتاحها على العولمة الثقافية لمدة طويلة . أدت الى ان ينفتح بدون قيود على شبكة الانترنت والقنوات الفضائية وبرامجها المتنوعة ومهاراتها العالمية والمشوقة ، فاخترقته اختراقاً واسعاً ، شأنه شأن الدول العربية والاسلامية وغيرها من الدول غير المتطورة وبخاصة الشباب فأبهرته وأسرتَه ، وكان هذا أحد اهداف العولمة الامريكية ،التي تروم السيطرة على هذه المجتمعات ،ولهذا سعى الباحثان إلى تلمس هذا التأثير فكان عنوان البحث (الانفتاحُ الثقافي وأثرهُ على المجتمع الكربلائي الشباب أُنموذجاً) وقسم على ثلاثة مباحث : تناول الاول (الخصائص العامة للمجتمع الكربلائي قبل سنة ٢٠٠٣) والمبحث الثاني (التغيرات الاجتماعية بعد سنة ٢٠٠٣) ، أما المبحث الثالث فتناول (اثر العولمة الثقافية بين السلب والايجاب) ثم الاستنتاجات والتوصيات .

Abstract:

Cultural cosmopolitanism plays an important role in changing customs of a society. In particular، the cultural cosmopolitanism by which the United States of America was able to spread and accept Western and American culture in many countries. Before 2003, Iraqi society was isolated because of the strategy of its government. After 2003، there was a significant change in the society to be exposed to a wide cultural cosmopolitanism; modern means of communication and computers after deprivation and the same sense of cosmopolitanism prevailed in the neighboring countries for a long time. People surge into these vents of communication, without restrictions, the Internet, satellite channels, programs, diverse global skills, passion and so forth ، like the Arab and Islamic countries and other non-developed countries. Consequently they are fascinated with these social media vents and this was one of the goals of US globalization to control these communities. Therefore، the researchers sought to discern such an effect (cultural cosmopolitanism and its impact on the Karbala society, in particular the young, in the light of the certain chapters: the first one deals with the general characteristics of the Karbala society before and after 2003) and the second does with social changes after 2003 and the third does with the impact of cultural cosmopolitanism between merits and demerits, there are conclusions and recommendations.

المبحث الاول

خصائص المجتمع الكربلائي قبل سنة ٢٠٠٣

يدرس علم الاجتماع مدى التفاعل الانساني الذي يتجلى في التأثير المتبادل الذي يمارسه الافراد في علاقاتهم المتبادلة ،والتأثير في الاتجاهات والافعال ، أي انَّ علم الاجتماع لا يهتم بما يجري في داخل النفس او الفرد الانساني ، وانما هو يهتم في المحل الاول بما يحدث بين الناس ، وأنّ ثروة اهتمامه البشر بوصفهم كائنات اجتماعية تمارس نشاطا متعدد الاوجه والتدخل مع الاخرين في علاقات متعددة [١].

كذلك ويعرّف بأنّه ــ العلم الذي يدرس النظام الاجتماعي ، وهو بهذا يشير الى النمط المنظم الذي يجري وفقاً للشؤون الانسانية ، بدءاً من علاقات التعاون البسيطة للفرد ،وصولاً إلى الجماعات المنظمة ،والنظام الاجتماعي ــ إذ ليس مجرد ان يفعل الناس ما تعلموا فعله ، فليس ثمة احد يُرغم الناس على إطاعة قواعد السلوك والتصرف ،لأن هذه القواعد السلوكية قد لا تتحدد بالنظم والقوانين في كثير من الاحيان ، لكن الناس يتعلمونها ويكتسبونها ببساطة من طريق المشاركة الاجتماعية[٢] .

وهناك علاقة وثيقة بين الفرد والمجتمع من طريق نتاج الفرد ، وغاية ما يقدمه لمجتمعه. لذا يُعدُّ الفرد اساس المجتمع ، الذي يُعد المحصل النهائي ،لان المجتمع من دون الفرد ليس لديه وجود حقيقي، فالمجتمع اذنً هو مجرد وسيلة لتحقيق السعادة الفردية ومن ثُم من حق الافراد أنْ يضعوا النظم الاجتماعية التي يرونها قادرة على تحقيق مصالحهم الذاتية [٣].

أما علم الاجتماع الديني: فقد عُرّف بأنّه:

* هو العلم الذي يهتم بالدين بوصفه مظهراً للسلوك والادوار التي لعبتها الديانات على مرِّ العصور.

* هو العلم الذي يهتم بالدراسة العلمية لتأثير المجتمع والثقافة والشخصية في الدين ،مثلما يدرس ايضاً تأثير الدين في المجتمع والثقافة والشخصية في الدين ، ويدرس تأثير الدين على المجتمع والثقافة والشخصية. او هو العلم الذي يختص بدراسة النشاط الديني للمجتمعات والعوامل الاجتماعية التي أدّت إلى تباين الشعائر الدينية باختلاف المجتمعات وعلاقة تلك الشعائر بالأوضاع الثقافية السائدة في كل مجتمع وتأثرها بعادات الناس وتقاليدهم [٤].

أما تعريف المجتمع- فهو المزيج المكون من صلات اجتماعية مختلفة ، فقد خُلق الانسان ألوفاً بطبعه، وفطر على الاجتماع ، فليس بوسعه العيش وحده ، ولقد ذكر المتتبعون لشؤون الانسان أنّ أقصى انواع التعذيب للإنسان ــ حبسه في سجن انفرادي ، وان الفرد يستمد كثيراً من معاني إنسانيته من وجوده في جماعة ينعم فيها بشعور المودة بينه وبين افرادها .[٥].

أما المجتمع الديني ــ فهو المجتمع الذي يمارس الدين بوصفه وظيفةً اجتماعية مهمة للفرد والجماعة ، ويحقق من طريق الفرد الاشباع والاستقرار النفسي ، ويؤكد سمو العامل النفسي والاجتماعي ، وقد يُحقق الدين للأفراد الذين يدينون به نوعاً من التماسك والتضامن ، ويخلق نسقاً قيمياً يتمسك به افراد ذلك الدين [٦]. وقد تظهر بعض الجوانب السلبية لعدم التمسك او الالتزام بآداب الدين، وتؤثّر هذه السلبيات في مكونات البناء الاجتماعي وأحياناً تؤدي إلى إحداث صراع وتفكك اجتماعي وسوء في التنظيم في كثير من المجتمعات التي تؤمن بذلك الدين .

أما المجتمع الاسلامي ــ فهو ذلك المجتمع الذي يتميز من المجتمعات الاخرى بأنظمته الخاصة وقوانينه القرآنية وأفراده الذين يشتركون في عقيدة عامة واحدة ويتوجهون الى قبلة مشتركة ، وقد يتكون من اقوام متعددة وألسنة متباينة وخصائص مشتركة وأعراف عامة وعادات موحدة .

ومن المفترض أنّ المجتمع الاسلامي لا يُقاس بالمجتمعات الاخرى ،في ظل الروابط التي تربط افراده ، على تباين ألوانه وأجناسه ، ويزعم بعضٌ من الباحثين بانه لا وجود للمجتمع الاسلامي ، وإنما مجتمعات قائمة على الجانب القومي ، وهذا ما اتجهت إليه كثير من الحكومات التي تمتلك ديناً اسلامياً كبعض الدول العربية [٧].

ويتبين مما تقدم أنّ المجتمع مكون من أفراد وصلات اجتماعية يحددها العرف ، والقوانين المرسومة، والأنظمة المتبعة والسلطة التي تُسّير المجتمع ، والشعور بالانتماء والعقيدة التي يشعر بها جميع الافراد للحفاظ عليها والدفاع عنها. وعلى العموم ليس بالضرورة أنّ كل دولة ترفع شعار دين الدولة الاسلام او تمتلك اغلبية مسلمة ،يكون مجتمعها مسلماً بالضرورة ، فنلحظ في الآونة الأخيرة هناك مجتمعات كانت اسلامية ،لكنها اصبحت في ظل التغيرات التي طرأت وفي ظل العولمة وافكارها المتجددة يوميا اصبحت مجتمعات علمانية او متطرفة او متأثرة بالتقليد للأخرين ، وهناك الكثير من الافراد الذين بدأوا بالتخلي عن ثقافاتهم ودياناتهم من أجل مصالحهم او بسبب الحرمان والعوز .

أما دور المجتمع وعلاقته بالفرد ـ فله الدور المؤثر في حياة الفرد ،وهذا الدور يتلخص في الآتي :

* المجتمع سابق لوجود الافراد ، ولا تنتهي حياته بانتهاء الوجود الفردي .

* المجتمع هو الذي يصنع الفرد بوصفهِ كائناً اجتماعياً، وليس العكس ،وذلك من طريق التنشئة الاجتماعية.

* الانسان ليس كائنا عقلانياً تماماً ، بل ان سلوكه ينطوي على جوانب لا عقلانية ،وقد لا يستطيع ان يعي مصالحه .

* إن الانسان من صنيعة المجتمع ،فليس من حقه التمرد والثورة على خالقه (المجتمع) ،لان ذلك لن يؤدي الى تحسين الاوضاع الاجتماعية بقدر ما يؤدي الى تدمير الانسان الفرد ذاته (نفي مشروعية الثورة).

* إنّ النظم الاجتماعية نظم طبيعية ، لأنها تستجيب لحاجات الانسان الفطرية العامة والثابتة (كالأسرة والطبقة) وغير ذلك ،حتى الدين فانه يستجيب للجوانب العاطفية الغامضة وغير العقلانية في سلوك الانسان .

* إنّ النظم الاجتماعية كافة ــ هي نظم إيجابية بحكم أنّها تؤدي وظائف مباشرة للبقاء الاجتماعي والانساني، و تلعب أدواراً مهمة في استمرارية الحياة الاجتماعية[٨] .

* أما الأفراد في التصور الوظيفي فإنهم :

* يستجيبون لمتطلبات مجتمعاتهم ،ويجدون مكانهم في اطار النظام الاجتماعي العام .

* هم يتجهون إلى الارتباط بالوضع الذي يحدده المجتمع لهم .

* يتصورون انهم يستطيعون تغير سلوكهم لكن هذا التغير لا بد أنْ يتم بالطريقة التي يرسمها المجتمع لهم .

* إنّ المجتمع في نظر الاتجاه الوظيفي هو العنصر الفعال والنشط في التاريخ في حين أنّ دور الأفراد يتسم بالتبعية والسلبية .

* إنّ الافراد خاضعون الى حدٍّ بعيد إلى الضغوط التي تفرضها مجتمعاتهم عليهم ،حتى يتمكنوا من الامتثال للتوقعات الاجتماعية. هم في معظم الاحيان يعكسون في تصرفاتهم الضغوط التي يطيعونها ويمتثلون لها ، وحتى إنْ أراد بعضٌ أنْ يتصرف وفقاً لإرادته وبطريقة مختلفة فإن هذا التصرف الفردي يمتثل في نهاية الامر للتعريفات الاجتماعية لما هو مقبول ومسموح به وما هو مفروض ومكروه بالنسبة للمجتمع ، وان الافراد بالنسبة للاتجاه الوظيفي ،هم مجرد ادوات للمجتمع وملكيات خاصه به [٩].

دور الدين في التغيير الاجتماعي :

يلعب الدين دوراً مهماً في مجال التغيير الاجتماعي ، إذ يقع على الدين ورجاله دور مهم في الإسهام في إحداث التغير الاجتماعي . ويُعد الدين سلاحاً ناجحاً في إحداث التغير الاجتماعي المنشود .لان الافراد يؤمنون كثيراً بأهمية الدين وأثره في علاج الكثير من المشكلات الاجتماعية التي تجابه حياتهم ومجتمعاتهم.

أما دور الدين في التنمية الاجتماعية والاقتصادية ـــ فيؤكد الكثير من علماء علم الاجتماع اهمية الوازع الديني في تطوير المجتمعات وتنميتها الاجتماعية والاقتصادية ، إذ يلعب دوراً مهماً في المساهمة في التنمية . ويسهم الدين في حل الكثير من المشكلات الاجتماعية في مجتمعات متعددة ، لأن للدين دوراً فعالاً في التغلب على الصعاب التي تعوق تطور المجتمع وتنميته ، ويؤكد كثير من العلماء اهمية الدين في احداث ترابط وتكامل بين القيم الدينية والتنمية الاجتماعية والاقتصادية [١٠].

موقف الشريعة من المجتمع :

تقوم الشريعة دائما مقام السور الواقي ،الذي يسمح للمجتمع بالنمو والتجدد ، وهذا ما يساعد المجتمع الاسلامي على ان يصبح واضحاً ومميزاً ،بينما نلحظ أنّ اغلب المجتمعات التي لا ترتبط بالشريعة يكون نموها على وفق مؤثرات واقعية ،غير مقيدة بأصل ثابت ،فمثلاً لم تكن المسيحية يوماً ما نظاماً اجتماعياً ،وذلك لخلوها من الشريعة التي تتولى تنظيم المجتمع على وفق نظرية محددة ،و حتى المجتمع الاسلامي وعلى مرِّ التاريخ قد تعرض إلى الانحراف عن مساره في بعض الحقب التاريخية، متأثراً بمبادئ غريبة عليه ، او منساقاً مع التطورات البشرية المتجددة ،او بسبب مؤثرات محلية في بعض الاقاليم التي انضمت اليه [١١].

وبعد هذه المقدمة يُطرح سؤال هنا ، هو : ـ

هل المجتمع الكربلائي مجتمع متدين؟

للإجابة لابد من توضيح معنى التدين : ـ

التدين :

لفظة (دين) تعني الحضور الى دُور العبادة او العضوية في التنظيمات الدينية ، أما التدين فهو التشدد في الحضور أو الالتزام في الانتماء إلى احدى تلك التنظيمات الدينية ، ولاشك في أنّ هذه الجوانب غير كافية ؛ لأنها لا تفّرق بين التوجيه نحو التنظيم الديني، وبين التوجيه نحو نسق الاعتقاد لتنظيم ديني ، فمما جاء به (لسنكي وجلوك) يمكن تبين ماهية التدين فقد حاول(لسنكي) أنْ يحدد بعض جوانب التدين ، فميز بين اربعة جوانب رئيسة ، هي :

* المرافقة (Associtianism) ويقصد بها المسايرة .

* الطائفية (Communalism)ويقصد بها الجوانب الاجتماعية .

* التقليدية (Oxthodoxy).ويقصد بها اتباع رجال الدين .

التكريسية (Devotionalism). ويقصد بها الجوانب الثقافية[١٢].

وقد أوضح (لنسكي) ان الفرد الذي لا يحرز اي درجة من هذه الجوانب لا يعد متّديناً ، ولكن هذا قد يتعارض مع تعريف لنسكي للمتدين إذ قال فيه(انه أي إنسان عاقل وعضو في اي مجتمع إنساني يُعد متديناً).

إما (جلوك) فيقدم لنا جوانب أخرى للتدين ، اكثر تقبلاً ، لأنها محددة بمقومات من القيم والمنظورات الدينية ، والتي تقف على نقيض من القيم اللادينية او العلمانية ، وهذه حددها بخمسة ، هي:

* المعايشة (Experiential) والمقصود بها التجربة او المشاعر الدينية الذاتية الشعائرية .

* الشعائرية (Pituallstic) أي الممارسات الخاصة المتوقعة من الافراد او المعتنقين للعقيدة .

* الايديولوجية (Ideological) أي الاعتقادات الحقيقية التي يعتنقها المنتمون إليها .

* الفكرية (Intellcetual) أي المعرفة الخاصة بالاعتقادات المتصلة بالعقيدة .

* الترابطية (Consequential) أي الآثار العلمانية المترتبة على الاعتقاد والممارسة والتجربة الدينية ولعل المشكلة التي تواجه هذه الجوانب الخمسة ، هي مشكلة عزلة الجوانب بعضها عن بعض وبخاصة الجانب الايديولوجي عن الجانب الفكري[١٣]

ومما طرحه (لسنكي)من مفاهيم يتضح لنا أنّ مجتمعنا الكربلائي ديني ــ فالمرافقة موجودة من طريق اتباعهم للآخرين ، وانتشار نمط الطائفة الواحدة ،و انتشار سياسة التقليد ، وهذا ما يولّد سياسة التكريس الثقافي المغلق لأغلب افراد مجتمعاتنا، إما مفاهيم «جلوك» فقد بُينت كيفيتها من طريق انتشار الشعائر الدينية والانماط العشائرية وسياسة الفكر المغلق والاعتقاد السائد بما يُعتَنق .

الخصائص الديمغرافية للمجتمع الكربلائي :

السكان هم كتلة بشرية ـــ جسم بشري ، بناؤه غير ثابت ، ولكنه يتسم بالتغير الديناميكي ، ينمو ويتحرك عبر الزمن بالزيادة الطبيعية ، وهي الفارق بين أعداد المواليد وأعداد الوفيات ، والهجرة [١٤]. وللمجتمعات خصائص سكانية متعددة تشترك بها وتميزها من المجتمعات الأخرى ، واهم خصائص المجتمع الكربلائي ، هي :

١ــ حجم السكان في كربلاء :عُرّف حجم السكان بأنه مجموعة من الافراد الاحياء الذين يعيشون في منطقة معينة ،وفي حقبة زمنية معينة ، وما يطرأ عليه من تغيرات سواء أكانت بالزيادة او النقصان ،والأسباب التي تؤدي الى هذه التغيرات والاثار المترتبة عليها . ويختلف حجم السكان في أي مجتمع من المجتمعات في الفترات الزمنية المتباينة، ويرتبط حجم السكان بمفهوم النمو السكاني وتضخم السكان وأزمة السكن ، اما حركة السكان فتسير باتجاه النمو نتيجة الزيادة في أعدادهم بفعل عوامل الخصوبة والمولد والهجرة ، أو أنْ تسير في اتجاه نقصان أعدادهم بفعل عوامل الوفيات والهجرة [١٥].ويمتلك المجتمع الكربلائي حجماً سكانياً كبيراً فعند الاطلاع على الجدول (١) يتضح أن هناك تبايناً في حجم نمو سكان محافظة كربلاء ، ففي تعداد ١٩٤٧ بلغ عدد سكان المحافظة (٢٧٤٢٦٤) نسمة مقارنة مع سكان العراق والبالغ عددهم (٤٨١٦١٨٥) نسمة ، إمّا في تعداد سنة ١٩٥٧ فبلغ عدد سكان المحافظة (٢١٧٣٧٥) نسمة، إما مقدار الزيادة عن التعداد السابق حوالي(٥٦٨٨٩ -)[١٦*] نسمة ، وعدد سكان العراق كان قد بلغ (٦٣٣٩٩٦٠) نسمة ، وفي تعداد سنة ١٩٦٥ بلغ عدد سكان محافظة كربلاء (٣٣٩٨٥٤) نسمة،

وقد بلغ مقدار الزيادة عن التعداد السابق (١٢٢٤٧٩) نسمة ،إما عدد سكان العراق(٨٠٩٧٢٣٠) نسمة ، وفي سنة ١٩٧٧ اصبح عدد سكان محافظة كربلاء (٢٦٩٨٢٢) نسمة ، وبزيادة سلبية مقدارها (٧٠٠٣٢-)[١٧*] عن تعداد ١٩٦٥ ، إمّا عدد سكان العراق فبلغ (١٢٠٠٠٤٩٧) نسمة ، وفي تعداد سنة ١٩٨٧ بلغ عدد سكان محافظة كربلاء (٤٦٩٢٨٢) نسمة وبزيادة مقدارها (١٩٩٤٦٠) نسمة عن تعداد ١٩٧٧، وسكان العراق بلغ عددهم (١٦٣٣٥١٩٩) نسمة ، وفي سنة ١٩٩٧ كان بلع سكان محافظة كربلاء (٥٩٤٢٣٥) نسمة ومقدار زيادة بلغت (١٢٤٩٥٣) نسمة عن تعداد ١٩٨٧ ، وسكان العراق بلغ عددهم (١٩١٨٤٥٤٣)[١٨*] ، وفي سنة ٢٠٠٩ [١٩*] بلغ عدد سكان محافظة (١٠١٣٢٥٤) نسمة مقدار الزيادة التقديرية بلغت (٤١٩٠١٩)[٢٠*] نسمة عن تعداد ١٩٩٧ ، و سكان العراق فبلغ عددهم التخميني (٣١٦٦٤٤٦٦) نسمة ، إما في سنة ٢٠١٥ بلغ العدد التخميني لسكان محافظة كربلاء (١١٨٠٥٤٥) نسمة ومقدار زيادة كانت (١٦٧٢٩١) نسمة عن الارقام التخمينية لسنة ٢٠٠٩ ، اما سكان العراق للسنة نفسها فكان عددهم (٣٦٩٣٣٧١٤) نسمة. ينظر للجدول (١) و الشكل (١)

جدول (١) سكان محافظة كربلاء بالنسبة للسكان العراق

السنة	سكان العراق	سكان محافظة كربلاء	مقدارالزيادة	السنة	سكان العراق	سكان محافظة كربلاء	مقدار الزيادة
١٩٤٧	٤٨١٦١٨٥	٢٧٤٢٦٤	---	١٩٨٤	١٥٠٧٧٩٧٦	٣٢١٢٤٩	---
١٩٥٧	٦٣٣٩٩٦٠	٢١٧٣٧٥	-٥٦٨٨٩	١٩٨٥	١٥٥٨٤٩٨٧	٣٢٩٢٣٤	---
١٩٦٥	٨٠٩٧٢٣٠	٣٣٩٨٥٤	١٢٢٤٧٩	١٩٨٧	١٦٣٣٥١٩٩	٤٦٩٢٨٢	١٩٩٤٦٠
١٩٦٦	٨٣٠٨٠٠٠	٣٦٠٠٠٠	---	١٩٨٨	١٧٢٥٠٢٦٧	٣٥٤٨٣٥	--
١٩٦٧	٨٥٨٠٠٠٠	٣٨٠٠٠٠	---	١٩٨٩	١٧٣٢٢٠٥٥	٥٢١٧٦٧	---
١٩٦٨	٨٨٦٠٠٠٠	٤٠٢٠٠٠	---	١٩٩٠	١٧٣٧٠٠٠٠	٥٣٤١٠٠	---
١٩٦٩	٩١٤٩٠٠٠	٤٢٥٠٠٠	---	١٩٩١	١٧٩٠٣٠٠٠	٥٦٧٦٠٠	---
١٩٧٠	٩٤٤٠٠٠٠	٤٤٨٠٠٠	---	١٩٩٢	١٨٤٢٢٠٠٠	٦٠٠٢٠٠	---
١٩٧١	٩٧٥٠٠٠٠	٤٧٣٠٠٠	---	١٩٩٣	١٨٩٤٨٠٠٠	٦٣٣٤٠٠	---
١٩٧٢	١٠٠٧٤٠٠٠	٥٠٠٠٠٠	---	١٩٩٤	١٩٤٦٧٠٠٠	٦٦٥٨٠٠	---
١٩٧٣	١٠٤١٣٠٠٠	٥٢٨٠٠٠	---	١٩٩٧[٢١*]	١٩١٨٤٥٤٣	٥٩٤٢٣٥	١٢٤٩٥٣
١٩٧٤	١٠٧٦٥٠٠٠	٥٥٨٠٠٠	---	٢٠٠٩	٣١٦٦٤٤٦٦	١٠١٣٢٥٤	٤١٩٠١٩
١٩٧٥	١١١٢٤٠٠٠	٥٨٨٠٠٠	---	٢٠١٢	٣٤٢٠٧٥٥٢	١٠٩٤٢٨١	---
١٩٧٧	١٢٠٠٠٤٩٧	٢٦٩٨٢٢	-٧٠٠٣٢	٢٠١٣	٣٥٠٩٥٧٧٢	١١٢٢٤٠٠	---
١٩٨١	١٣٦٦٩٦٨٩	٢٩٨٤٣٤	---	٢٠١٤	٣٦٠٠٤٥٥٢	١١٥١١٥٢	---
١٩٨٢	١٤١١٠٤٢٥	٣٠٥٦٢٧	---	٢٠١٥	٣٦٩٣٣٧١٤	١١٨٠٥٤٥	١٦٧٢٩١
١٩٨٣	١٤٥٨٥٨٣٧	٣١٣٣٦٦	---	----	--------	-----	---

المصدر : بيانات الجهاز المركزي للإحصاء ،وزارة التخطيط ، الجمهورية العراقية ، ١٩٤٧ـ ٢٠١٥

شكل (١) النمو السكاني لمحافظة كربلاء ومقدار الزيادة المتحققة للتعدادات للسنوات (١٩٤٧ـ ٢٠١٥)

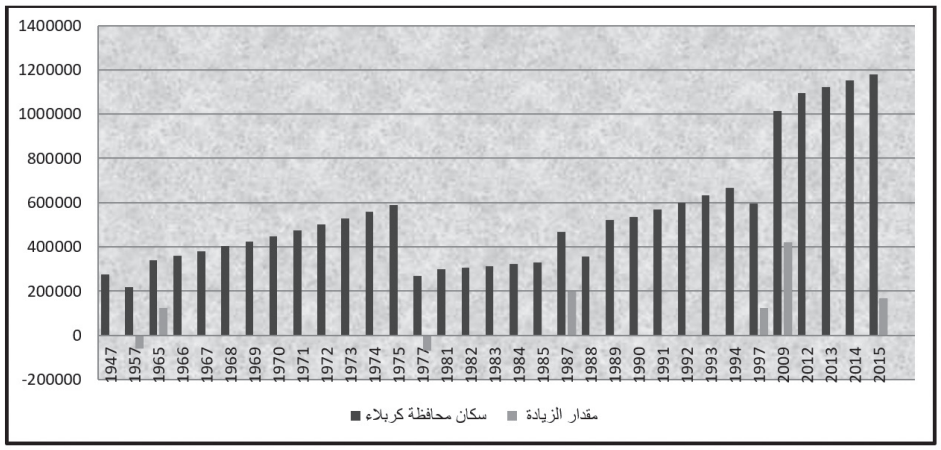

المصدر : بالاعتماد على بيانات جدول (١).

٢ـ التركيب العمري لسكان كربلاء : هو توزيع السكان بحسب فئات السن المختلفة ، ويعد من التركيبات الديمغرافية ذات الدلالة المؤثرة في قوة السكان الانتاجية ،ومقدار حيويتهم ، إذ يمثل العمر احد المتغيرات الديمغرافية الاساسية المحددة لعملية الانجاب ،ويلعب دوراً مهماً في تحليل ديناميات السكان .وعادة ما ترتبط القدرة الحيوية بالعمر والوظائف البيولوجية الفعلية للسكان ، و يعلق المجتمع اهمية كبيرة على أعمار أفراده(٢٢) .

ويقسّم التركيب العمري للسكان الى مجموعات خمسية او عشرية او الى ثلاث مجموعات ،هي :

الطفولة والمراهقة Infants & Adolescents(٠ــ ١٤ او ٠ـ ١٩) سنة .

البالغون Adults (١٥ــ ٥٩ أو ١٥ـ ٦٤ أو١٩ـ ٥٩ أو ١٩ـ ٦٤).

الشيوخ The Adged ٦٠ سنة فاكثر او ٦٥ سنة فأكثر (٢٣).

ويتميز التركيب العمري لمحافظة كربلاء بالفتوة العالية ، إذ يتضح الاطلاع على الجدول (٢) أن في تعداد سنة ١٩٦٥ بلغ عدد فئة الاطفال (يوم واحد ــ ١٤) سنة ما مقدارهم (١٦٤٠٢٨) نسمة ، وفئة الشباب (١٥ــ ٥٩) سنة ،ما مقدارهم (١٤٧٩٢٩) نسمة ، إما فئة كبار السن (اكثر من ٦٠ سنة) فبلغ مقدارهم (٢٧٨٩٦)، يتضح في هذا التعداد ان فئة الاطفال هي الاعلى عدداً ومن ثمة فئة الشباب وكبار السنة ،علما ان مجموع سكان الحافظة لهذه السنة قد بلغ (٣٣٩٨٥٣) نسمة .

إما في تعداد سنة ١٩٧٧ فقد بلغ مقدار فئة الاطفال (يوم واحد ـ ١٤) سنة ، عددهم (١٢٥٢٥٣) نسمة . وفئة الشباب (١٥ـ٥٩) سنة ، فبلغ عددهم (١١٧٥٣٠) نسمة ، وفئة كبار السن(اكثر من ٦٠ سنة) فبلغ عددهم (٢٧٦٥١) نسمة ، كذلك نلحظ أنْ فئة الطفال هي الاعلى عددا ثَمّ الشباب وكبار السن ، لكن لو قارنا اعداد الفئات لهذه السنة بسنة ١٩٦٥ ، فيكون هناك انخفاض كبير في الاعداد ، وهذا ناتج عن تغييرات ادارية كـ(انفصال النجف عن كربلاء في ذلك العقد وجعلها محافظة أو ضم قضاء الهندية الى محافظة كربلاء مع نواحيه وقراه) ،علماً أنّ سكان المحافظة لهذه السنة كان قد بلغ (٢٦١٠٤٧) نسمة . وفي تعداد سنة ١٩٨٧ بلغ عدد افراد فئة الاطفال(يوم واحد ــ ١٤) سنة ، حوالي (١٦٨٥٥٨) نسمة ، وفئة الشباب (١٥ــ ٥٩ سنة) فبلغ عددهم (١٤٥٣٢٣) نسمة ، وفئة الشيوخ عددهم (٢١٣٠٦) نسمة ، لذا يتضح ان فئة الاطفال هي الاولى الشباب ثم كبار السن، ولو قارنا اعداد الفئات الثلاث هذه مع فئات التعداد السابق ،لاتضح ارتفاع في الاعداد عن سنة ١٩٧٧ ، الا في فئة كبار السن ففيها انخفاض وقد يعود ذلك الى ارتفاع في وفياتهم . وفي تعداد ١٩٩٧ كانت فئة الاطفال(يوم واحد ــ ١٤سنة) قد بلغت (٢٤٦٠٢٧) نسمة ويتضح أنها اعلى بكثير من مقدار الفئة نفسها في تعداد ١٩٨٧ ، أما فئة الشباب (١٥ــ ٥٩ سنة) فبلغ عددها (٢٤١١٠١) نسمة وهي ازدادت أيضاً ما يقارب ضعف التعداد السابق ، إما فئة كبار السن (اكثر من ٦٠ سنة) فكان عددهم في هذه السنة (٢١٨٩٠) نسمة ، مرتفعاً قليلاً عن الفئة نفسها في السنة السابقة . لذا قد يُلحظ من البيانات ، فتوة في سكان المحافظة ،وارتفاع ملحوظ في الفئة القادرة على العمل في المستقبل والتي احتلت اليوم فئة الشباب . ينظر جدول (٢) وشكل (٢).

جدول (٢)توزيع سكان محافظة كربلاء حسب الفئات العمرية الثلاث للسنوات (١٩٦٥ـ ١٩٩٧)

الفئة العمرية (سنة)	١٩٦٥	١٩٧٧	١٩٨٧	١٩٩٧
من يوم واحد ـــ ١٤	١٦٤٠٢٨	١٢٥٢٥٣	١٦٨٥٥٨	٢٤٦٠٢٧
من ١٥ـــ ٥٩	١٤٧٩٢٩	١١٧٥٣٠	١٤٥٣٢٣	٢٤١١٠١
٦٠ سنة فأكثر	٢٧٨٩٦	٢٧٦٥١	٢١٣٠٦	٢١٨٩٠
المجموع	٣٣٩٨٥٣	٢٦١٠٤٧	٣٤٤٠٢٦	٥٠٩٠١٨

المصدر : بيانات الجهاز المركزي للإحصاء ، وزارة التخطيط ، الجمهورية العراقية ،٢٠١٧.

شكل (٢) سكان محافظة كربلاء حسب لفئات العمرية الثلاث

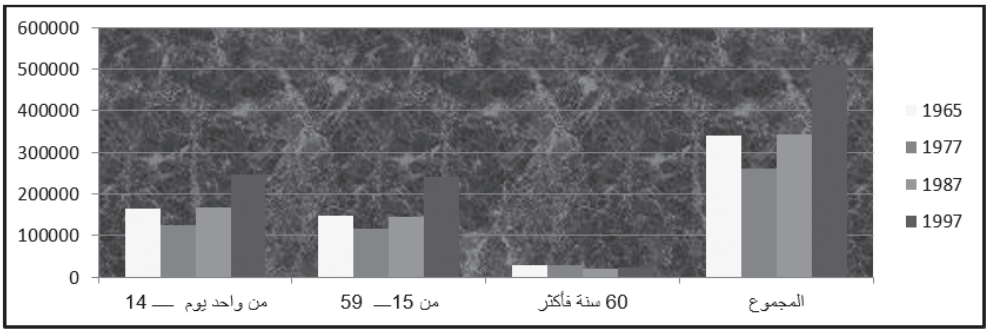

المصدر :بالاعتماد على بيانات جدول (٢).

٣ـ سكان كربلاء حسب البيئة الاستيطانية : المقصود بالبيئة الاستيطانية ، هو نمط السكن لدى افراد المجتمع وهو عادة ما يكون على شكلين إما ريفي او حضري ، وفي ما يخص تقسيم سكان محافظة كربلاء حسب البيئة الاستيطانية (ريف وحضر) ، فإن محافظة كربلاء ،تمتلك بيئتين اساسيتين في الاستيطان (الريفية والحضرية) كما هي الحال في محافظات العراق كافة ،وعادة ما يكون اعداد سكان الحضر اكثر من الريف ولأسباب متعددة ، وعند تتبع أعداد سكان المحافظة لسنة ١٩٦٥ ، يتبين ان مقدار سكان الريف بلغ (٨٩٤١٥) نسمة ، وفي سنة ١٩٧٧ ،بلغ مقدار سكان الريف (٩٩٦١٢) نسمة ، أما سكان الحضر فبلغ عددهم (١٧٠٢١٠) نسمة ، وفي سنة ١٩٨٧ بلغ سكان الريف (١٣٥٨٨٥) نسمة ، أما سكان الحضر فبلغ عددهم (٣٣٣٣٩٧) وفي تعداد سنة ١٩٩٧ بلغ سكان الريف (٢٠١٨٦٥) نسمة ،وسكان الحضر كان عددهم (٣٩٢٣٧٠) نسمة ، إما في سنة ٢٠٠٩ فبلغ عدد سكان الريف (٣٣٩٥٣٠) نسمة ، إما سكان الحضر فبلغ عددهم (٦٧٣٧٢٤) نسمة ، إما في سنة ٢٠١٥ فقد كان عدد سكان الريف قد بلغ (٣٩٠٢٨٤) نسمة ،وسكان الحضر لتلك السنة قد بلغ (٧٩٠٢٦١) نسمة . نلحظ مما تقدم ان اعداد سكان محافظة كربلاء بالنسبة للبيئة الاستيطانية ،يكون في نمو مستمر فالزيادة في سكان الريف والحضر واضحة ، ويعتقد الباحثان أنَّ هذا ساعد في رفد المجتمع الكربلائي بأعداد كبيرة من الفتوة ، ينظر للجدول (٣) والشكل (٣).

جدول (٣) سكان محافظة كربلاء ـ حسب البيئة الاستيطانية للسنوات (١٩٦٥ــ ٢٠١٥)م

السنة	ريف / نسمة	حضر / نسمة	السنة	ريف / نسمة	حضر / نسمة
١٩٦٥	٨٩٤١٥	٢٥٠٤٣٩	١٩٩٧	٢٠١٨٦٥	٣٩٢٣٧٠
١٩٧٣	١٠٤٠٠٠	٤٢٤٠٠٠	٢٠٠٩	٣٣٩٥٣٠	٦٧٣٧٢٤
١٩٧٤	١٠٧٠٠٠	٤٥١٠٠٠	٢٠١٢	٣٦٤٠٣٨	٧٣٠٢٤٣
١٩٧٥	١٠٨٠٠٠	٤٨٠٠٠٠	٢٠١٣	٣٧٠٨٠٤	٧٥١٥٩٦
١٩٧٧	٩٩٦١٢	١٧٠٢١٠	٢٠١٤	٣٧٧٦٤٦	٧٧٣٥٠٦
١٩٨٧	١٣٥٨٨٥	٣٣٣٣٩٧	٢٠١٥	٣٩٠٢٨٤	٧٩٠٢٦١

المصدر : بيانات الجهاز المركزي للاحصاء ، وزارة التخطيط ، الجمهورية العراقية ، ٢٠١٧.

شكل ( ) سكان محافظة كربلاء ـ حسب البيئة السكنية للسنوات (١٩٦٧ـ ٢٠١٥)

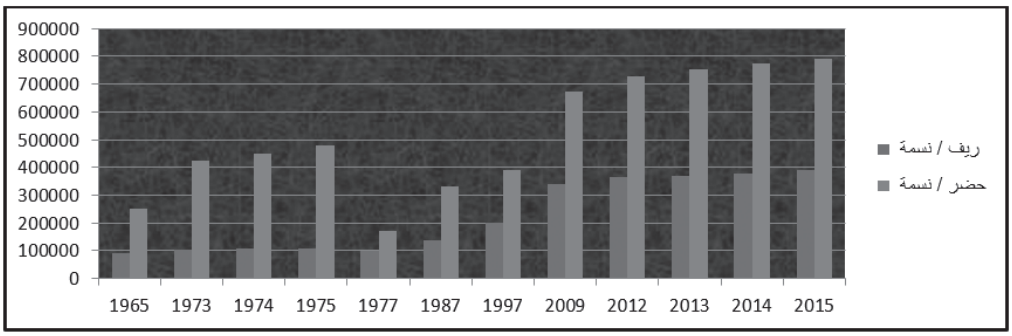

المصدر : بالاعتماد على بيانات جدول (٣)

٣ـ التركيب النوعي لسكان كربلاء : يؤثر التركيب النوعي في المتغيرات الديمغرافية والاقتصادية والاجتماعية للسكان ، فإنها تتأثر بالعمليات الحيوية كالولادة والوفاة والمدى الحياتي ، مثلما ترتبط بالظروف الاجتماعية والاقتصادية كالهجرة والحرب او بعوامل طبيعية كالفيضانات والجفاف وما ينجم عنها من مجاعات .

اضافة الى ذلك يتأثر النوع نسبة الى ثلاثة عوامل رئيسة ،هي :

زيادة ولادة الذكور او نقصانهم .

تباين الوفيات لكلا الجنسين.

الهجرة .[٢٤].

وللهجرة اثر في اختلاف نسبة النوع ، اذ ان الهجرة ظاهرة انتقائية ، ففي الماضي كانت الهجرات السائدة تقتصر على الذكور مما يؤثر في نسبة النوع في كلا المجتمعين ، فيزداد عدد الذكور في مجتمع الوصول ويقل عددهم في مجتمع الاصل ، لكن تزايد سرعة النقل وكفاءته قد سهل هجرة الاناث في الدول المتقدمة ، مما جعل ارتفاع نسبة النوع من المناطق المهاجرة إليها اقل ، وما يقال عن الهجرة الخارجية ينطبق على الهجرة الداخلية التي اصبحت اقل انتقائية للنوع السابق ، وهناك بعض المناطق التي توفرت فيها مجالات عمل للنساء ترتفع فيها نسبة الاناث الى الذكور مما كان له آثار اقتصادية واجتماعية على المجتمعات المهاجر منها ، ومع ذلك مازالت هناك مناطق كثيرة تكون فيها نسبة الذكور اعلى من الاناث كالمراكز العسكرية والموانئ ومراكز التعدين[٢٥] .

ومن الاطلاع على الجدول (٤) يتضح ان نسبة النوع في محافظة كربلاء قد تعرضت الى زيادات كبيرة ، فمثلا في تعداد سنة ١٩٤٧ بلغ عدد الذكور (١٣٢١١٦) نسمة ، أما عدد الاناث فكان (١٤٢١٤٨) نسمة ، إما في تعداد سنة ١٩٥٧ فبلغ عدد الذكور في المحافظة (١٠٥٦٥٤)نسمة ، وعدد الاناث كان (١١١٧٢١) نسمة ، أما في سنة ١٩٦٥ فبلغ عدد الذكور (١٦٩٦١٢) نسمة ، وعدد الاناث للسنة نفسها كان (١٧٠٢٤٢) نسمة ، وفي سنة ١٩٧٧ فبلغ عدد الذكور (١٣٥٤٠٢) ، إما عدد الاناث للسنة نفسها فكان (١٣٤٤٢٠)، إما في سنة ١٩٨٧ فقد بلغ عدد الذكور (٢٣٦٨٢٦)، إما الاناث فكان عددهن (٢٣٢٤٥٦) ، وفي سنة ١٩٩٧ ، كان عدد الذكور (٢٩٣٩٢٦) ، إما عدد الاناث فقد بلغ (٣٠٠٣٠٩) ، ينظر الجدول (٤) والشكل (٤).

من البيانات الأنفة الذكر ،يتضح أنّ هناك زيادات في احجام سكان محافظة كربلاء ، وان هذه الزيادة تختلف من سنة الى اخرى ، وقد لعب عامل النوع في تغير النسيج الاجتماعي لسكان كربلاء ، وكان لعودة الشباب الى المحافظة بعد سنة ٢٠٠٣ والقادمين من خارج العراق الدور الاكبر في ذلك ، اضافة الى التدهور الامني الذي حصل في العديد من المناطق في العراق هو ما ساعد إلى نزوح أعداد كبيرة من العوائل من مناطقهم الى محافظة كربلاء . لهذا سنلحظ من البحث الآثار المترتبة على ذلك التغير في المجتمع الكربلائي.

جدول (٤) يوضح أعداد الذكور والاناث لمحافظة كربلاء وللسنوات (١٩٦٥ـ ٢٠٠٧) م

السنة	عدد الذكور / نسمة	عدد الاناث / نسمة	السنة	عدد الذكور ـ نسمة	عدد الاناث ـ نسمة
١٩٤٧	١٣٢١١٦	١٤٢١٤٨	١٩٨٣	١٥٦٦٣٢	١٥٦٧٣٤
١٩٥٧	١٠٥٦٥٤	١١١٧٢١	١٩٨٤	١٦٠٤٩٩	١٦٠٧٥٠
١٩٦٥	١٦٩٦١٢	١٧٠٢٤٢	١٩٨٥	١٦٤٣٩١	١٦٤٨٤٣
١٩٦٨	١٩١٧٣٣	١٩٧٤٢٢	١٩٨٧	٢٣٦٨٢٦	٢٣٢٤٥٦
١٩٦٩	١٩٩٥٦٣	٢٠٧٧٨٨	١٩٩٠	٢٦٧٩٠٠	٢٦٦٢٠٠
١٩٧٠	٢٢٣٣٢٠	٢٢٤٥٥٢	١٩٩٢	٣٠٢٣٠٠	٢٩٧٩٠٠
١٩٧١	٢٣٦٢٣٤	٢٣٦٧٧٣	١٩٩٤	٣٣٦٣٠٠	٣٢٩٥٠٠
١٩٧٣	٢٦٥٠٠٠	٢٦٣٠٠٠	١٩٩٧	٢٩٣٩٢٦	٣٠٠٣٠٩
١٩٧٧	١٣٥٤٠٢	١٣٤٤٢٠	١٩٩٨	٤٢١٩٠٠	٤٠٦٣٠٠
١٩٨١	١٤٩٣٣٣	١٤٩١٠١	١٩٩٩	٤٤٣٩٠٠	٤٢٦٥٠٠
١٩٨٢	١٥٢٨٤٥	١٥٢٧٨٢	-----	-----	----

المصدر : بيانات الجهاز المركزي للإحصاء ، وزارة التخطيط ، الجمهورية العراقية ، ٢٠١٧

شكل (٤) سكان محافظة كربلاء حسب الجنس (ذكور وإناث) للسنوات (١٩٤٧ـ ١٩٩٩)م

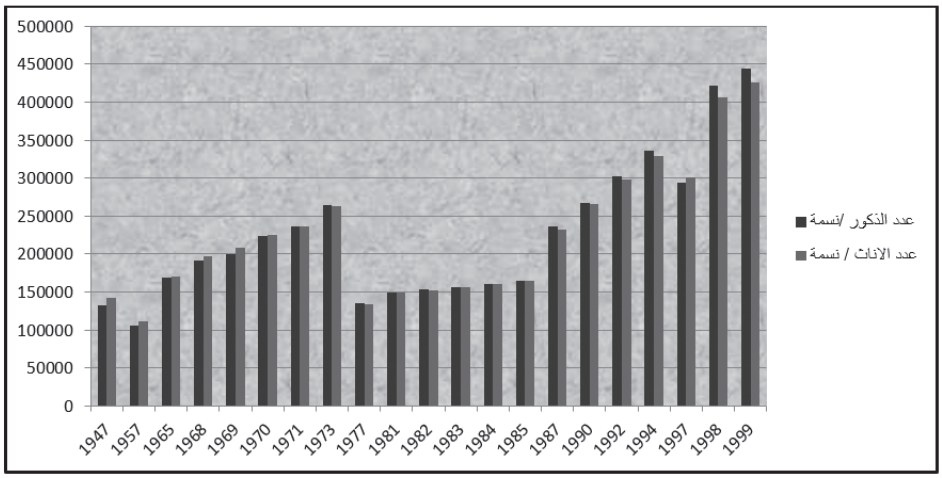

المصدر :بالاعتماد على بيانات جدول (٤).

٥ـ التركيب الاقتصادي للسكان: إنّ السكان ذوي النشاط الاقتصادي ـ يمكن تعريفهم بوجه عام بأنهم ـ الافراد الذين يشتركون في تقديم العمل لإنتاج السلع الاقتصادية والخدمات ولا يقتصر ذلك على العاملين وقت إجراء التعداد ـ بل كذلك المتعطلين اي القادرين على العمل والباحثين عنه ، وإذا

وجد فرد يسهم بطريقة او بأخرى بمجهود إنتاجي لمجتمع فإنه يمكن تصنيفه في ضمن الاشخاص ذوي النشاط الاقتصادي وإلاّ عُدّ ضمن الافراد المعولين»[٢٦].

ويمكن تقسيم السكان من حيث التركيب الاقتصادي إلى تقسيمات متعددة حسب قوة القوة البشرية:

قوة العمل ــ وهم الذين في سن العمل من الذكور والاناث ــ سواء أكانوا يعملون أو عاطلين عن العمل ، وان كانوا يرغبون فيه او يطلبونه . وان السن التي تحدد بداية قوة العمل تختلف من دولة إلى اخرى ،فقد تبدا في العاشرة في بعض الدول أو أقل أو اكثر في دول اخرى ، لكن على العموم سن العمل وحسب راي الامم المتحدة يكون بين (١٥ او ١٨ ــ ٦٤) سنة .

قوة خارج العمل ــ وهم السكان الذين يدخلون من حيث السن في قوة العمل ، ولكنهم لا يُعدون عاملين فعليين ،وقد يعملون في مهن غير منتجة ، كالطلبة والمرضى والنزلاء ، وقد يُضم اليهم ربات البيوت[٢٧] .

ومما تقدم من التحدث عن سكان كربلاء في التركيب العمري والنوعي يتضح انه يمتلك فئات قادرة على العمل وبأعداد كبيرة ،وهذا ما شكّل سبباً في نمو البطالة وتوسعها بين الفئات العمرية المختلفة ، اضافة الى التأثر في البيئات الاستيطانية فانتقال السكان من الريف الى الحضر سبب في ازدياد اعداد الايدي العاملة في المدينة وتدهور العمليات الانتاجية في الريف ، وما شجع على الهجرة الى المدينة هو الحركة الاقتصادية المحدودة بسبب السياحة الدينية وحركة الزائرين التي شجعت على هجرة اعداد كبير من الشباب اليها من المناطق المجاورة ، ولهذا نلحظ ان حركة سكان المحافظة بدأت بالنمو السريع في الفترات السابقة ، وبالخصوص ضمن الفئات العمرية التي تتراوح بين (١٥ــ ٤٥ او ٥٠) سنة والتي تكون قادرة على العمل وتحقق الانتاج .

المبحث الثاني

العولمة والشباب

في هذا المبحث سنتناول مؤثرات العولمة على المجتمع العراقي بصورة عامة والكربلائي بصورة خاصة ،من طريق عوامل متعددة كان لها الدور البارز في نشر ثقافة العولمة ،التي أدّت إلى إحداث تغير في المجتمع الكربلائي بعد سنة ٢٠٠٣ . وعادة ما يستعمل مفهوم (العولمة):

لوصف العمليات التي تكتسب بواسطتها العلاقات الاجتماعية نوعاً من عدم الفصل كـ(سقوط الحدود وتلاشي المسافة)،إذ تجري الحياة في دول العالم كأنها مكان واحد ، وقرية واحدة ومن ثم فالعلاقات الاجتماعية التي لا تحصى اصبحت أكثر اتصالا و تنظيماً على اساس تزايد سرعة ومعدل تفاعل البشر ومعدلهم وتأثر بعضهم ببعض .

يُعبر عن مصطلح العولمة بالتحديث(Modernity) او الاعتماد المتبادل (Inter- dependence)

في الاقتصاد تشير العولمة الى التدويل الاقتصادي ــ والمقصود به ــ انتشار علاقات سوق الرأسمالية (والاقتصاد العالمي هو النظام الذي تولّد من عولمة الانتاج والمالية العالمية).

وفي العلاقات الدولية ينصب التركيز في العولمة على الكثافة المتزايدة في العلاقات بين الدول وتطوير السياسة العالمية .

في علم الاجتماع ــ ينصب الاهتمام على تزايد الكثافات الاجتماعية حول العالم وظهور المجتمع العالمي.

في الدراسات الثقافية ــ ينصب التركيز على الاتصالات العالمية وتوحيد المعايير الثقافية حول العالم ــ كما هو الحال في استعمار (الكوكاكولا والماكدونالدية[٢٨*]) ،وثقافة ما بعد الاستعمار [٢٩].

وامتدت اهتمامات العولمة الى البيئة والتكنلوجيا والتقنيات الزراعية و تجارياً بين ثقافات مختلفة والمؤسسات الدينية وشبكات المعرفة إلى الشركات المتعددة الجنسيات والبنوك والمؤسسات الدولية والتبادل التكنلوجي وشبكات الحركات الاجتماعية العابرة للحدود القومية. [٣٠]

إن مشروع العولمة لم يكن حديثاً ، فقد عملت الدول الغربية على هذا المشروع منذ اواخر

القرن الثامن عشر والذي من طريقه كانت تطمح لنشر سيطرتها وبسط نفوذها على دول الوطن العربي ، وكانت البداية بالاحتلال الفرنسي لمصر سنة ١٧٩٨ ، وانتهاء الى ما يسمى (الانفتاح) وذلك برفع شعار الإصلاح الاقتصادي والتكيف الهيكلي للدول النامية ، ومن اساليب الولايات المتحدة الامريكية والدول الغربية ، العمل على اجبار حكومات الدول النامية على الأخذ ببرامج العولمة ، ومن هذه الاساليب:

السعي باتجاه تكريس مفهوم الخصخصة (Privatization).

العمل على تحرير التجارة الدولية بفتح ابواب الاقتصاد اكثر من اي وقت مضى ، امام تدفق السلع والخدمات ورؤوس الاموال الاتية من الغرب .

لذا عملت الولايات المتحدة الامريكية بعد احتلالها للعراق في سنة ٢٠٠٣ على آلية في نشر العولمة ومنها الثقافية ، وقد اعتمدت على عوامل متعددة ،منها :

الاحتلال وما افرزه من قرارات تسبب في إحداث العديد من التغيرات التي اثرت في الثقافة الداخلية للمجتمع العراقي ومنها الكربلائي ، كتغير نظام الحكم وحل المؤسسات الحكومية بكل انواعها وانتشار البطالة وغيرها من القرارات .

الجماعات المهاجرة التي عادت الى أرض الوطن بعد سنة ٢٠٠٣ والتي كانت تحمل العديد من الافكار والمعتقدات واساليب العيش الغربية، أثرت بشكل أو بآخر على المجتمع العراقي الذي كان يعاني من الانغلاق والحرمان الثقافي .

ضعف في تطبيق القانون تطبيقاً صحيحاً بعد سنة ٢٠٠٣ على جميع افراد المجتمع ، والضعف في العدالة الاجتماعية، وهو ما ساعد على صناعة الفروق الفردية بين افراد المجتمع من قبل السلطة الحاكمة .

تسويق التكنلوجيا بمختلف اشكالها وتفاصيها التي سببت في حصول تفكك أسري وضعف في التربية وقلة اهتمام الاب او الام في متابعة الابناء والبنات.

برامج التواصل الاجتماعي المختلفة وعمليات التطوير المستمر في شبكات الانترنت أثرّت سلبا في مجتمعاتنا ،وبمختلف الاتجاهات .

ضعف المستوى الثقافي لدى المجتمع وعدم مقدرته على التحكم بهذا الكم الهائل من التغيرات التي لم تنقطع في ظل نمط التجارة الحرة والسوق الحر

انخفاض مستوى التعليم نتيجة الضعف في تطبيق القانون وعدم تفعيل مبدأ الثواب والعقاب ، مع ارتفاع مستوى التدريس الخصوصي و ارتفاع مستوى اقبال الطلبة عليه .

التطور الكبير في شبكات الانترنت بعد سنة ٢٠٠٣ وتقديم الدعم المستمر من شركات الاتصالات العالمية وهو ما ساهم في مشاركة اغلب افراد المجتمع العراقي في شبكات (الواي فاي Wi- Fi) ، والتي حققت عن طريقها ارباحاً هائلة .

وعلى العموم إن العولمة الثقافية ترتبط بعولمة اوسع وهي العولمة الاقتصادية .لان هدف الدول الغربية (اقتصادي) سواء أكان بشكل مباشر أو غير مباشر ،ولهذا عمدت الدول الغربية إلى توفير كل ما يحتاجه المجتمع العراقي من سلع وخدمات بأسعار تشجعهم على الاستهلاك [٣١*] وقد تحولت اغلب فئات المجتمع إلى مستهلكين لا يتجاوزون، تحقيق مستوى الطموح المرجو(التركيز على ثقافة استهلاك للسلع الغربية) .

فضلاً إلى أنّ العولمة الثقافية والاجتماعية من اخطر انواع العولمة واكثرها تأثيرا في المجتمع والدولة ، كونها تهدف إلى تدمير الثقافات المحلية والعادات الاجتماعية الاصيلة وتسعى إلى سيادة النموذج الثقافي الغربي الامريكي ، فمثلا نرى اليوم هيمنة الافلام والموسيقى الغربية والبرامج التلفزيونية الامريكية في مجتمعاتنا ،ولهذا اصبح الشاب العراقي (ذكر وانثى) يُقلد كل ما هو غربي دون معرفة مدى تأثيره في مجتمعنا .

أما ما قاله الرئيس الامريكي جورج بوش الاب ابّان حرب الخليج الثانية حين تم اخرجت القوات العراقية من الكويت في تسعينات القرن الماضي (إن القرن القادم سوف يشهد انتشاراً واسعاً للقيم ولأنماط العيش والسلوك الامريكي). أما ما صرح به برجنسكي في السنة نفسها اذ قال « ليست هناك سوى قوة عظمى واحدة في العالم هي الولايات المتحدة الامريكية وهذه القوة العظمى يجب ان تكون مطلقة وشاملة سياساً واقتصادياً وعسكرياً فنحن القوى الوحيدة وعلى جميع الاصعدة».[٣٢]

مؤثرات العولمة على المجتمع الكربلائي :

تسعى الدول الغربية من طريق العولمة إلى إيجاد توحّد فكري ثقافي واجتماعي واقتصادي وسياسي ، وهذا يُعطي تحدياً قوياً لهوية الفرد العربي المسلم ، وخاصة في ما يستهدف الدين والقيم والعادات والفضائل ،من طريق التركيز على الناحية الثقافية وتوظيف وسائل الاتصال ووسائل الاعلام وشبكة الانترنت والتقدم التكنلوجي بشكل عام.

اولاً ــ اثر العولمة الثقافية على هوية المجتمع :

عُرفت الهوية الثقافية ـــ بأنها تلك المبادئ الاصلية السامية والذاتية التي يتبعها الأفراد او الشعوب وهي ركائز الانسان التي تمثل كيانه الشخصي والروحي والمادي ،بتفاعل صورتي هذا الكيان ،لإثبات هوية او شخصية الفرد او المجتمع او الشعوب ، بحيث يحس ويشعر كل فرد بانتمائه الاصلي لمجتمع ما ، يخصصه ويميزه من باقي المجتمعات الاخرى ، والهوية الثقافية ـ تمثل كل الجوانب الحياتية (الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والحضارية) المستقبلية ،لأعضاء الجماعة الموحدة التي ينتمي إليها الافراد بالحس والشعور الانتمائي لها[٣٣].

وهناك توجه استهلاكي مفرط لافراد مجتمعنا نحو وظائف العولمة ، دون وعي او تمييز لنوعية البضاعة او المادة المستهلكة وتأثيرها في تربية وثقافة الافراد المستهدفة تحت تأثير وإغراء لا يقاوم من التدفق الصوري والاعلامي المتضمن انبهاراً يستفز ويستثير حواس ومدارك الافراد بما يلغي عقولهم ويجعل الصورة التي تحطم الحاجز اللغوي، وهذا ما يُعد مفتاحاً للثقافة الغربية التي تستهدف العولمة [٣٤].

مثلما تسهم العولمة في تركيز الفلسفة الليبرالية في تعزيز الفردية ،العمل على نموها داخل المجتمع لاضعاف الاطار القيمي الجماعي ومؤسسات الضبط غير الرسمية والفردية ، التي تؤدي دوراً كبيراً في التحرر من القيود الاجتماعية والتمحور حول الذات والعمل على إشباع الرغبات غير المحدودة ،وهذا ما ساعد في تفاقم المشكلات الاجتماعية والتمرد على اعراف المجتمع وقيمه وإضعاف الانتماء والارتباط بالمجتمع وثقافته[٣٥].

وتعمل العولمة على إقصاء الثقافات المحلية وتهميشها ،وهذا يعني أنها ستسير من دون مقاومة وردود فعل مضادة ، وتواجه العولمة التيارات الشعبية وتسعى إلى تأكيد الخصوصية الثقافية والحفاظ على الهوية وإحياء التراث ،وقد بنى صاحب نظرية (صراع الحضارات) نظريته على استقراء حركات المقاومة وتياراتها التي تتم في دول العالم النامي[٣٦].

الأمر الذي يدعو إلى ضرورة مقاومة هكذا غزو ثقافي ــ لحماية الهوية العراقية العربية و الإسلامية ،عن طريق العناية بالتربية والتعليم ونشر الفكر المتسامح وتطبيق طرق ووسائل حديثة تواكب التحديات وتساير التطور العالمي والعقلي للشباب وفي مختلف المستويات واشكالها باعتبارها الحصن المنيع .إنّ التصدي يكون بالتعاون بين الأسرة والمدرسة (البيت والمدرس) ، بوصفهما العاملين اللذين يساعدان في تهذيب المجتمع وكيفية التصدي لهذه الاشكالية ، و بإيجاد وسائل مناسبة لحماية أجيالنا القادمة[٣٧].

ثانياً ــ اثر العولمة الثقافية في التعليم :

تؤثر العولمة في التعليم ؛ وذلك لان النظام التعليمي مرتبط بالعولمة ، وقد يحتكم إلى التأثر بها من طريق التفاعل مع البيئة المحلية التي تعد امتداداً للبيئات العالمية (النظام العالمي) ، وتأثيرها على أنظمة المجتمع الواحد من طريق التغيرات العالمية في السياسة والاقتصاد والتطور التكنلوجي وتأثيراته على الحضارة .

وتؤكد اغلب الدراسات ضعف اداء المؤسسات التعليمية بمختلف انواعها ، وانها اصبحت غير قادرة على إعداد جيل قادر على إدارة الدولة في ظل المؤثرات الخارجية و قابليتها على سهولة تغللها الى داخل مجتمعاتنا في ظل السماح للافراد بامكانية الدخول .

إن العولمة تعني الهيمنة على كل ما تحصل عليه، من أجل السيطرة على أفكار الشباب في الجانب الثقافي وهو جزء مهم في هذه الهيمنة ،ولهذا سعت الدول الغربية الى نشر أفكار جديدة في مجتمعاتنا لبسط قدرتها على عقول اغلب الشباب [٣٨].

وبما أنّ النظام التربوي نظام مفتوح يتأثر بمجمل التغيرات المختلفة الداخلية والمتمثلة بـ (الفقر والحرمان والفساد والمنهج والتعليمات و القوانين والسلوكيات) والخارجية والمتمثلة بـ(البرامج و الأعلام و الأحداث والتطرف)، لهذا نلحظ أنّ التعليم غالباً ما يتأثر بالأفكار الغريبة التي نشرتها الدول الغربية من وسائل مختلفة ، فاصبح الشباب لا يهتمون بالتعليم ، فهم دائما ما يتأثرون بالأحداث الجارية ، لهذا نلحظ أنّ عدداً كبيراً منهم مصابون بالإحباط وضعف المستوى العلمي والمادي ، ومنهم من ترك التعليم الحكومي واتجه إلى التعليم الأهلي(ميسوري الحال) ،إما اصحاب الدخل المحدود فقد تركوا التعليم نهائيا واتجهوا للبحث على العيش، ومنهم من لم يجد عملاً واصبح عاطلاً عن العمل ، ولهذا هم اكبر المتأثرين بالأفكار الغريبة، فكثير منهم تركوا التعليم واتجهوا إما للتيارات المتطرفة او للملحدة واما الى الدول الغربية للبحث عن مستقبلهم المجهول .

هـذا في مـا يخـص المـدارس ، إمـا في مـا يخـص الجامعـات (التعليـم العـالي)، فقـد لعبـت العولمـة الثقافيـة دوراً كذلـك ،في كيفيـة السـيطرة عـلى التعليـم العـالي بفـرض قوانـين عـلى المؤسسـات العلميـة (اداريـة وعلميـة) وهـي مـا تسببت في زيـادة اعـداد الخريجين ، مـع صعوبـة الحصـول عـلى فرصـة العمـل عـن القطـاع الحكومـي ، مـع قلـة الاهتـمام والدعـم المقـدم للقطـاع الخـاص ، ولهـذا صبـح هنـاك جيـش مـن الخريجين العاطلـين عـن العمـل[٣٩*] ، لا يسـتطيعو ان يجـدوا فرصـة لتحقيـق جـزء بسـيط مـن احلامهـم .

وزيـادة عـلى الاعـداد المتزايـدة مـن الخريجـين مـن الكليـات الحكوميـة ، هنـاك الكليـات الأهليـة التـي انتـشرت بصـورة كبـيرة بعـد سـنة ٢٠٠٣ ، والتـي هدفهـا الرئيـس هـو الحصـول عـلى المنفعـة بغـض النظـر عـن مسـتوى التعليـم ، ولهـذا تطـورت وتنوعـت تلـك الكليـات الأهليـة بالأقسـام التـي تضمهـا والتـي بعضهـا غـير متوفـر في الكليـات الحكوميـة . ولم يقتـصر هـذا عـلى خريجـي الدراسـات الأوليـة ـ إنـما شـمل كذلـك خريجـي الدراسـات العليـا (ماجسـتير ودكتـوراه) الذيـن باتـت أعدادهـم بـالألاف واغلبهـم عاطلـون عـن العمـل ، وقـد هاجـر عـدد كبـير منهـم الى دول العـالم المتقـدم لتأثرهـم بمغريـات الـدول الغربيـة بـما توفـره مـن عوامـل جـذب مقابـل عوامـل الطـرد في دولتهـم الام.

ثالثاً ـ اثر العولمة الثقافية في وسائل الاعلام و الاتصالات:

أصبحـت صناعـة الاتصـالات في السـنوات الاخـيرة مـن الصناعـات الاسرع تطـوراً في العـالم ، فقـد حصـل تقـدم مذهـل فيهـا ، وقـد فتحـت التقنيـات الحديثـة المجـال امـام الـدول المتقدمـة لتطويـر خدمـات جديـدة وتبّنـي التواصـل بالتقنيـات المتقدمـة التـي ادت إلى إحـداث تغـيرات كبـيرة في بنـاء شـبكات رقميـة تكامليـة ذكيـة ـ كـما ان اغلـب الـشركات العالميـة الكـبرى لا تدخـر جهـداً في البحـث عـن تقديـم خدمـة اجتماعيـة مجانيـة وانـما هـي دائـما تبحـث عـن الربـح .

ان سرعـة نجـاح منظومـة الاتصـالات في دول العـالم قـد زادت في الآونـة الاخـيرة بعد انتشـار العولمة ،واصبحت الـوزارات او إدارات الاتصـالات في هيكليتهـا التقليديـة وباحتكارهـا لجميـع الخدمـات ،قـادرة عـلى الاسـتجابة الكافيـة لمتابعـة نسـق السـوق المعـولم الجديـد ،فهـي غـير قـادرة عـلى لعـب دور في سـوق الاتصـالات الحديثـة في ظـل العولمـة .

إن تقنيـة الاتصـالات الحديثـة لا تفـرض خياراتهـا عـلى المجتمعـات الناميـة باعتبارهـا تقنيـات تعتمـد عـلى مقـدار الفائـدة او الـضرر الناجـم عنهـا مـن طريـق كيفيـة اسـتغلالها أو مـا يطبـق عليهـا مـن خيـارات سياسـية واجتماعيـة وثقافيـة ، اذ اصبـح العـالم يخضـع لتأثـيرات معلوماتيـة وإعلاميـة واحـدة تحمـل قيـماً ماديـة وثقافيـة ومبـادئ لا تتـلاءم مـع قيمنـا ومبادئنـا ،ومنافيـة للقيـم الاسـلامية .

رابعاً ـ العولمة الثقافية والتكنولوجية :

شهد العالم ثلاث ثورات أدّت الى إحداث تغيرات جذرية في هيكلية نظامه بدأت منذ الثورة الصناعية الاولى والثانية ،والثالثة التي كان لها الدور البارز في ما بلغ اليه العالم اليوم من عصر المعلوماتية (الثورة في وسائل الاتصال والالكترونيات والاجهزة الذكية)، فنتاج التراكم المعرفي لهذه الثورات أدى إلى ظهور هيكلية جديدة للنظام الدولي ، فبعد ان كانت الدولة القومية هي اللاعب الدولي الوحيد والفعال ،ظهر الأن لها منافسون أدى ذلك إلى انحسار وتراجع دور الدولة ، ومن هؤلاء المنافسين المنظمات الدولية الرسمية وغير الرسمية والشركات المتعددة الجنسيات[٤٠] . إن تطور التكنلوجيا يكون من طريق مخرجاتها ،والتي كانت تمثل اهم العوامل التي ساعدت على ظهور التكنولوجيا بشكلها الاخير ، والمتمثلة بالآتي:

أ ـ تكنلوجيا الاتصال والعولمة الثقافية :

لا تعد تكنلوجيا الاتصال مظهرا جديداً في العالم ،فإذا ما استثنينا مطبعة (غوتنبرغ) قبل اكثر من ٥٠٠ سنة ، فإن بواكير التقنيات الالكترونية بدأت قبل مائة وخمسين سنة تقريباً ، باختراع التلغراف واللاسلكي والهاتف ، قبل ان يجري في النصف الاول من القرن العشرين اختراع الراديو والتلفزيون ، ومن ثم الاقمار الصناعية في النصف الثاني من القرن العشرين التي في ضوئها انتشرت تقنية الهواتف النقالة والحواسيب الالكترونية والانترنت .

وقد عُدّ ميدان التكنلوجيا والاتصال والمعلومات من اكثر الميادين تسارعاً في التطور ،واهم ما تحقق في هذا التطور، ربط وسائل الإعلام مع الوسائل الالكترونية الحديثة ، وخلق نظام اتصالي مبني على ترابط هذه الوسائل ، الامر الذي اطلق ثورة اعلامية معلوماتية ابرزت امكانيات هائلة ، استندت الى امكانية تواصل عالية المستوى مع الجمهور، وسرعة غير مسبوقة في ايصال الرسائل والاعلامية والمعلوماتية في اي مكان في العالم ، من طريق عدد الأقمار الصناعية التي تدور حول الارض والتي تزداد يوميا لتغطي جميع مناطق سطح الارض من اجل ايصال اشارة الرسال والاستقبال لكل بقعة فوق سطح الارض ، وهذا ما تطمح اليه دول العالم المتقدم ، التي تحاول من طريق هذه الأقمار أن تنشر كل ما ترغب به والذي يخدم مصلحة مشروعها العالمي (العولمة)[٤١].

وإن انفجار ثورة الإعلام والتدفق الحر للأخبار والمعلومات والصور والرموز عبر الحدود في العراق بعد سنة ٢٠٠٣ ، أدى الى اضعاف الادوار التي كانت تقوم به الدولة و الاسرة في تنشئة الفرد قبل

هـذه المرحلـة ،وان اختصـار المسـافات والمسـاحات بـين الزمـان والمكان سـاعد في تشـكيل القريـة العالميـة او الفنـدق العالمي . لكـن بشـكل عـام سـكان القرية عـادة مـا يتواصلـون ويتعارفون وجهـاً لوجـه وتحكمهم بعض المعايـير والعـادات والتقاليـد وبعـض القيـم ، في حـين عـالم الاتصـالات وبرامـج التواصـل الاجتماعـي اصبـح فيـه سـكان القريـة العالميـة كنـزلاء الفنـادق يعيشـون في عزلـة ويـزداد اغترابهـم داخـل الفواصـل الحجريـة ، بينـما يغرقـون في طوفـان مـن المعلومـات الناقصـة والمشـوهة داخـل حجراتهـم المغلقـة عـبر مجموعـة مـن الاجهـزة التـي تنقـل لهـم رسـائل مصنعـة بعضهـم عـن بعـض دون خـبرة مبـاشرة [٤٢]. فاصبـح للفـرد الواحـد العديـد مـن الاصدقـاء عـلى برامـج (الفيـس بـوك ،او تويـتر ، او غيرهـا برامـج التواصـل الاخـرى) لكـن في الحقيقـة وعـلى ارض الواقـع هـو غريـب ، وأصبـح أغلـب أفـراد مجتمعاتنـا تعـاني مـن عـدم الالفـة فسـابقاً وعـلى سـبيل المثـال عندمـا يـأتي الضيـف يسـأل عـن اتجـاه القبلـة ‘إمـا اليـوم يسـأل عـن (رمـز الراوتـر) واصبحـت المقاهـي (الكـوفي شـوب) شـاغلة شـبابنا الذيـن اصبحـوا يتركـون مدارسـهم مـن أجلهـا ، فالإنترنـت فيهـا مجانـاً . ينظـر للمخطـط(١).

المخطط (١)يوضح مراحل تطور ثورة تكنولوجيا المعلومات

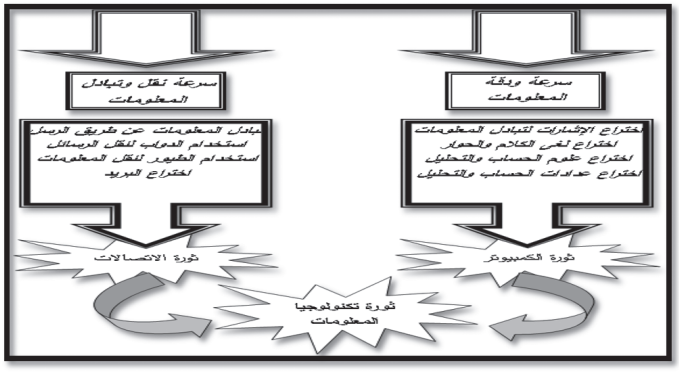

المصـدر : مثنـى مشـعان خلـف المزروعـي ماجسـتير (غـير منشـورة)، كليـة الآداب ،جامعـة بغـداد ،٢٠٠٢ ص٩٥.

ب ـ الفضائيات والعولمة الثقافية :

على الرغم مما يتيحه التدفق الاعلامي والمعلوماتي لأفراد الاسرة العربية من فرص لتعرف العالم الخارجي واكتساب خبرات جديدة ،إلا ان هناك عدداً من المخاطر والتحديات التي ترتبط بما يبث عبر الفضائيات العربية والاجنبية من برامج ومضامين وإعلانات مستوردة من الخارج ، فضلاً عن لعُب الأطفال الإلكترونية المستوردة ، وعدة البرامج والمضامين العاب الاطفال التي تتوافر فيها عناصر الجودة الفنية والابهار ،مما يجعلها تحظى بنسبة مشاهدة مرتفعة ،اذا ما قورنت بالبرامج المنتجة محلياً .لكن من الملاحظ ان اغلب هذه البرامج والالعاب تحفل بالعنف والاثارة والجريمة ،الامر الذي يعني أنّ الاطفال داخل الاسرة العراقية يتعرضون إلى ضغوط كبيرة في ساعات مشاهدة البرامج المختلفة التي قد تكون بعيدة كل البعد عن القيم العراقية الاصيلة ،مما ينتج عنه نوع من الازدواجية والتناقض بين واقعهم و واقع التخيل او المنقول لهم عبر شاشات التلفزيون ومن قنوات عربية واجنبية.

وعادة ما يكون هناك نمطان اساسيان من الفضائيات التي يمكن ان تكون لها انعكاسات سلبية ، هي:

النمط الاول ـ فضائيات غربية وعربية تجارية معبرة عن نماذج لسلوكيات بعيدة تكرس سلطة الجسد وتوظف المرأة لكونها موضوع اغراء .

النمط الاخر ـ فضائيات دعوية وتوجيهية تكرس انغلاق الفكر والتقوقع على الذات.

فكيف يمكن لنا امام هكذا توجهين أو نمطين من نشر ثقافة المساواة وحقوق الانسان ، وما الادوار التي ينبغي ان تلعبها مؤسسات المجتمع ؟

ففي ظل الأفكار والصور المتعددة والمترابطة مع ثقافات غربية ،والتي اصبحت تأتي الى الصغار بسهولة عبر التلفزيون ودون رقيب ، اصبح من الصعوبة قيام الوالدين بدعم لأي عملية تنشئة اجتماعية في هكذا ظروف بل قد يمثل عامل تهديد بين الطرفين (الوالدين والاولاد)[٤٣].

وقد أدى توثيق العلاقة بين التلفزيون والتكنلوجية المتقدمة كالاتصال بالأقمار الصناعية ، بما فيه البث المباشر وشبكات الاتصالات البعيدة، الى الدفق عبر الحدود وبصورة متنوعة مع صعوبة التحكم بها . فضلاً عن التدفق الدولي للإعلانات في ظل اشكال مشابه من تحكم الشركات المتعددة الجنسيات ،وقد وصف كثيرون الدعاية بأنها اصبحت نمط حياة وليس سلسة من المنتجات والخدمات ، وعدّ

بعضهم هذا النمط انحرافاً عن الضروريات وتحولاً إلى الكماليات ، وآخرون يعدّها تهديداً جدياً للثقافة المحلية الاصلية [٤٤] .

فضلاً عن أن المواد الإعلامية والثقافية اصبحت سلعة ذات ربح كبير ومورد اقتصادي غربي ؛ ولهذا نرى ان فرص منتجي هذه السلعة في جني ثمار إنتاجها من طريق مقدار التسويق الأوسع ، يمكن ان يصور الاهمية الاقتصادية للإنتاج الثقافي والاعلامي و اذا ما عرفنا أنّ اكبر صناعة تصديرية منفردة في الولايات المتحدة الامريكية ،ليست الطائرات ولا السيارات وإنما هي الترفيه ، فقد حصدت افلام هوليود اكثر من (٣٠) مليار دولار على نطاق العالم في سنة ١٩٩٧ . إذا ما علمنا ان الولايات المتحدة تتحكم بأكثر من (٦٥٪) من المادة الاعلامية في العالم ، ولهذا نلحظ ان الواقع يشير الى هيمنة الثقافة والقيم الامريكية على معظم دول العالم .

وإن ما أشار إليه (برجنسكي) في تصريحه عند وجوده مستشاراً للرئيس الامريكي الاسبق (جمي كارتر) للأمن القومي بقوله (إن الولايات المتحدة الامريكية وهي تمتلك النسبة الكبيرة من السيطرة على الاعلام العالمي عليها ان تقدم للعالم إنموذجاً كونياً للحداثة ، بمعنى عليها نشر القيم والمبادئ الامريكية) [٤٥].

وخلاصة القول : إنّ القنوات الفضائية أصبحت اكثر عدداً من افراد المجتمع ، وامست تؤثر تأثيراً كبيراً في افراد مجتمعنا ، ومن هذه التأثيرات:

١ـ لقد تجاوزت الفضائيات حدود المجتمعات وعملت الى الدخول الى الاسرة وبين افرادها ، وهذا يعني أنها هددت قيمة الاسرة ولم تجعل لرب الاسرة أي دور في رقابة اولاده.

٢ـ ان البث الفضائي الوافد لا يهدف إلى نشر التسلية والترفيه، بقدر ما يهدف إلى تشكيل أنماط سلوكية معينة تتناسب وأهداف إيديولوجية العولمة.

٣ـ اكدت القنوات الفضائية أن الصورة والشاشة تخدم ترويج الإيديولوجية التي يراد لها الوصول إلى متلقيها، وهذا يعني أن الصورة المرئية تخلق الوقائع، ونحن اليوم في زمن يحاول فيه المشهد المرئي التأثير في عقول الناس وأفكارهم.

٤ـ تعمل القنوات الفضائية على تشويه تاريخنا، فالمتتبع للبرامج التلفزيونية يُلحظ تجاهل تاريخنا

الحضاري ويعمل على عرض التاريخ الغربي ، مما يجعل شبابنا سريع التأثر بهم.

٥ـ للقنوات الفضائية تأثير في الأطفال والشباب ، من طريق ضمور القيم والتقاليد السامية التي تبثها الأسرة لتحل محلها قيم تلفزيونية مشتقة من أفلام رعاة الأبقار ومسلسلات العنف وتمثيليات الجنس والجريمة التي يضعها التلفزيون في كل يوم حتى يتشبع بها أفراد الأسرة.

٦ـ تأثير القنوات الفضائية في الجانب الاجتماعي اذ تروج للإباحية والقيم المخالفة للإسلام. واغراء النساء بتقليد الأزياء الغربية وربط المشاهد بالتقاليد الاجتماعية الأجنبية.

و مما تقدم نستنتج أن البث الفضائي ذو تأثير اجتماعي وثقافي أكثر لأنها تبتغي تشكيل سلوك الأفراد وثقافتهم بغض النظر عن التقاليد والقيم والأخلاق التي يتميز بها المجتمع الذي يعيش فيه هذا الفرد، و تستهدف ايضاً الهوية الثقافية والخصوصية التي تتميز بها المجتمعات التي تمتلك حضارات لها عمقها التاريخي بنتها على وفق ثقافتها الخاصة التي تنسجم مع مبادئها وقيمها وأخلاقها والديانة المنتشرة بين أرجائها[٤٦].

فأصبحت الاسرة العراقية ومنها الكربلائية غير منسجمة ، فرب الاسرة يعمل والام غير قادرة على ادارة المنزل ، والاولاد تركوا المدارس واهتموا بالألعاب ؛ لذا اصبح التفكك الاسري واقعاً تعيشه اغلب مجتمعاتنا خصوصاً في العقدين الأخيرين ، وأنّ آثار هذا التخبط أصبحت واضحة بترك برّ الوالدين ، وتزايد اعداد دور المسنين ، التي اصبحت الملاذ الآمن لأغلب اولياء الامور ، وهذا ان دل على شيء فإنه يدل على مدى ضعف الترابط الاسري في مجتمعنا ، ومدى انخفاض مستوى التربية التي نتجت عنها لتكون أثاراً سلبية .

خامساً ـ اثر العولمة الثقافية في الامن :

تسهم العولمة في تعميق التفاوت الاقتصادي والاجتماعي داخل الدولة الواحدة ، فيكون هناك تركيز للثروة ،وزيادة في نسبة البطالة والفقر في الدول المتقدمة والنامية ، وإن التفاوت الكبير بين طبقات المجتمع واتساع دائرة الفقر له آثار خطيرة على الاستقرار الاجتماعي والامني ،فالشعوب المحرومة والمهمشة تصبح وقوداً للثورات وحركات العنف والتمرد.

وعلى الرغم من أنّ دول الشمال لا يمثل ألا اقل من ربع سكان المعمورة ، فانها تتحكم في

اكثر من (٩٠٪) من إجمالي الانتاج الصناعي العالمي ، بينما لا يتعدى نصيب دول الجنوب بكل ثقلها الـ (١٠٪) من كمية ما ينتج صناعياً ، وهذا التفاوت لابد ن يكون له آثاره الامنية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

وقد استطاعت العولمة القفز فوق العوائق الجغرافية ،والعمل على توجيه الراي العام العالمي وفرض منظومة قيم جديدة واساليب معيشية وطرائق تفكير لم تخرج من رحم التطور الاجتماعي لتلك الدول ،وقد لا ينسجم مع معطياتها الاجتماعية ،وهذا العامل أضعف دور الدول في ترتيب الوظيفة الحضارية وتعزيز التنشئة السياسية وأسهم في ايجاد ترابط مع مصادر المعلومات والوكالات العالمية وهذا شجع في شراء الولاء لتلك الشبكات على حساب الولاء والانتماء الوطني ،وهذا له تأثير في وحدة المجتمع وتماسكه واستقراره[٤٧].

ولهذا أصبحت الدول المنظوية تحت فكر العولمة امنها الداخلي خاضعاً الى المؤثرات الغربية ،فاليوم اصبح عدم وجود سرية في الآمن الداخلي والحدود مكشوفة أمام الجميع ، فالعراق اصبح آخر من يعلم عن المعلومات الاستخبارية فعن طريق نظام الأقمار الصناعية ومتحسساتها اصبحت حدوده وأراضيه ومجتمعه مكشوفاً أمام الدول الغربية وليس وحده وانما اغلب الدول التي لا تملك تكنلوجيا تستطيع بها مواجهة هكذا اختراقات، ولهذا يعتقد الباحثان ان تدهور الظروف الامنية في العراق بعد سنة ٢٠٠٣ وعدم استقراره الداخلي يعود الى سياسة الولايات المتحدة الامريكية في بسط النفوذ والسيطرة على الداخل العراقي .

سادساً ـ اثر العولمة والثقافية في الدين :

إنّ الهدف من نشر العولمة هو استهداف الديانات التي قد يتصور الغرب أنها عدو له ولنفوذه ولهذا تعتقد الدول الغربية أنّ الديانة الاسلامية من اهم الاعداء لهم ،ولهذا تعمل على نشر أفكارها في مجتمعاتنا لغرض تغيير عقائد المجتمعات ، ولعل الميدان الخصب للعولمة في المساس بحرية المعتقد والدين هو الحرب التدميرية ضد معتنقي الشريعة الاسلامية او الحروب القائمة ضد الاسلام سواء أكانت عسكرية كما هو الحال في برامج مكافحة الارهاب الذي تقومه الولايات المتحدة الامريكية ، أم ثقافية او إعلامية كما هو الحال في القنوات الاخبارية ذات رؤوس الاموال الغربية التي تنشر ما يُطلب منها نشره . وان مفهوم العولمة في الاساس هو مفهوم ذات وضع انساني حديث يعمل على تقارب

الحضـارات والاديـان [٤٨].

ولكـن في الحقيقـة أصبحـت العولمـة نقيضـاً أساسـياً للشريعـة الإسـلامية، فقـد عملـت الـدول المصـدرة لمفاهيـم العولمـة عـلى نـشر صـورة سـوداوية عـن الاسـلام والمسـلمين للمجتمعـات الغربيـة ،بـما قامـت بـه مـن نـشر للإرهـاب والعمـل عـلى تجنيـد افـراد يقتلـون الابريـاء باسـم الاسـلام ، وهـذا مـا سـاعدهم في كيفيـة التأثـير في ايـمان الكثـير مـن الشـباب الذيـن اصبحـوا يشـككوا في الديـن ،ولهـذا نلحـظ في الآونـة الاخـيرة انتشـار حـركات متعـددة تحمـل شـعار الألحـاد ومحاربـة ونبـذ الديـن ،بحجـه ان الديـن يحـرض عـلى القتـل ومحاربـة الاخـر ، ومثـال عـلى ذلـك (داعـش) بوصفـه فكـرًا إرهابيـاً ذا طابـع دينـي يرفـع شـعار الديـن في عمليـات القتـل والتهجـير التـي قـام بهـا .

فضـلاً عـن مـا قامـت بـه تلـك الـدول مـن خلـق صراعـات مذهبيـة بـين المذاهـب الاسـلامية منـذ دخولهـا للمنطقـة العربيـة ،ولهـذا نلاحظهـا اليـوم باسـم العولمـة ،تسـيطر عـلى ثـروات الشـعوب الاسـلامية ، وان احتـلال العـراق في سـنة ٢٠٠٣ ومـا رافقـه مـن خلـق للصراعـات الداخليـة وعـدم الاسـتقرار مـا هـو الا احـد الطـرق التـي تعمـل مـن طريقهـا الولايـات المتحـدة الأمريكيـة لنـشر افكارهـا التـي دمـرت شـبابنا وغـيرت أفـكار الكثيريـن . وان العامـل الـذي سـاعد عـلى هـذا الجهـل الـذي يحيـط بعقـول اغلـب شـبابنا والـذي غـير كثـيراً مـن أفكارهـم .

وقـد تحـاول الـدول الكـبرى مـن طريـق العولمـة أن تقـوم بتنصـير الأفـراد في العـالم ، وتعمـل عـلى اختيـار مجتمعـات تعـاني مـن تدهـور اقتصـادي وثقـافي تعمـل عـلى اسـتغلال ظروفهـم المعيشـية وتعمـل عـلى تقديـم بعـض المغريـات لهـم .

وان المؤتمـر الـذي عُقـد في (كولـورادو ــ امريـكا الوسـطى) في سـنة ١٩٧٨ انـما هـو مؤتمـر تنصـير الهـدف منـه الاذن لمرحلـة جديـدة مـن عولمـة الديـن ، وقـد رُسـمت (برتوكـولات) لهـذا المؤتمـر ترسـم المرحلـة القادمـة عـن طريـق توفـير كل الإمكانـات المؤسسـاتية والماليـة والبشريـة لتحقيـق مبتغاهـم[٤٩] .

ولهـذا تضطـر تلـك المجتمعـات لـترك ديانتهـم وتتحـول الى النصرانيـة بسـبب الفقـر والحرمـان ،ولهـذا نلحـظ انّ عـدداً كبـيراً مـن الذيـن هاجـروا الى الـدول الاوربيـة ، عانـوا مـن صعوبـة الحصـول عـلى الاقامـة ، وبعـض منهـم اضطـر الى التخـلي عـن ديانتـه مـن اجـل (الاقامـة). و هـذا قـد يـؤدي إلى تشـكيك في الآخـر ، ولهـذا نلحـظ أنّ هنـاك العديـد مـن التيـارات التـي تدعـي الإلحـاد ظهـرت في الآونـة الاخـير في مجتمعاتنـا المسـلمة

والتي انظم اليه العديد من شبابنا المغرر بهم والتي من المؤكد ستتسبب آثاراً متعددة في المستقبل.

سابعاً ـ اثر العولمة الثقافية على منظمات المجتمع المدني :

تعددت تعريفات المجتمع المدني بتعدد الفلسفات ومناهج المعرفة التي تناولته ، ومن هذه التعريفات ــ مجموع المنظمات غير الحكومية التي يقوم نشاطها على العمل التطوعي الذي يستهدف الربح ، ولا تستند في العضوية الى عوامل وروابط الدم والوراثة كالأسرة والعشيرة والقبيلة .

ومن مقومات المجتمع المدني:

الايجابية (الفعل الارادي او التطوعي ، التنظيم ، التعددية).

السلبية (عدم السعي للوصول إلى السلطة، عدم استهداف الربح ، عدم الاستناد إلى روابط الدم والوراثة).

تضم مؤسسات المجتمع المدني (النقابات المهنية و الجمعيات التعاونية و الجمعيات الأهلية و نوادي وهيئات تدريسية و أندية رياضية واجتماعية ومراكز شباب واتحادات طلابية وغرف تجارية وصناعية وجماعات رجال الاعمال و المنظمات غير الحكومية و مراكز حقوق الانسان والمرأة والطفل والتنمية والبيئة والصحة والاعلام والنشر ومراكز البحوث والدراسات)، وغيرها من المؤسسات القليلة التي تترطب بالمؤسسات الحكومية[٥٠] .

وقد عملت الدول الغربية ومنذ انطلاق تلك المنظمات على الإفادة منها في نشر مفاهيمها ومشاريعها في الدول النامية ، ويعتقد بعضهم ان هذه المنظمات نظمت وأسست بأشراف الشركات المتعددة الجنسيات التابعة للدول الغربية و التي عملت من خلال المنظمات ان تحقق ما تطمح اليه من مفاهيم العولمة وعلاقتها بالمجتمع المدني ، والتي ساعدت على ظهور مصطلحات ــ متمثلة (بالمجتمع المدني العالمي او المجتمع المدني العابر) مع تعدد الادوار التي يتناولها هذا المفهوم من طريق منظمات المجتمع المدني .

لقد انصهرت الهويات والثقافات في ثقافة كونية واحدة لما شهده العالم من عولمة لقضايا ومشكلات ومفاهيم متعددة ،مثل : البيئة و حقوق الانسان و صراع الحضارات و وهناك العديد من المفكرين الذين يبينون انعكاسات العولمة على المجتمع وتأثيرها في مختلف مؤسساته وتنظيماته . وفي الواقع ان المجتمع

المدني الحديث في المجتمعات العربية دائما ما يدين انتشار وتوسع العولمة ،وتأثيرها بمجتمعاتهم في كل ما يتم تدفقه من معلومات عبر الحدود ، او من حيث ما ترتبط به من تطور في تقنية الاتصالات الجديدة في ظل التكنلوجيا .

وقد استطاعت الشركات المتعددة الجنسيات في الدول الغربية السيطرة على موارد المجتمعات النامية ،وذلك بفضل منظمات المجتمع المدني ، التي عملت على نشر كل مظاهر العولمة بين افراد تلك المجتمعات ، والعمل على استثمار مواردهم ، فهي تختار دولاً تعاني من حكم جائر وشعب جائع يعيش الحرمان ، لتعمل على تخليصه من ذلك الحاكم لتقوم هي بحكمه[٥١] . وان ما حصل من تغير في عراق ما بعد سنة ٢٠٠٣ استطاعت عن طريقه الدول الغربية صاحبة الشركات العملاقة من نشر اعداد كبير من تلك المنظمات والتي اتت بمسميات مختلفة ، فمنها كان يبحث عن الطفولة واخرى عن حقوق المرأة والاقليات او حقوق الانسان والعنف والاسرة وزواج القاصرات وغيرها من المنظمات التي أسهمت بشكل او باخر في نشر مفاهيم ومصطلحات غربية عجزت الدولة المضيفة عن نشرها وحققت من طريقها كل ما تطمح اليه تلك الشركات ودولها الام . وانتشرت العديد من تلك المنظمات في مجتمعنا الكربلائي والتي عملت تحت مسميات مختلفة ، فمنها من يعطي القروض الميسرة عن طريق نشر ثقافة الربا ،ومنا من يقدم مساعدات للأرامل والمطلقات وادخالهن في برامج خاصة بالمرأة من ورائها استهداف المجتمع النسوي ، ومنها من تعمل في سياسة التداول النقدي من طريق الانترنت هي تعمل على استغلال الشباب وسلب اموالهم ، ومنها من تعمل بعنوان منظمات تستهدف الشباب غير المتزوج وتعمل على جمع معلومات عنهم ،ومنها ما تقوم بتجنيد الاطفال الايتام من طريق مواقع الانترنت في علميات ارهابية متخلفة . ولهذا علمت الدول الغربية وعلى راسها الولايات المتحدة الامريكية على تخريب مجتمعاتنا من الداخل

ثامناً ـ اثر العولمة الثقافية على الهجرة :

لقد كان للعولمة دور كبير ومؤثر في هجرة اعداد كبيرة من الافراد واحيانا تصل الى هجرة مجتمعات بالكامل ، نتيجة لعوامل متعددة أهمها الاقتصادية والسياسية والتي دائما ما تسبب هجرة فئة محددة من السكان وغالبا ما تكون فئة الشباب القادرين على العمل ، ولهذا نلحظ أن العراق تعرض إلى هجرة أعداد كبيرة من الشباب سواء أكان قبل سنة ٢٠٠٣ أم بعدها. وان اغلب من هاجر هم من يمتلك المقدرة العضلية والفكرية وكذلك العلمية ، وهناك أعداد كبيرة من العقول التي هاجرت بسبب

الظروف الاقتصادية او السياسية ،التي حصلت نتيجة التغييرات التي حصلت بعد سنة ٢٠٠٣ وعلى مختلف الأصعدة وقد تم ذِكرها في ما مضى من البحث سابقا ، ويعتقد الباحث ان حتى هجرة هذه العقول والامكانية التي حصلت وبالذات بعد سنة ٢٠٠٣ هو مخطط لها لان هذه الخبرات ممكن أن تستفاد منها الدول الغربية بدون ما يكلفها شيء يُذكر مقابل ما صرف على هذه الافراد من الدولة الام.

فضلاً عن أن عدداً كبيراً من الذين ابتعاثوا للدراسة في الدول الغربية على نفقة العراق لم يعودوا بعد إكمال دراستهم ، لان ما يُقدم لهم من مغريات مقابل ما يعود اليه من ظروف داخل بلده قد تكون صعبه بالنسبة اليه بعد ما راى من اثار العولمة الغربية ، ناهيك عن توفير كل ما يحتاجه من مستلزمات البحث العلمي في تلك الدول .

إما في ما يخص الشباب غير الواعي فإنهم غالباً ما يتأثرون بما ينشر في وسائل الاعلام المرئي والإلكتروني عن المجتمعات الغربية وكيفية عيشها في ظل التطور الحاصل في تلك المجتمعات والحرية المفرطة لشعوبهم ،ولهذا نلحظ انه حصول موجات من هجرة الشباب للدول الغربية ،وكان آخرها في السنوات الفائتة (٢٠١٤ــ ٢٠١٥) من هجرة شبه جماعية لعدد كبير من المجتمع العراقي بصورة عامة والكربلائي على وجه الخصوص وتعرض عدد كبير منهم الى المخاطرة و صرف مبالغ كبيرة من اجل الوصول الى (جنة عدن) وأغلبهم الان يسكنون معسكرات للاجئين وعدد كبير منهم عاد إلى ارض الوطن بعد ان خسر كل ما يملك.

تاسعاً ـ اثر العولمة الثقافية على الافراد (ذكور وإناث) :ـ

تختلف رؤية العولمة عند الذكور والاناث ، وهذا الاختلاف نابع من مدى تأثر شخصية الفرد بالعولمة ونتاجها، فضلاً عن اختلاف الأساليب المستعملة للتأثير بينهما ، فمثلا يتأثر الفتى بعدة عوامل تؤثر في حياته كالتقدم التكنلوجي والبرامج التلفزيونية الغربية وما تحويه من مغريات عن نمط الحياة الغربية التي تسهم بشكل أو بآخر في عيشه بالأحلام الوردية التي تنظره في الدول الغربية ولهذا نلحظ انه بمجرد ما يحصل على منفذ للخروج يهاجر الى تلك الدول لتحقيق احلامه التي لم يستطع ان يحققها في بلده.

أما الفتاة فهي دائما ما تتأثر بالإعلانات التجارية والبرامج التلفزيونية الخاصة بالجمال وعمليات التجميل ومواد التجميل ،والمتتبع لأغلب الاعلانات في الوقت الحالي في الشاشات التلفزيونية نلاحظها

أن تدور حول مواد التجميل وعمليات التجميل وكل ما يخص النساء من مواد تسهم في تسويق كميات كبيرة جداً من هذه المواد الى اسواقنا المحلية ،مقابل حصولهم على كميات كبيرة من الاموال التي كان من الممكن ان تسهم في تنمية الفرد العراقي .

وفي الختام اصبح للعولمة الثقافية تأثير واضح على مجتمعاتنا فعن طريق الأساليب والأدوات التي تستعملها في نشر مبادئها ومفاهيمها ، وإنّ اغلب افراد المجتمع قد تأثروا بها واصبحوا لا يستطيعوا ان يتخلوا عن وسائل الاتصال الحديثة او الاجهزة الذكية او القنوات الفضائية وكل ما يتعلق بالجانب التكنلوجي الذي جعل من كوكب الارض قرية تتواصل بعضها مع بعض بـ (ضغطة زر) على جهاز كمبيوتر او جهاز هاتف محمول ، لكن لابد من توضيح المخاطر التي تواجه مجتمعاتنا والاثار المترتبة على الاستعمال غير الصحيح او المفرط لهذه التكنلوجية لاسيما غير المدرك لحجم المخاطر ،ولهذا هناك معايير واساليب قد نستطيع في حالة تطبيق جزء منها ان نعالج بعض المشاكل ونتعلم كيفية مواجهة تلك المخاطر التي لا نشعر بها بالوقت الحاضر .

المبحث الثالث

اثر العولمة الثقافية بين السلب و الايجاب

اهتم المشهد الثقافي والاجتماعي والسياسي العربي بصورة كبيرة بجميع جوانب العولمة ، وحظي هذا المشروع باهتمام منقطع النظير في جميع الاوساط ، نتيجة الاحساس المبرر بمخاطره إن الهدف المعلن للعولمة هو خدمة البشرية عامة ، من طريق توحيد المصير ،وإزالة الحواجز الجغرافية ،وإشاعة القيم الانسانية وحمايته ،وتوحيد الجهود ، لتحسين حياة الانسان بنشر التقنية الحديثة من مراكزها في العالم إلى اقصى اطراف الارض ،والمساعدة في حل مشاكل جميع الدول ونشر الانسانية ،وهذه الاهداف هي كل ما يتمنى المرء ، لكن ما خفي كان اعظم ،فإهداف العولمة الحقيقية ــ هي رغبة الغرب في محو الهويات المختلفة للمجتمعات وتكريس الهوية الغربية ،وعادة ما تسعى العولمة لتحقيق العديد من اهداف ،منها:

اختراق المجتمعات الإسلامية ، وزرع القيم و الأفكار الثقافية الغربية في أبناء تلك المجتمعات.

التأسيس لهوية ثقافية وحضارية للمجتمعات الاسلامية ،بعد إسقاط عناصر الممانعة والمقاومة لديها.

الحصول على فرص سياسة إعلامية قادرة على إعادة صياغة الاخلاق والقيم والعادات وفرض هيمنة ثقافية جديدة تصب في مصلحة الدول الغربية[٥٢].

تسعى العولمة الى طغيان ثقافة عالمية واحدة على الثقافات القومية والمحلية المتعددة ،وهذا يشكل خطراً على خصوصيتها على المدى الطويل .

تحاول العولمة الى التدخل المباشر في ثقافات الشعوب ومنها الشعوب العربية المسلمة.

تذويب المجتمع في بحر الثقافة الغربية ، وخاصة بما يتعلق بالانحراف العقائدي والترهل المعنوي ،ودائما ما تستهدف الشباب ،لذا تحاول عزل المجتمعات عن الثقافة ذات المردود الايجابي والارتقاء الحضاري[٥٣].

لا تنفك العولمة الثقافية في حركتها عن كيفية مسايرة العولمات الاخرى كـ (الاقتصادية والسياسية والعسكرية) وغيرها ،باعتبارها من اهم المكونات وابرزها في إنجاح العولمة الثقافية في كيفية التغلغل في المجتمع الاسلامي .

تغيير المنهاج التعليمية في الدول الإسلامية ، وذلك باستغلال ما بقي من آثار تذكر الطالب المسلم بدينه وتاريخه .

من طريق تلك الأهداف التي تعد جزء من اهداف اوسع واكبر تسعى العولمة الى تحقيقها ، نستطيع القول ان كثير من العبارات التي يسوقها صنّاع القرار والمفكرون الغربيون ، كتصريح وزير الخارجية الامريكي الاسبق «كولن باول» في خطاب ألقاه بجامعة لويسفيل بولاية كنتاكي في سنة ٢٠٠١ ـ تبلور حول الرؤية الامريكية للمجتمعات الاسلامية والتي تقوم على اساس قيم معينة تمس التكوين الثقافي والسياسي والعقائدي لتلك الجامعات .

إما ما ذهب إليه الكاتب البريطاني (فيسك) في تعليق بعنوان (الامم المتحدة تسلط الضوء على الحقائق المرة في العالم العربي) في صحيفة الاندبندنت البريطانية بتاريخ ٤/ ٧/ ٢٠٠٢ قال فيه (لن يجد العالم العربي ـ المحروم من الحرية السياسية والمعزول عن عالم الفكر والمضطهد للنساء في مجتمعه والقامع للعمل والتطور، ما يقوله ، ضد الاستنتاجات التي توصل اليها تقرير صادر عن الامم المتحدة يصف بدقة متناهية الحياة القاحلة والمتحجرة في الكثير من الدول العربية). ومن هنا قد تسعى العولمة إلى إحداث تغيير في المنطقة وفرض فيمها ومعاييرها على شعوب الامم المسلمة[٥٤].

الاثار المتربة على العولمة الثقافية :

مما تقدم في المبحث الثاني ، ومقدمة المبحث الثالث ، تبين ان هناك العديد من الاثار المتربة على العولمة الثقافية وعلاقتها في المجتمعات ،فهي احدى فروع العولمة التي تسعى الولايات المتحدة الأمريكية من طريقها الى جعل العالم تحت خيمتها و نفوذها، وتعمل على تغيير الهوية الثقافية للمجتمع والتي تعد من اولى المتأثرين بالعولمة الثقافية ، لذا قد يُطرح سؤال :

هل ستموت الثقافة الوطنية في زمن العولمة الثقافية وتأثيراتها ، وما مدى صمود ثقافتنا في ظل رياح العولمة المتغيرة باستمرار .

هذا السؤال قد يُثير اسئلة عديدة ،منها:

هل للعولمة الثقافية اثار على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب ، وما طبيعة هذه الاثار هل ايجابية أو سلبية؟

كيف يمكن الحفاظ على الهوية الثقافية للمجتمع ، مع الغاء مفهوم الخصوصية ؟

هناك عدة اراء في مدى تأثير العولمة الثقافية على هوية المجتمع ،من هذه الآثار :

الرأي الاول ــ يرى ان للعولمة نتائج ايجابية تخدم جميع افراد المجتمع ،وتحافظ على خصوصياته وهويته الثقافية ،مع لانها عالمية وإنسانية في إطار الانفتاح الثقافي

الرأي الثاني ــ يرى ان العولمة تسبب العديد من الويلات ،التي لا يمكن الانخراط فيها ، في ظل تأثيرها في افراد المجتمع ،ولذلك من الضروري محاربتها ومناهضتها.

الرأي الثالث ــ يرى انه من الضروري المحافظة على الثقافة السلوكية للمجتمع مع معرفة كيفية الاستثمار العملي لصفات العولمة الثقافية ومظاهرها ، ومن ثم فهو يرى ممارسة السلوك الفعلي في كيفية محاربتها فكراً ولساناً لا واقعاً وعملاً [٥٥].

الاثار الايجابية للعولمة الثقافية :

توجد العديد من الأثار التي قد تُخلّفها العولمة على المجتمعات وبمختلف الاتجاهات ، ربما تكون بعض الاثار محدودة وبعضها قصيرة والاخرى بعيدة ، ومنها ما لا تظهر واضحاً ، لكن على العموم قد تنتج العولمة الثقافية العديد من الاثار التي تبين إمكانية العولمة في تحقيق الفائدة لنفسها أو للمجتمعات التي سُوقت اليها ، وما طبيعة تلك الفائدة ،فقد ينتج عن التفاعل بين العولمة والمجتمع العديد من الاثار، منها :

على المستوى التكنلوجي ــ تدرّ العولمة ربحاً على المجتمعات والافراد في اكتساب ثقافة البحث العلمي والتقدم التكنلوجي والتقني ،بخاصة في مجال الاعلام والاتصال وهذا ما يساعد العولمة على الانتشار بسرعة ، لتصبح ثروة علمية وعملية ،لمن يفتقر للتكنلوجيا والبحث العلمي .

على مستوى التواصل والتعاون ــ تعد العولمة الثقافية سبباً كافياً للاتصال والشراكة الثقافية بين الامم والافراد بحوار الثقافات وتزويد الشعوب بكل ما تحتاجه ، من اجل إحداث توازن منطقي بين الخصوصيات الثقافية لهم . ولهذا يكون التعاون بين الامم بالإطاحة بالحدود ومعوقات الاتصال المباشر الحر بين المؤسسات والافراد ، وهنا يظهر مدى اهمية الاعتراف بالتعددية الثقافية للأمم والمجتمعات .

على المستوى الاجتماعي ــ تعد العولمة من خلال وسائل خاصة كوسائل الاعلام وحرية الصحافة والراي الحر منبراً للحوار والتفتح الثقافي والاستفادة من ثقافة الآخرين وتكامل الثقافات ،وبذلك تستفيد الدول الضعيفة من اسباب مهمة للقضاء على المشاكل الاجتماعية خاصة المتعلقة بالأجانب مع السكان المحليين، ويساهم الإعلام في رفع مستوى الهوية الثقافية الوطنية والفردية ،لإثبات وجودها وبروزها على المستوى الدولي .

على المستوى الحقوقي ــ فتُعد العولمة موضوعاً للتفاعل والتواصل ،خاصة في مجال الاعلام ،الذي يدعم حقوق الانسان والحريات السياسية وثقافة التعبير والمعارضة ووجهات النظر والدفاع عن السياسات الثقافية للشعوب في مفهوم الحقوق والحريات والمشاركة السياسية والتعددية . ورفعت العولمة شعار ان للفرد حرية الاختيار لأي ثقافات يراها مناسبة ، بهدف ابراز طاقاته واستثمارها ليصب منتجاً وفعـّالاً (٥٦).

على المستوى الشخصي والانساني ــ للعولمة تأثير ايجابي بتحويل شعور الانتماء من حالة التعّصب الى حالة المرونة والاعتراف بالآخر في ظل الانسانية ،بهدف القضاء على التشدد والجمود الفكري .

على المستوى التربوي والاكاديمي ــ اصبحت الحقوق الثقافية في ظل العولمة مزدهرة مع إعطائها مكانة خاصة في المستوى المؤسساتي في ظل المناهج التربوية والاكاديمية ، وهذا ما ساعد على تقديم الدعم لثقافة الافراد والمجتمعات واحترام الثقافات الاخرى .

على المستوى السياسي ــ تتخطى العولمة حدود الدولة الوطنية وشخصية الفرد ،وبذلك تسهم في الثقافة السياسية والتعددية الفكرية من طريق الإعلام والحوار وحرية التعبير ومن ثم هي المنقذ بالنسبة للشعوب المقهورة في ظل السلطة المطلقة المستبدة بالحكم .

وخلاصة الاثار الايجابية للعولمة ــ هي أن الثقافة العالمية تدفع الافراد إلى التحرك والسير في الاصلاح والقضاء على التبعية الثقافية في القيم والعادات ، باستعمال وسائل وأسباب التعاون والترابط والتماسك والشعور بالانتماء الصحيح وعدم التعصب(٥٧).

اثار السلبية العولمة الثقافية :

إنّ اغلب الأثار التي تخُلفّها العولمة في المجتمعات والتي يعدها بعضهم ايجابية ،قد تكون ذات مردود سلبي (لان العولمة سلاح ذو حدين) ، فمن يستطع معرفة كيفية التعامل معها قد تسبب له العديد من الاثار السلبية ، وقد خلفت العولمة الثقافية ومازالت تُخلف العديد من الاثار السلبية ،على مجتمعاتنا من طريق القيم والعادات التي اكسبتها الاسرة المسلمة والتي اصبحت غير مرحب فيها :ــ

ومن اهم الاثار السلبية التي تُخلفها العولمة الثقافية :

انتشار بعض الثقافات الغربية في مجتمعاتنا والتي تتنافى مع القيم العربية كالتفكك الاسري و عدم احترام الزوجة للزوج او الابناء للإباء او حرية خروج الابناء والبنات دون رادع او المبررات التي تضع لكل من يرتكب افعال مشينة او لا اخلاقية ،كما يحصل اليوم وينشر في القنوات الفضائية ،تلك القنوات التي اصبحت تحاول ايجاد مبرر لكل عمل يقوم به مرتكبه بحجة الظروف والظلم والحرمان وغيرها .

التقليد الأعمى للغرب والانسياق وراء الموضة لمواكبة التطور واللحاق بركب الحضارة الغربية الموهوبة .

التقليل من شأن التراث العربي والاسلامي وقطع صلة الاجيال بماضيها .

تعظيم شان ثقافة السوق الاستهلاكي وسلب الخصوصيات الثقافية والوطنية.

التركيز على قضايا هامشية تخص الطفل والمرأة وحقوق الانسان في دول العالم الثالث وتعظيم قدرها من أجل الانشغال بها بعيداً عن القضايا الوطنية .

التركيز على حرية الإعلام والانفتاح الثقافي وإنهاء الرقابة على وسائل الاعلام من اجل نشر الاباحية التي تؤدي إلى إفساد الأخلاق والبُعد عن الدين .

إنّ تدخل العولمة من طريق هيأة دولية عملت على التدخل في تغير العديد من المناهج التربوية بعد سنة ٢٠٠٣ والتي اصبح بعضها خالياً من جذور حضارتنا ، يحمل كل ما هو غربي.

العمل على تدخل العولمة في منع محاسبة غير الحريصين على التعلم من طريق منظمات حقوق الانسان والمرأة والطفل وغيرها من المنظمات التي تعمل على نشر كل رذيلة في مجتمعاتنا التي كانت تمتلك عقلية علمية[٥٨] .

مقدار الهوة التي اخذت بالتوسع بين افراد المجتمع الاسلامي ، وخصوصا عند الشباب ، الذي اصبح يتأثر بكل ما هو جديد ،من وسائل تكنلوجية الى برامج متنوعة الى اخبار رياضية مختلفة ، كل ذلك تديره قوى العولمة التي عملت على الهاء العالم ببرامج غير هادفة تعمل على تفريغ المجتمعات من محتواها .

سيطرة دول كبرى على اغلب المنشئات الحيوية في مجتمعاتنا جعل من تلك المجتمعات مستهلكة للمعلومات التي لا تتناسب مع واقعها الاجتماعي والثقافي وطبيعة المشكلات التي تواجهها[٥٩].

ومن الاضرار التي تُخلفها العولمة على شبابنا :

الاضرار التربوية والاخلاقية والاجتماعية ، لما تبثه العديد من القنوات الفضائية والتي تؤدي الى الانحراف السلوكي لدى الاطفال والشباب والفتيات ومن ثم الرجال والنساء .

ظهور الشذوذ الجنسي لدى الشباب في ظل البرامج التي تعرضها القنوات ،والتي سببت في انتشار مجاميع من الشباب من ذوي الجنس المتقارب والتي تبتعد عن حالات الزواج التقليدية .

ارتفاع نسبة الجريمة بين الشباب وانتشار السرقة والسطو المسلح ، نتيجة البطالة وأفلام الأكشن

وما تُخلّفه من اثار على مستوى تفكير الشباب والتي تسبب اختلالاً في الامن الداخلي للدولة او المحافظة ،ولهذا نلحظ انّ الجريمة في العراق قد بلغت مراحل متقدمة وذات مستوى متنوع في ظل البرامج التي تسبب الانحراف لدى الشباب .

العولمة وبرامج الانفتاح الثقافي ذات الطابع الترفيهي ، سببت في انتشار تجارة المخدرات وتعاطيها، فاليوم اصبح الشاب يتعاطى انواع مختلفة من المخدرات وبطرق عدة ومن طرق تعاطيها في(الاركيلة)[٦٠].

تحديات تواجه المجتمعات في ظل العولمة الثقافية :

إن عملية التبادل الثقافي الذي تتبعه بعض المؤسسات الغربية مع الدول النامية يُعد من اهم واخطر الاساليب المتبعة في قوة العولمة ، لأنها تكون من اسهل الوسائل التي تساعد على اختراق العقل من الدول النامية ،في ظل ما تمتلكه تلك المؤسسات من مغريات مقابل ما تفتقر اليه الدول النامية من تلك المغريات .

مع غياب الرؤية والاستراتيجية تجاه الغزو الثقافي الغربي وادواته العديدة ، قد يسبب بغزو للعقل بالكامل لجميع الدول التي تعاني من عدم القدرة على مواجهة تلك الإمكانيات ،ولهذا ستعاني المجتمعات النامية كالعراق من صعوبة عدم التأثر وسهولة الانقياد نحو عالم مجهول في ظل الحزمة الكبيرة من التكنلوجيا مع عدم امتلاك الامكانية لكيفية معرفة التعامل معها [٦١].

تزايد اعداد الخريجين من حملة شهادات البكالوريوس والماجستير والدكتوراه ، مع ازدياد اعداد البطالة في ظل الانفتاح الثقافي والتطور التكنلوجي ، مع أن هناك عدداً كبيراً منهم في تخصصات علمية وفنية وثقافية مختلفة .

ازدياد اعداد المؤسسات العلمية ذات الطابع الاستثماري (الربحي) والتي تخرج طاقات متنوعة من الشباب لكن اغلبها طاقة مهدورة ، ومن امثلة تلك المؤسسات الكليات الاهلية كالجامعة الامريكية وغيرها من الجامعات والمعاهد الاهلية المتخصصة بالدراسات العليا ، فضلاً عن الجامعات الحكومية ، فمثلا في محافظة كربلاء وحدها ،يوجد اكثر من خمس جامعات اهلية استثمارية ، اضافة الى جامعة كربلاء والمعهد التقني وغيرها من المؤسسات التعليمية الاخرى .

إن اساس سلبيات العولمة على الهوية الثقافية للأفراد المجتمع تكمن في ما قاله (صامويل هنتنجتون) إن

الاعتقاد بضرورة تبني الشعوب غير الغربية لقيم ومؤسسات وحضارة غربية ، أمر غير اخلاقي في نتائجه. وعلى العموم تسعى العولمة إلى إقصاء الخصوصيات والهويات الثقافية الاخرى الى حد أن يكون لأي مجتمع ثقافة ذاتية او هوية شخصية .

على المستوى التاريخي ــ تُعد العولمة استعماراً ثقافياً جديداً ،لأنها تهدف إلى إحداث خلل في الهويات الثقافية للشعوب ،بنشر العولمة الثقافية الاحدية القطب وهيمنتها.

ومما تقدم يتضح ان الاحتكاك العلمي للغرب من طريق المؤسسات والمعاهد والمراكز البحثية بمؤسسات البحث العلمي والثقافي والكوادر التعليمية والثقافية في العراق ، يخفي خلفه العديد من الشكوك والسياسة المبرمجة التي تهدف الى السيطرة على العقل البشري والوجدان الثقافي ، كونها تتماشى مع الاتجاه العام للعولمة الثقافية التي تعمل على تفعيل عملية التطبيع بين افكار المسيحية واليهودية مع المجتمعات الاسلامية في الاقليم العربي بشكلٍ عام [٦٢].

مواجهة العولمة :

عملت الدول الغربية على نشر مبادئ العولمة ، مستخدمة طرقاً واساليب مختلفة ،لكن العوامل التي ساعدت على نشر العولمة ،هي اغلبها(اقتصادية ، سياسية) والتي اثرت تأثيراً مباشراً على الجانب الاجتماعي ومن ثم الثقافي ، وعندما يصل التأثير الى المستوى الثقافي ، فمن الصعب امتلاك المجتمع المقدرة على تغيّر أفكار افراد المجتمع من دون تقديم المؤسسات الحكومية والمفكرين واصحاب الشأن أي دعم ، فمن الضروري ان يكون هناك تكثيف للجهود والعمل على تحسين العوامل التي عملت العولمة من طريقها على نشر مبادئها ، ومنها :

اولاً ــ الاقتصاد والمجتمع : في ظل العولمة ظهرت تكتلات اقتصادية عديدة إقليمية وعالمية ، وأغلبها ذات طابع غربي ، وهذه التكتلات كان ها الدور البارز في دخول العولمة ونشر جميع مبادئها في الدول النامية ، واليوم اصبحت اسواقنا تزدحم في المنتجات الغربية ،بغض النظر عن مكونات الصنع ، اما المنتجات المحلية فهي مهملة ، لذا في حالة اردنا مواجهة هذا السيل الجارف من الافكار والمشاريع ،فلابد علينا من وضع خطط اقتصادية تعمل الدولة من طريقها على إيجاد خطط تنموية اقتصادية تشارك في تشغيل الشباب واعطاهم الفرصة للمشاركة في بناء اقتصاد الدولة ، العمليات الانتاجية ونشر ثقافة حب الاوطان في ما بين الاجيال ، والعمل على تحقيق الاستقرار السياسي الداخلي والبناء الصحيح ، بتطوير القطاع الاقتصادي الداخلي.

ثانياً ــ السياسة والعولمة : إن التدهور الاقتصادي والتشجيع على سياسة الاستهلاك ، تخلق جيلاً من غير المنتجين والمتصارعين الذين يبحثون عن السلطة ،ولهذا نلحظ انّ الولايات المتحدة الأمريكية ، عملت على خلق صراع سياسي داخلي في العراق ، ومجتمع استهلاكي ، لبسط النفوذ والسيطرة والمساعدة في ما بعد على نشر افكارها ومبادئها ،ولهذا قد يحقق الاستقرار السياسي الداخلي استقراراً فكرياً والذي يساعد في بناء المؤسسات التي من طريقها قد نستطيع ترميم التصدعات التي حصلت في مجتمعاتنا من تغيرات في المراحل المتأخرة .

ثالثاً ــ التعليم و المجتمع والعولمة : إنّ العولمة وكما مر بنا تستهدف الفرد وقيمته الانسانية والخُلقية التي رسمها، انطلاقاً من تجربته الحضارية الطولية ، فالفرد هو المحور الذي تدور حوله العولمة ، فهي عادة ما تجعل القيم الثقافية عالمية ،عن طريق تربية الانسان على الثقافة المنقولة « الغربية « التي تسعى العولمة على تعميمها وجعلها ثقافة سائدة في جميع الشعوب ، وهكذا مشروع يعمل على بناء الفرد منذ البداية ،ولهذا نلحظ انها عملت على تغير مناهج التعليم تدريجياً ، وادخلت منهاج دراسية جديدة ، تعمل على نشر الحداثة ، فمثلا اصبحت اللغة الإنكليزية تُدّرس من مرحلة الابتدائية بحجة تعلم لغة ثانية تساعده على تفاهم الفرد [٦٣*]. [٦٤] .

ولهذا نلاحظ اليوم كيفية إعداد جيل من المتعلمين للثقافة الغربية الذي سيصبح في المستقبل جيلاً من المتأثرين بكل ما هو غربي مبتعدين عن ثقافتهم الام وعاداتهم وتقاليدهم والقيم التي تربى عليها اباهم ، قد يفقدون ديانتهم . لذا لابد من نشر العلم والمعرفة والعمل على كيفية تطبيق سياسة التعلم والتسامح ونشر الفكر المعتدل الذي يعمل على بناء المجتمع وتقوية الروابط بين ابناء المجتمع الواحد وتكثيف جهود العلماء والباحثين في كيفية نشر ما تطمح اليه الدول الغربية وتعليم الشباب كيفية مواجهة هكذا أخطار ،ليس عن طريق معاداتها للتطرف وإنما بتطوير المستوى العلمي والثقافية لمجتمعاتنا للمساهمة في بناء امة قادرة على بناء دولة وفق المعايير الصحيحة .

رابعاً ــ التربية والعولمة : ان التربية تعني عملية نقل الثقافة ، سواء من طريق الاسرة او المدرسة او المجتمع ، فهي عملية قولبة ،يصبح فيها الفرد متماثلاً مع الاخر ، بحيث تكون شخصية الفرد وطنية او قومية ، او متطرفة ، فبعبارة اخرى هي تجريد لخصائص الفرد[٦٥].

والتربية في زمن العولمة الثقافية ، يجب أن تّغرس وتُّنمى الطاقات المبدعة في كل فرد وتسهم في زيادة

تماسك المجتمع في زمن يتأثر افراده بكل ما هو غربي ، لذا نحتاج الى اساليب تربوية حديثة تعمل على كيفية كسب الشباب و اقناعهم بان هذه التطورات التكنلوجية والانترنت والفضائيات والاجهزة اللوحية) وغيرها من اجهزة وبرامج اتصالات وعرض قد تكون مضرة في شخصية الفرد وتعمل على تفكك الاسرة ومن ثم المجتمع وهذا نلحظ أن عمليات الطلاق بدأت بالارتفاع والمشاكل أخذت تزداد والبطالة بدأت تتضاعف والجريمة تنتشر وبِرّ الوالدين بدأ يختفي وعمل الخير بدأ يضعف والحسنات بدأت تقل وعمل الشر بدأ ينتشر ، وهذا يحتاج الى شباب يمتلك وعياً ثقافياً نستطيع من طريقه إثارة الأفكار لديهم ،لابد من اهتمام الاسرة ومتابعة اولادهم مع اخذ المعلم دوره في شرح اهداف العولمة وكيفية عملها ، والى ماذا تطمح وكيف تعمل.

خامساً ــ المثقفون ورجال الدين والعولمة : ان الصراع بين رجال الدين والعلمانيين ساعد على توغل العولمة بصورة اوسع ، فرجال الدين دائما ما يقفون نداً للعلمانيين ويحذر الشباب من التأثر بالعلمانية وعولمة الملوثة بالثقافة الغربية ،وفي الوقت نفسه بعض رجال الدين يعيشون برفاهية عالية في الوقت الذي يوجد العديد من الشباب يعاني الحرمان والفقر ولهذا بداء الشاب بشكك في ما يطرحه رجل الدين ، بالمقابل سيتجه الى العلمانية ،ولعدم معرفته بماهية العلمانية والعلماني ولضعف ثقافته وقلة اطلاعه يتصور ان ــ العلماني ــ تعني العولمة اي غربية اي رفاهية ولهذا يحاول التأثر بكل ما هو غربي ظناً منه ان العلمانية مصدرها غربي فهو يرى ما يرغب بالحصول عليه في ذلك الاتجاه.

ولهذا يعتقد الباحثان ان سبب الانتشار الواسع لأهداف العولمة ومفاهيمها بسرعة تأثر افراد مجتمعاتنا فيها ، بسبب بعض رجال الدين وصراعهم مع العلمانية بمفهومها الليبرالي التخصصي ، لا العلمانية التي تدعو الى تقليد الغرب ، ويحتاج المجتمع الى وجود محترفي الثقافة والكتاب: الكتبة والمتعلمين ــ الذين يقع عليهم دور مهم في كيفية تبيان العولمة واهدافها و الاثار المترتبة عليها وكيفية التعامل معها وعدم التأثر فيها واخذ ما يمكن الإفادة منها دون التأثر فيها ـ لأن ما نلحظه من انجراف للشباب صوب العولمة ، وما نشهد من قطيعة بين الثقافة المجتمع الحديث الدنيوي . وقد يكون سبب هذه القطيعة ظهور اكثر من نخبة فكرية وثقافية ، الاولى مؤلفة من المتعلم او رجل اللذين التقليدي ، والاخرى من المثقف الحديث ، وقد اصبح هناك صراع بين هذين النمطين الذين يرغبان بالإمساك بزعامة الثقافة في جميع الحضارات ، فالمتعلم ــ الموظف يقابله المثقف وبالمقابل العلماء والقضاة والأئمة والمُلالي والذين يطلق عليهم الاسلام التقليدي « المتكلمين « فنجد ان المثقفين في جانب ورجال الدين في الاخر[٦٦] .

ويقال ان ولادة المثقفين قد ارتبطت بالحداثة الاوربية ، فبعد حركة الاصلاح والحروب الدينية التي استمرت قرابة قرن من الزمن ــ ظهرت طبقة متعلمة اكثر دنيوية ، انشقت بعيداً عن صلب رجال الدين ، وهذا ما قد سبب في خلق صراع بين المثقفين ورجال الدين ، و استغلته بعض الأطراف لتسويق مفاهيم العولمة لتلك المجتمعات. لذا من اجل تصحيح مسارات تلك المجتمعات النامية التي تعاني من صراعات داخلية و تفكك وتشرذم ، لابد من إعادة تبادل الثقة بين رجال الدين والشباب والمثقفين، لأنه اصبح هناك عدد كبير من الشباب ينفرون الدين بسبب تسيسه من قبل بعض رجاله ، وحدوث ابتعاد بين الطبقة المثقفة والمجتمع والدين .

موقف المثقفين من العولمة :

تباينت اراء المثقفين للعولمة ـ بين مؤيد ومعارض لها:

الاول ــ يرى ان العولمة تهدد الهوية الشرقية لمجتمعاتنا ذات الطابع الاسلامي لذ لابد من رفضها جملة وتفصيلاً .

الثاني ــ يرى انّ العولمة ــ تمثل مرحلة متقدمة من التطور ويجب المواكبة لبلوغ المراحل التي بلغها المجتمع الغربي المتقدم ، وفيه أحدث ما وصل اليه من تقدم بالعلم والمعرفة ووسائل الاتصال الحديثة ، فينبغي ان تغتنم هذه الفرصة ونواكب التطورات ومعرفة كيفية الاستفادة من ثمارها .

الثالث ــ يرى ان من الضروري معرفة كيفية العمل على امساك العصا من المنتصف ومن الافضل العمل على كيفية الاستفادة من هذا التطور لخدمة المجتمع ، مع فرض رقابة في التعامل والعمل على تهذيب المجتمع نحو معرفة كيفية اخذ ما يناسبنا دون المساس بالدين والاخلاق (لان التكنلوجيا سلاح ذو حدين)، لذا من الضروري فرض الرقابة والمتابعة للأجيال وتثقيفهم جيدا في ما يخص السلب والايجاب للعولمة الثقافية والاثار المترتبة عليها[٦٧]. نستشفي مما تقدم انه لابد من استنهاض همم الشباب ومنحهم دوراً في المجتمع وإتاحة الفرصة امامهم للتغيير ، فهم فرسان التغيير وبهم تنتصر الامم ، ولابد من حثهم على كيفية التمسك بالدين والقيم الانسانية والتحلي بروح التعاون والمبادرة واتاحة الفرصة امامهم لتقديم لكل ما يرغبون به عن طريق دعمهم وتقديم يد العون اليهم.

الاستنتاجات والتوصيات :

اولاً ـ الاستنتاجات

توصل الباحثان الى العديد من الاستنتاجات ،منها :

للعولمة تأثير كبير على مجتمعاتنا ، فعملت عن طريق الوسائل الثقافية على التسلل الى جميع مرافق الحياة في مجتمعنا ،واصبحت جزءاً منه ومن الصعب الابتعاد عنها .

من اكثر الفئات المتضررة من العولمة هم الشباب، بسبب ما يعانونه من الفراغ الثقافي الذي يعيشه افراد المجتمع العراقي .

لقد تغير المجتمع الكربلائي بعد ٢٠٠٣ ،فهو لم يُعد ذلك المجتمع المحافظ في العادات والتقاليد والترابط الاسري ويخشون من العيب وينتخون للعرض والشرف كما في السابق ، فقد تراجعت هذه الفضائل .

للمستوى المعاشي والاجتماعي وفرص الغناء غير المبرر ، واتساع الفوارق ما بين افراد اصبحوا يمتلكون المليارات بعد ان كانوا محرومين ،واخرين نزل مستواه ،بعد فقدانهم ما كانوا يمتلكونه ، ، واجد العديد من الامراض الاجتماعية ، التي اصبحت من الصعب التخلص منها

انفتاح العراق على وسائل الاتصال الحديثة ، فاستغلها الشباب استغلالاً سلبياً ، وأثر ذلك في ثقافة وعادت وتقاليد المجتمع الكربلائي .

هناك عوامل داخلية اثرت في زيادة التغير في المجتمعات السكانية في محافظة كربلاء ، اهمها الهجرة الوافدة وهي على صورتين :

الاولى ــ انتقال عدد كبير من سكان المحافظات الجنوبية للبحث على العمل والاستقرار في كربلاء سواء كانوا قبل سنة ٢٠٠٣ وبعده ، ومن هاجروا اليها من المحافظات الشمالية بسبب الظروف الامنية بعد سنة ٢٠٠٣ ، سبب العديد من الاثار كالتغيرات الاجتماعية في الحشمة ،وانتشار الجريمة المنظمة و المخدرات والسرقات والتحرش ،فهي اغلبها ثقافات دخيلة تأثر بها الشباب الكربلائي واصبح من الصعب تمييز افراد المجتمع الكربلائي من المجتمع الدخيل .

إما الوجه الاخر ، فهم من عادوا الى العراق بعد سنة ٢٠٠٣ من خارج الدولة ، والذين تأثروا بالانفتاح الغربي وحاولوا ان ينقلوا تلك التجارب التي عاشوها ، فعملوا على فتح العديد من مطاعم الوجبات السريعة ،او صالونات الحلاقة المختلطة والتي اصبحت البنت تنتقل من كربلاء الى بغداد من اجل عمل شعرها تحت يد مصفف شعر ، أو التأثر بقصات الشعر الغربية او ركوب الدرجات الهوائية المختلطة أو حفلات وأعياد الحب المختلفة ،وغيرها من الثقافات الجديدة .

يعتقد الباحثان وانّ المستهدف الأول من نشر هذه الأفكار الغربية في مجتمعاتنا ، هو الدين الاسلامي ، لان امكانية نشر هكذا ثقافات وسرعة تقبل افراد مجتمعنا الاسلامي لها، يساعد على ضرب الإسلام ، ولهذا نلحظ أن في الآونة الاخيرة بدأت تنتشر تيارات تدعو الى الالحاد وترك الدين ، وقد تفاعل العديد من الشباب المراهقين مع هذه التيارات المتطرفة .

بالمقابل فإن سياسة الانغلاق لدى بعض الجهات الدينية ، قد سببت في خلق العديد من البيئات المتطرفة والتي اعطت صورة للمجتمعات الغربية على ان مجتمعات الاسلامية متطرفة ،بسبب تطرفنا وتشددنا والذي ساعد على حصول الغرب على نتاجات العولمة.

لقد تسبب الانفتاح الثقافي بعد سنة ٢٠٠٣ الى انخفاض كبير في مستوى التعليم وترك العديد من الشباب مدارسهم ،مما خلق مجاميع كبير من العاطلين عن العمل الذين اصبحوا قنبلة موقوتة للتطرف والإرهاب في العالم ،إذ بلغت معدلات البطالة في محافظة كربلاء وحسب الاحصائيات فمثلاً في سنة ٢٠٠٣ حولي(١٤٪)، إما في سنة ٢٠٠٥، فبلغت (١٧،٥٪) ، وفي سنة ٢٠٠٨ كانت (١٤،٢٪) [٦٨].

التوصيات :

مما تقدم في البحث ،من آثار تُخلفها العولمة الثقافية على مجتمعاتنا ، يُشير الباحثان ، إلى بعض التوصيات حول كيفية حماية أفراد المجتمع من المؤثرات الخارجية :

لابد من اخذ دور للكتّاب والمثقفين ورجال الدين المعتدلين ، في تبيان الاثار التي تترتب على هذا الانفتاح الثقافي الغربي والعمل على وضع خطط ودراسات توضح كيفية حماية المجتمع منه .

إعطاء دور الاسرة الذي غُيّب بعد التغيير ،من طريق متابعة أفرادها ومراقبة أبنائهم وبناتهم ، والاهتمام بالإرشاد الاسري .

تطبيق القانون في كيفية المحافظة على المجتمع ضد التدهور الحاصل ،و العمل على إنشاء مؤسسات تهتم بالأمن الاجتماعي .

العمل على حفظ حقوق المرأة ،ووضع قانون يصون العرض ضد التغيرات الثقافية التي حطت من شأن المرأة اجتماعياً واقتصادياً وثقافياً .

التعليم، عملت اغلب المؤسسات الغربية على تدمير التعلم في مجتمعاتنا ، لذا لا بد من الاهتمام بالتعليم ، من طريق المعلم والمنهج وصيانة الحقوق والواجبات ،وغرس القيم العلمية والتربوية لدى الطالب .

للعلماء دور كبير في كيفية التصدي لمغريات العولمة ،لذا من الضروري اعطاؤهم الدور الكافي ، في الية وضع الخطط البحثية لمعالجة الاضرار السلبية للعولمة .

التنمية الاقتصادية ومشاركة افراد المجتمع في بناء اقتصادهم الداخلي والعمل على توفير فرص عمل لهم .

وضع رقابة على الاعلام المتطرف والذي يعمل على تشويه صورة الاسلام وإنشاء قنوات معتدلة تعمل على تحسين صورة الإسلام الحقيقي للمجتمعات الغربية .

الهوامش

١) محمود عودة ،اسس علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١، سنة بلا ص ١٥و١٦ و١٧).

٢) محمود عودة ، المصدر نفسه ، ص١٧ .

٣) محمود عودة ، اسس علم الاجتماع ، ص ٧٩و٨٠.

٤) مهدي محمد القصاص ، علم الاجتماع الديني ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، مصر ، ٢٠٠٨، ص١٨

٥)محمد امين المصري ، المجتمع الاسلامي ، ط١، دار الارقم ، الكويت ، ١٩٨٠ ص ٨ـ ١١

٦) مهدي محمد القصاب ، علم الاجتماع الديني ، مصدر سابق ، ص٢١و٢٢.

٧) محمد امين امصري ، المجتمع الاسلامي ، مصدر سابق ، ص١٦ـ١٨

٨) محمود عودة ، اسس علم الاجتماع ، ص٨١.

٩) محمود عودة ، المصدر نفسه ، ص٩٢.

١٠) مهدي محمد القصاص، علم الاجتماع الديني ، مصدر سابق ، ص٢٢و٢٣

١١) سيد قطب ، نحو مجتمع إسلامي ، ط١٠ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٣ ، ص٦٥.

١٢) مهدي محمد القصاص ، علم الاجتماع الديني ،مصدر سابق ،ص٢٥.

١٣) مهدي محمد القصاص، علم الاجتماع الديني ،مصدر سابق ،ص٢٤و٢٥.

١٤) حسين عبد الحميد احمد رشوان ، السكان من منظور علم الاجتماع ، ط بلا، المكتبة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠١،ص ٥.

١٥) حسين عبد الحميد احمد رشوان ، المصدر تفسه ، ص ٥.

١٦*) إنّ السبب الحقيقي وراء الانخفاض السلبي لسكان محافظة كربلاء لهذه السنة لا يُعرف ،لكن الباحثين يعتقدان ، عدم دقة بيانات تعداد سنة ١٩٤٧ التفصيلية ولأسباب عديدة ، وإن تعداد ١٩٥٧ هو الاكثر دقة .

١٧*) إن هذا الانخفاض السلبي في سكان محافظة كربلاء في سنة ١٩٧٧ ، للسبب اداري ،وذلك لان النجف انفصلت عن كربلاء في هذه المدة واصبحت محافظة وحدها، إضافة الى ضم قضاء الهندية (طويريج) بنواحيها وقراها الى محافظة كربلاء .

١٨*) عدا محافظات اقليم كردستان (منطقة حكم ذاتي في ذلك الوقت)

١٩*) ارقام تخمينية صادرة من الجهاز المركزي للحصاء ،لعدم القيام الحكومة باي تعداد سكاني بعد سنة ٢٠٠٣م.

٢٠*) يُلاحظ ان هناك زيادة كبيرة في سكان المحافظة ، وهذه الزيادة نتيجة لعدة مصادر ، منها (الطبيعية ولادات ووفيات) والهجرة ،لان المحافظة جاذبة للهجرة وحصلت هجرة كبيرة للمحافظة بعد سنة ٢٠٠٣ ومنها للبحث عن العمل واخرى بسبب الظروف الامنية لباقي المحافظات ، واخرى خارجية (المغتربون الذين عادوا بعد تغير نظام الحكم في العراق في سنة ٢٠٠٣) وما بعدها

٢٢) علي عبد الرزاق جلبي ، علم إجتماع السكان ، ط٢، دار الميسرة ، عمان الاردن ، ٢٠١٢، ص ١٦٤).

٢٣) رياض ابراهيم السعدي ، الهجرة الداخلية للسكان في العراق ، ط١، دار لسلام ،بغداد ، ١٩٧٦، ص٢٧٧).

٢٤) فتحي محمد ابو عيانة ، جغرافية السكان ، ط٣، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٦، ص(٤١٤و٤١٥).

٢٥) رياض ابراهيم السعدي ، الهجرة الداخلية للسكان في العراق «١٩٤٧ــ ١٩٦٥»، مصدر سابق ص ٢٦٧ـ ٢٦٩.

٢٦) فتحي محمد ابو عيانة ، جغرافية السكان ، ط٨ ،مصدر سابق «ص٤٢٠».

٢٧) احمد علي اسماعيل ،اسس علم السكان وتطبيقاته الجغرافية ، ط٨، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٧، ص١٦٨و١٦٩.

٢٨*) مصطلح استعمله عالم الاجتماع –جورج ريتزر –في كتابه تحت عنوان (The McDonaldization of Society (ماكدونالدية المجتمع)، و هذه الحالة تحدث عندما يكون للثقافة صفة تشبه مطاعم الوجبات السريعة ، والماكدونالدية هي فكرة حديثة نسبياً ــ (المصدر ttps://ar.wikipedia.org/wiki/ماكدونالدية)

٢٩) بدر احمد جراح ، قضايا فيس العولمة (التربية ، السياسة ، الاقتصاد) ، ط١، المعتز للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ٢٠٠٩، ص٢٠ـ ٢٢.

٣٠) جان نيدرفين بيترس ، العولمة والثقافة «المزيج الكوني » ، ترجمة خالد كسروي ، ط١، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٥، ص(٩٥و٩٦).

٣١*) اسلوب الشركات المتعددة الجنسيات ــ عندما ترغب في الحصول على اسواق تحقق ارباحاً بعيدة الامد ،تعمل على تسويق تلك المنتجات بأسعار رخيصة وبمجرد ما يصبح المجتمع مدمن عليها تقوم بتقليل عملية التسويق بحجة انخفاض الانتاج او الكمية نفذت ولهذا يساعدها في رفع اسعارها لتحقيق ما تطمح اليه (هذا احد اساليب الاقتصاد الرأسمالي)

٣٢) حامد عبد حمد الدليمي ، إدارة الازمات في بيئة العولمة حالة دراسة لإعادة إعمار مدينة الفلوجة في جمهورية العراق ، اطروحة دكتوراه في ادارة الاعمال ، ٢٠٠٨ ص١٤٠.

٣٣) زغو محمد ، أثر العولمة على الهوية الثقافية للافراد والشعوب ، العدد ٤ ، مجلة الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية ، كلية العولمة القانونية والادارية ، جامعة حسيبة بن بو علي ، الشلف ــ الجزائر ، ٢٠١٠ ص٩٤.

٣٤) نافز ايوب محمد علي احمد ، انعكاسات العولمة على التعليم ، جامعة القدس المفتوحه ، فلسطين ، سنة بلا ،ص٦)

٣٥) هاشم بن محمد الزهراني ، الاثار الامنية للعولمة ، كلية الدراسات العليا ــ قسم العلوم الشرطية ـ قيادة امنية ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية ــ ٢٠٠٢ ص٤٨.

٣٦) هاشم بن محمد الزهراني ، الاثار الامنية للعولمة ، كلية الدراسات العليا ــ قسم العلوم الشرطية ـ قيادة امنية ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية ــ ٢٠٠٢ صو٤٨)

٣٧) نافز ايوب محمد علي احمد ، انعكاسات العولمة على التعليم ، جامعة القدس المفتوحة ، فلسطين ، سنة بلا ، ص٦.

٣٨) فلاح القريشي ، أثر العولمة في المجال التعليمي والتربوي ، مقال على موقع دراسات : http://www.siironline.org/alabwab/derasat/(٠١)٣٧٦.htm

٣٩*) يعتقد الباحثان ان هذا الجيش من الخرجين العاطلين عن العمل ، .. سبب ظهور تيارات متطرفة ، وسبب في انعدام الثقة بين المواطن والدولة ، وانخفاض الحس الامني و الوطني لدى المواطن ، وعدم رغبة المواطن في حماية الدولة عندما تحتاج اليه ــ وهو من سبب في سقوط العديد من الاراضي العراقية بيد الارهاب وحدوث صراعات داخلية ،لانه من واجبات الدولة عليها هم توفير مدخل للمواطن ، ومحاولة سد احتياجات ه، لان الفرد عندما يجوع يفعل كل شئ من اجل سد رمقه .

٤٠) أعياد عبد الرضا عبدال، المتغير التكنولوجي وأثره في قوة الدولة «دراسة تطبيقية في الجغرافية السياسية للعراق» ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ــ ابن رشد ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩ ،ص١٦٣).

٤١) لقاء مكي العزاوي ، تكنولوجيا الاتصال وظاهرة العولمة –التطور من اجل الهيمنة ، قسم الاعلام ،كلية الادب ، جامعة بغداد ، ص٥و٦.

٤٢) حسن نيازى الصيفي ، الفضائيات العربية في عصر العولمة ، «الفرص والتحديات .. الواقع والطموحات» ، ط١، مطبعة كلية الصحافة والاعلام ، جامعة الازهر ، مصر ، ٢٠١١ ،ص ٧١ـ ٧٣).

٤٣) حسن نيازى الصيفي ، الفضائيات العربية في عصر العولمة ،«الفرص والتحديات .. الواقع والطموحات»، ط١، مطبعة كلية الصحافة والاعلام ، جامعة الازهر ، مصر ، ٢٠١١ ، ص(١٧ــ ٧٣).

٤٤) لتشنر فرانك جي و جون بولي ، العولمة الطوفان ام الانفاذ ، ترجمة فاضل جتكر ، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٤ص(٥٠٠و٥٠١)

٤٥) عمر كامل حسن و عطا الله سليمان ، الجغرافية السياسية الجديدة للعالم العربي ، ط١ ، دار رسلان ، دمشق ــ سوريا ، سنة ٢٠٠٨ ص٤٦و ٤٧).

٤٦) مثنى مشعان خلف المزروعي، التأثيرات الجيوبولتيكية للعولمة على الوطن العربي ، سالة ماجستير (غير منشورة)،

كلية الاداب ،جامعة بغداد ،٢٠٠٢ ص٩٨و٩٩.

٤٧) هاشم بن محمد الزهراني ، الاثار الامنية للعولمة ، كلية الدراسات العليا ـــ قسم العلوم الشرطية ـ قيادة امنية ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية ـ ٢٠٠٢ص٤٧و٤٨)

٤٨) زغو محمد ، أثر العولمة على الهوية الثقافية للافراد والشعوب ، بحث مقدم الى مجلة الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية ، اعدد ٤، السنة ٢٠١٠ ص٩٩).

٤٩) محمد عمارة ، مخاطر العولمة عى الهوية الثقافية ، ط١ ، دار نهضة مصر ، ١٩٩٩المصدر ص٣٣و٣٤)

٥٠) صبري محمد خليل ، مفهوم المجتمع المدني (بين الفلسفة السياسية الغربية والفكر السياسي الاسلامي) ، ttps://drsabrikhalil.wordpress.com/٢٠١١/٠٦/٣٠/مفهوم-المجتمع-المدني-بين-الفلسفة-السي/ ،ص٣.

٥١) أوشن سمية ، دور المجتمع المدني في بناء الامن الهوياتي في العالم العربي «دراسة حالة الجزائر « ، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الحقوق و العلوم السياسية ،جامعة الحاج لخضر ـ باتنة ، الجزائر ، ٢٠١٠، ص ٢٦ـ٢٨).

٥٢) محمد مصلح الزغبي ،العولمة لثقافية واثارها على الوطن العربي ، الناشر «مؤسسة الفكر العربي ،بحث مقدم المنتدى العربي الخمس للتربية والتعليم ، كلية الدراسات الفقهية والقانونية ـ جامعة ال البيت ص٥و٦)

٥٣) عمر كامل حسن و عطا الله سليمان ، الجغرافية السياسية الجديدة للعالم العربي ، ط١ ، دار رسلان ، دمشق ـ سوريا ، سنة ٢٠٠٨ ص٤٣و٤٤.

٥٤) عمر كامل حسن و عطا الله سليمان ، المصدر نفسه ،ص٤٣و٤٤.

٥٥) زغو محمد ، أثر العولمة على الهوية الثقافية للافراد والشعوب ، مجلة الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية ، العدد ٤ لسنة ٢٠١٠ ، جامعة حسيبة بن بوعلي ـ الشلف / الجزائر المصدر ص «٩٦و٩٧.

٥٦) زغو محمد ،المصدر نفسه ص ٩٦و٩٧.

٥٧)زغو محمد ، أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب ، مجلة الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية ، العدد ٤ لسنة ٢٠١٠ ، جامعة حسيبة بن بوعلي ـ الشلف / الجزائر المصدر ص ٩٦و٩٧.

٥٨) محمد مصلح الزغبي ،العولمة لثقافية واثارها على الوطن العربي ، الناشر مؤسسة الفكر العربي ،بحث مقدم المنتدى العربي الخمس للتربية والتعليم ، كلية الدراسات الفقهية والقانونية ـ جامعة ال البيت ص٩ـ ١١.

٥٩) عمر كامل حسن و عطا الله سليمان ، الجغرافية السياسية الجديدة للعالم العربي ، ط١ ، دار رسلان ، دمشق ـ سوريا ، سنة ٢٠٠٨ ص ٤٩و ٥٠).

٦٠) خالد بن عبد الرحمن الشايع ، القنوات الفضائية وآثارها العقدية والثقافية والاجتماعية والامنية ، ط١، دار بلنسية ، سنة بلا ، ص(٢٤ـ ٣٢)

٦١) عمر كامل حسن و عطا الله سليمان ، الجغرافية السياسية الجديدة للعالم العربي ، ط١ ، دار رسلان ، دمشق ـ سوريا ، سنة ٢٠٠٨ ص ٤٩و ٥٠).

٦٢) عمر كامل حسن و عطا الله سليمان ، الجغرافية السياسية الجديدة للعالم العربي ، ط١ ، دار رسلان ، دمشق ـ سوريا ، سنة ٢٠٠٨ ص٥٤.

٦٣*) وهنا يطرح الباحث سؤالًا ـ لماذا اصبحت اللغة الإنكليزية لغة تتعامل بها اغلب الشعوب ،لماذا كل ما نبحث عنه موجود باللغة الإنكليزية ، وكل مراكز التسوق اصبحت باللغة الإنكليزية وجميع الشركات تتعامل باللغة الإنكليزية ، وهناك مدارس الاهلية اصبحت جميع دروسها تدرّس باللغة الإنكليزية وغيرها من اساليب نشر ثقافة الغرب في مجتمعاتنا ا لمتخلفة

٦٤) مثنى مشعان خلف المزروعي، التأثيرات الجيوبولتيكية للعولمة على الوطن العربي ، سالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب ،جامعة بغداد ،٢٠٠٢ ص١٣٥و١٣٦ .

٦٥) مثنى مشعان خلف المزروعي، التأثيرات الجيوبولتيكية للعولمة على الوطن العربي ، سالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب ،جامعة بغداد ،٢٠٠٢ ص١٣٦).

٦٦) جيرار ليكلرك ، العولمة الثقافية ـ الحضارات على المحك ، ترجمة جورج كتورة ، ط١، دار الكتب الجديدة ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٤ ص٤٢٥ و٤٢٦)

٦٧) محمد مصلح الزغبي ،العولمة لثقافية واثارها على الوطن العربي ، الناشر «مؤسسة الفكر العربي ،بحث مقدم المنتدى العربي الخمس للتربية والتعليم ، كلية الدراسات الفقهية والقانونية ـ جامعة ال البيت ص٥و٦)

٦٨) المجموعة الاحصائية السنوية ، الجهاز المركزي للحصاء ـ وزارة التخطيط ، جمهورية العراق ، ٢٠١٣.

المصادر :

١ .محمود عودة ،اسس علم الاجتماع ، دار النهضة العربية ، بيروت ، ط١، سنة بلا .

٢ .مهدي محمد القصاص ، علم الاجتماع الديني ، كلية الآداب ، جامعة المنصورة ، مصر ، ٢٠٠٨.

٣.محمد امين المصري ، المجتمع الاسلامي ، ط١، دار الارقم ، الكويت ، ١٩٨٠.

٤ .سيد قطب ،نحو مجتمع إسلامي ، ط١٠ ، دار الشروق ، القاهرة ، ١٩٩٣.

٥ .حسين عبد الحميد احمد رشوان ، السكان من منظور علم الاجتماع ، ط بلا، المكتبة الجامعية ، الاسكندرية ، ٢٠٠١.

٦ .علي عبد الرزاق جلبي ، علم إجتماع السكان ، ط٢، دار الميسرة ، عمان الاردن ، ٢٠١٢.

٧. رياض ابراهيم السعدي ، الهجرة الداخلية للسكان في العراق ، ط١، دار لسلام ،بغداد ، ١٩٧٦.

٨.احمد علي اسماعيل ،اسس علم السكان وتطبيقاته الجغرافية ، ط٨، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٧.

٩. علي عبد الرزاق جلبي ، علم اجتماع السكان ، ط٢، دار المسيرة للنشر والتوزيع ، عمان ــ الاردن ، ٢٠١٢.

١٠ .بدر احمد جراح ، قضايا فيس العولمة (التربية ، السياسة ، الاقتصاد) ، ط١، المعتز للنشر والتوزيع ، عمان ، الاردن ، ٢٠٠٩.

١١ . جان نيدرفين بيترس ، العولمة والثقافة «المزيج الكوني « ، ترجمة خالد كسروي ، ط١، المركز القومي للترجمة ، القاهرة ، ٢٠١٥.

١٢ .فتحي محمد ابو عيانة ، جغرافية السكان ، ط٣، دار النهضة العربية ، بيروت ، ١٩٨٦.

١٣ .محمد مصلح الزغبي ،العولمة لثقافية واثارها على الوطن العربي ، الناشر «مؤسسة الفكر العربي ،بحث مقدم المنتدى العربي الخمس للتربية والتعليم ، كلية الدراسات الفقهية والقانونية ــ جامعة ال البيت ، سنة بلا.

١٤ .إبراهيم خليل العلاف ، العولمة و مسؤولية تجديد وظائف التعليم العالي العربي ، مجلة دراسات اقليمية العدد ١٧ ، جامعة الموصل سنة ٢٠١٠ .

١٥ .احمد علي اسماعيل ،اسس علم السكان وتطبيقاته الجغرافية ، ط٨، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ، ١٩٩٧.

١٦ .حامد عبد حمد الدليمي ، إدارة الازمات في بيئة العولمة حالة دراسة لإعادة إعمار مدينة الفلوجة في جمهورية العراق ، اطروحة دكتوراه في ادارة الاعمال ، ٢٠٠٨.

١٧. زغو محمد ، أثر العولمة على الهوية الثقافية للافراد والشعوب ، العدد ٤ ، مجلة الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية ، كلية العولمة القانونية والادارية ، جامعة حسيبة بن بو علي ، الشلف ــ الجزائر ، ٢٠١٠.

١٨. نافز ايوب محمد علي احمد ، انعكاسات العولمة على التعليم ، جامعة القدس المفتوحه ، فلسطين ، سنة بلا .

١٩ .هاشم بن محمد الزهراني ، الاثار الامنية للعولمة ، كلية الدراسات العليا ـــ قسم العلوم الشرطية ـ قيادة امنية ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية ــ ٢٠٠٢.

٢٠ .فلاح القريشي ، أثر العولمة في المجال التعليمي والتربوي ، مقال على موقع دراسات :

21.http://www.siironline.org/alabwab/dera-sat(01)/376.htm

٢٢ .أعياد عبد الرضا عبدال، المتغير التكنولوجي وأثره في قوة الدولة «دراسة تطبيقية في الجغرافية السياسية للعراق» ، رسالة ماجستير (غير منشورة) ، كلية التربية ــ ابن رشد ، جامعة بغداد ، ١٩٩٩ .

٢٣.لقاء مكي العزاوي ، تكنولوجيا الاتصال وظاهرة العولمة « التطور من اجل الهيمنة ، قسم الاعلام ،كلية الادب ، جامعة بغداد ، سنة بلا.

٢٤.حسن نيازى الصيفي ، الفضائيات العربية في عصر العولمة ،» الفرص والتحديات .. الواقع والطموحات «، ط١، مطبعة كلية الصحافة والاعلام ، جامعة الازهر ، مصر ، ٢٠١١ .

٢٥. لتشنر فرانك جي و جون بولي ، العولمة الطوفان ام الانفاذ ، ترجمة فاضل جتكر ، ط١، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ـ لبنان ، ٢٠٠٤.

٢٦.عمر كامل حسن و عطا الله سليمان ، الجغرافية السياسية الجديدة للعالم العربي ، ط١ ، دار رسلان ، دمشق ــ سوريا ، سنة ٢٠٠٨.

٢٧.مثنى مشعان خلف المزروعي، التأثيرات الجيوبولتيكية للعولمة على الوطن العربي ، سالة ماجستير (غير منشورة)، كلية الآداب ،جامعة بغداد ،٢٠٠٢.

٢٨.صبري محمد خليل ، مفهوم المجتمع المدني (بين الفلسفة السياسية الغربية والفكر السياس الاسلامي ، ttps://drs-abrikhalil.wordpress.com/2011/06/30/مفهوم-المجتمع-المدني-بين-الفلسفة-

٢٩.أوشن سمية ، دور المجتمع المدني في بناء الامن الهوياتي في العالم العربي «دراسة حالة الجزائر « ، رسالة ماجستير مقدمة الى مجلس كلية الحقوق و العلوم السياسية ،جامعة الحاج لخضر ــ باتنة ، الجزائر ، ٢٠١٠.

٣٠.هاشم بن محمد الزهراني ، الاثار الامنية للعولمة ، كلية الدراسات العليا ـــ قسم العلوم الشرطية ـ قيادة امنية ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الامنية ــ ٢٠٠٢.

٣١.زغو محمد ، أثر العولمة على الهوية الثقافية للافراد والشعوب ، بحث مقدم الى مجلة الاكاديمية للدراسات الاجتماعية والانسانية ، اعدد ٤، السنة ٢٠١٠.

٣٢.محمد عمارة ، مخاطر العولمة عى الهوية الثقافية ، ط١ ، دار نهضة مصر ، ١١٩٩٩.

٣٣.عمر كامل حسن و عطا الله سليمان ، الجغرافية السياسية الجديدة للعالم العربي ، ط١ ، دار رسلان ، دمشق ــ سوريا ، سنة ٢٠٠٨ .

٣٤.خالد بن عبد الرحمن الشايع ، القنوات الفضائية وآثارها العقدية والثقافية والاجتماعية والامنية ، ط١، دار بلنسية ، سنة بلا .

٣٥.جيرار ليكلرك ، العولمة الثقافية ــ الحضارات على المحك ، ترجمة جورج كتورة ، ط١، دار الكتب الجديدة ، بيروت ــ لبنان ، ٢٠٠٤ .

٣٦.بيانات الجهاز المركزي للحصاء ، وزارة التخطيط ـ جمهورية العراق ، للسنوات من (١٩٤٧- ٢٠١٥)م .

٢١.٣٧ *) تعداد ١٩٩٧ ــ عدا اقليم كردستان ،إما في حالة اضافة الاقليم ـ تقديراً يصبح سكان العراق (٢٢٠٤٦٢٤٤) نسمة .

٣٨.ملاحظة : ١٩٤٧ و١٩٥٧و١٩٦٥و١٩٧٧و ١٩٩٧و١٩٩٧ ـ تعدادات سكانية رسمية ، وباقي السنوات تخمينات وتقديرات ، لكن كل الارقام صادرة من الجهاز المركزي للإحصاء (وزارة التخطيط)

الهويّة والتعدديّة الثقافيّة
قراءة في ضوء أيدولوجيات الأمن الثقافي
النص الروائي العراقي أنموذجا

Identity and Cultural Diversities: Reading in Light of Cultural Security Ideologies (Iraqi Novel as a Nonpareil)

أ.د كريمة نوماس محمد المدني
جامعة كربلاء/ كلية التربية للعلوم الانسانية

Prof. Dr. Kareema Numas Muhammad Al-Madani , College of Education for Human Sciences , University of Karbala

ملخص البحث:

تعدُّ الحرب وما تخلِّفه من مصائب وكوارث على المجتمعات من أشدِّ علامات التاريخ وضوحا وأبرز أعماله ارهابا ،لأنها تحطم أغلب الحضارات وتقتل الهوية والانتماء الحقيقي ؛ وسؤال الهوية سؤال وجودي تبحث فيه الذات عن زمن تحققها في مختلف الفضاءات الثقافية والحضارية ،لاسيما بعد اجتياح عاصفة العولمة في أغلب البلدان العربية وسط الرهانات، والصراعات السياسية ،والايدولوجية لترسيخ مفهوم الاستقرار والمواطنة ومنحها الأمن الروحي والخلقي لتحقيق كينونتهم الوجودية ،وبخاصة بعدما شهدته الساحة العربية ومنها بلدنا العراق من تنوع ثقافي خلَّفته التعددية الثقافية التي انمازت بوصفها ايدولوجية سياسية ومنظومة فكرية للتعامل مع المجتمعات ، ومعالجة واقع اقليات لغوية ، قومية ، عرقية ، دينية في مجتمع الأغلبية فتميزت هذه التعددية بتركيزها على أهمية الوعي بالذات الجماعية ؛ ولعل أبرز ما وقفت عليه الرواية العراقية بعد ٢٠٠٣م هو طرح مسألة الهوية ، وحالة التشظي والتردد والتأرجح بين الانتماء الحقيقي للبلد وللانتماء ، وأثر تيارات العولمة الثقافية في المجتمعات.

فحاولت هذه الدراسة جاهدة بيان هذه المسألة على وفق النظريات الايدولوجية للأمن الثقافي لمعالجة الواقع العراقي في ظل ما يعيشه من صراعات.

وقد انتظمت الدراسة في أربعة محاور، اهتم المحور الأول بإيضاح مفهوم الهوية ؛اما المحور الثاني فاهتم بإيضاح مفهوم التعددية الثقافية اما المحور الثالث فاهتم بدراسة تفاعل الهوية والتعددية الثقافية ،اما المحور الرابع والاخير فدرست فيه نماذج من المنجز الروائي العراقي (روايات علي بدر تحديدا) لبيان تعدد الثقافات في المجتمع .

Abstract:

War is the most terrorist act in history, destroys civilization, and erases identity and true loyalty. Searching for identity is a life-death stance to find a niche in the world all the communities endeavor to have, in particular after the globalization wave prevails in the Arab homeland .Establishing the concept of nationality identity is a way to have identification, Iraq is one of the countries that confronts a state of anarchy and divergence, the post invasion, 2003, –Iraq novel tackles such attitudes. The current study consists of four sections , the first clarifies the concept of identity , the second does the concept of pluralism , the third does the interaction between the identity and pluralism , the last one studies the fictional Iraqi products , novels of Ali Badr to manifest the diversity of cultures in the community .

أولاً:مفهوم الهوية :

تزخر المعجمات العربية والدراسات الأكاديمية بالكثير من التحديدات لمفهوم الهوية، وربما تأتي الصعوبة من إيجاد تعريف محدد لمفهوم الهوية؛ لان هذا المفهوم غامض ومعقد ومتشعب المداخل تتفاعل داخله حقول معرفية عدة، وتتصارع ديناميات ((الأنا)) و((الآخر)) و((الـ نحن)). وقد شكل مفهوم الهوية إشكالية مؤرقة غير قابلة للتجاوز في مختلف الفضاءات الثقافية والحضارية.[١]

وتعد الهوية هي التعبير عن حقيقة الأشياء المطلقة المشتملة على صفاتها الجوهرية التي تميزها من غيرها، فهي تمثل قيماً جوهرية تتنزل في واقع تتجدد فيه بفعل فهم الإنسان وإدراكه وديناميته تحكمه وتحدُّ من مدارات حريته.[٢]

ويمكن القول ان الهوية هي القيم المطلقة والخالدة التي تسهم في صوغ حقيقة الإنسان الممكنة كحقيقة تتأسس عليها امكانية ذهابه في رحلة تحمله الى كمال محتمل؛ ولأن الهوية تماثل النواة أو البذرة من حيث ممكنات تحولها الى شجرة أو نبتة، إذ كلاهما جوهر كامن قابل للانخراط في صيرورة تحوله؛ فان الهوية هي ثابت الإنسان وتحولاته، أو هي الجوهر المجرد وتجلياته العيانية الممكنة والمتغايرة والمتحولة في سياق سيرورة دائمة.[٣]

وقد عرّفها المفكر الفرنسي اليكس ميكشيلي بأنها: ((عبارة عن منظومة متكاملة من المعطيات المادية والنفسية والمعنوية والاجتماعية تنطوي على نسق من عمليات التكامل المعرفي وتتميز وحداتها التي تتجسد في الروح الداخلية التي تنطوي على خاصية الإحساس بالهوية والشعور بها، والهوية هي وحدة المشاعر الداخلية التي تتمثل في وحدة العناصر المادية والتمايز والديمومة والجهد المركزي)).[٤]

وهذا يعني ان الهوية هي وحدة العناصر المادية والنفسية المتكاملة التي تجعل الشخص يتمايز عمن سواه ويشعرُ بوحدته الذاتية.

أما في المنظور الاجتماعي، فلا يُنظر للهوية على نطاق الفرد فحسب، وإنما ينظر لها وفق رؤية جماعية، ومن هذا الشعور، القومي نفسه يستمدُ الفرد إحساسه بالهوية والانتماء، ويشعر بأنه ليس فرداً فحسب، وانما يشترك مع عدد كبير من افراد الجماعة في عدد من المعطيات والمكونات والأهداف، وينتمي الى ثقافة مركبة من جملة من المعايير والرموز والصور.[٥]

وعليه يمكن القول ان الهوية وعي للذات والمصير التاريخي الواحد من موقع الحيز المادي والروحي الذي تشغله في البنية الاجتماعية، وبفعل السمات والمصالح المشتركة التي تحدد توجهات الناس وأهدافهم لأنفسهم ولغيرهم وتدفعهم للعمل معاً في تثبيت وجودهم والمحافظة على منجزاتهم وتحسين وضعهم وموقعهم في التاريخ.[٦]

وعليه عُرّفت الهوية من منظور جماعي بأنها: ((السمات المشتركة التي تتميزُ بها جماعة معينة من الناس وتعتزُ بها)) أو هي ((مجموعة المفاهيم العقائدية والتراثية لجماعة ارتبطت بتاريخ وأصول انسانية ومفاهيم فكرية أدتْ الى افراز سلوك فكري وقيمي مترجم بأدب وفن وفلكور جعل من تلك الجماعات ذات شخصية مميزة عن غيرها)).[٧]

فالهوية إذن مجموع السمات الروحية والفكرية والعاطفية الخاصة التي تميز مجتمعاً بعينه وطرائق الحياة ونظم القيم والتقاليد والمعتقدات وطرائق الإنتاج الاقتصادي والحقوق.[٨]

ومن هنا نفهم ان مفهوم الهوية لم يكن متوقفاً على الذات الفردية بل اتسع مداه داخل العلوم الاجتماعية لكي يشمل الهوية الاجتماعية والهوية الثقافية والهوية العرقية (السلالية) وهي جميعها مصطلحات تشيرُ الى توّحد الذات مع وضع اجتماعي معين أو مع تراث ثقافي معين او مع جماعة سلالية.[٩]

وكثيراً ما نرى دمج مصطلح الهوية مع مصطلح (الثقافة) التي هي في الحقيقة تشكل جزءاً من مفهوم الهوية وليس كله.

وقد عُرّفت الثقافة بأنها ((ذلك التراث الحضاري ومنهجية التفكير وأسلوب العيش والمعاملة اي تلك الأمور التي تنطلق من ذاتية وشخصية الأنسان بما هو عليه من صفات كالخير والعدل وتلك الطاقة العلمية الكامنة التي تستخدم في مجالات الحياة التي تميّز مجتمع عن مجتمع آخر)).[١٠]

فالثقافة تشكلُ جوهر الهوية وعمودها، والعلاقة بينهما متلازمة، فالعلاقة بينهما ليست علاقة السابق باللاحق، حيث يصعب القول بأسبقية أحدهما على الآخر، فالعلاقة بينهما علاقة تلازم فمن المستحيل ان تُشكل الهوية خارج نطاق الثقافة، كما ان الثقافة هي التي تُعطي الهوية معناها ومبناها وتُضفي عليها طابعاً خاصاً يجعلها مختلفة عن غيرها من الهويات والثقافات الأخرى، ولا يتم ذلك بمعزل عن الجماعة الاجتماعية التي تنتمي الى هذه الثقافة او تلك الهوية، فالفرد- الذات الفردية- والجماعة (الذات الجماعية) هي التي تنتج الثقافة وتعيد انتاجها وتضفي عليها طابعاً خاصاً هو يُدعى (هوية) يجعلها متمايزة وذات خصوصية ثقافية تنفرد فيها.[١١]

ثانياً: مفهوم التعددية الثقافية:

قبل ان نتعرف مفهوم التعددية الثقافية علينا ان نفهم معنى الهوية الثقافية وهي تلك المبادئ الأصلية السامية والذاتية النابعة من الأفراد والشعوب، وتلك الركائز الإنسانية التي تمثلُ كيان الإنسان الشخصي والروحي والمادي بتفاعل صورتي هذا الكيان لإثبات هوية أو شخصية الفرد أو المجتمع أو الشعوب، بحيث يحسُّ ويشعر كل فرد بانتمائه الأصلي لمجتمع ما، يخصصه ويميزه من باقي المجتمعات الأخرى.[١٢]

والهوية الثقافية تمثل كل الجوانب الحياتية والاجتماعية والسياسية والحضارية والمستقبلية لأعضاء الجماعة الموّحدة التي ينتمي إليها الأفراد بالحسّ والشعور الانتمائي لها.

وهي ايضاً تمثل ذاتية الإنسان ونقاءه وجمالياته وقيمه بحيث تكون المحرك لأيّ حضارة أو أمة في توّجهها و ضبطها، اي هي التي تحكم حركة الإبداع والإنتاج المعرفي.[١٣]

وتتمثل عناصر الهوية الثقافية بما يأتي:[١٤]

العقيدة والدين: ويُعد الدين أوّل عنصر من عناصر الهوية الثقافية.

اللّغة: وتعد اللّغة اللسان الثقافي الأساس للهوية الثقافية للأفراد الشعوب وهي عامل اختلاف ثقافة عن أخرى، وهي ايضاً أسلوب للتواصل والاحتكاك وإثبات الهوية وتأكيد وجودها.

التاريخ والماضي: يمثل التاريخ والماضي المشترك للأفراد والشعب ما يعبّر عن هوية أساسية لعناصر الهوية الثقافية.

العادات والتقاليد والأعراف: هذه هي المجالات من صميم هوية المجتمعات من خلال اتباع سلوكيات معينة والتصرف والتعامل وفقاً لثقافة تنظيمها العادات والتقاليد والأعراف.

العقد الاجتماعي والسياسي: ان لكل دولة عقداً اجتماعياً من خلال مبادئ وثوابت المجتمع فيها وما يطابقه من تصور وطموح سياسي مبني في مرجعية العقد الاجتماعي.

الحقوق وتتمثل بكيفية رؤية كل دولة او شعب للحقوق والحريات المختلفة.

ويرى بعض الباحثين ان الهوية الثقافية هي شعور أفراد أو جماعة ما بالانتماء الى ثقافة مشتركة، وما تؤمن به من معتقدات وأفكار عن أصولها الاجتماعية ومواطنها و موروثها التاريخي وطريقة حياتها وما

يؤديه ذلك من دور فعّال في ربط اعضاء الجماعة بعضهم ببعض على النحو الذي يجعلهم متماثلين في نمط حياتهم ومعتقداتهم وكذلك يجعلهم متباينين عن ذوي الثقافات الأخرى وأنماط حياتهم.[١٥]

ومن هذا المفهوم فان أيّ هوية ثقافية تقوم بوظيفتين جوهريتين، فمن جهة هي قطب الرحى في إكساب اعضائها الانتماء المشترك، وذلك من خلال توليد الاعتقاد بتماثلهم في الأصول والمعتقدات والموروث الثقافي عموماً، ومن جهة أخرى تعمل الهوية الثقافية بإبعاد كل مَنْ لا ينتمي إليها واقصائه عن تلك الجماعة، أي انها اداة للتميز بين المنتمين وغير المنتمين إليها.[١٦]

وهاتان الوظيفتان يُطلق عليهما تسمية (التباينات الثقافية) على أساس ان الهوية الثقافية لا تتولد من ذاتها، وانما تتفحص بفعل التباين والتمايز عن الآخر الذي يتوطن المكان والزمان عينهما، بحيث تبرز التباينات في شتى مكونات الثقافة وهي اللغة والدين والأصل القومي والأثني والمواطن الجغرافي.

وخلاصةُ القول ان الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم هي القدر الثابت والجوهري المشترك من السمات والمسميات العامة التي تميز حضارة هذه الأمة عن غيرها من الحضارات والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية طابعاً تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى.[١٧]

ثالثا- الهوية والتعددية الثقافية:

وفي ضوء ما تقدم يُعرّف مفهوم التعددية بأنَّه الإيمان بوجود العديد من طرق الحياة العقلانية لعيش حياة حرة كريمة والتعددية هي تنوع قائم على تميز وخصوصية فهي لا يمكن ان توجد إلاَّ بالمقارنة بالوحدة وضمن إطارها، فلا يمكن إطلاق التعددية على التشرذم والقطيعة.[١٨]

وبهذا تتحول الهوية من منطق الوحدة الى التعدد ولم تصبح الهوية مجرد كينونة جامدة وجوهراً خالصاً بل خليطاً من التمازجات والتداخلات والتفاعلات الثقافية المركبة؛ لذلك فإن الهوية ليست فعلاً نهائياً؛ بل انها حضور حيّ متجدد مفتوح على التعدد والاختلاف متفاعل مع الزمن والمكان، فمفهوم الهوية في صورته الحصرية التبسيطية كل فرد له هوية واحدة ثابتة يتحدد ويتمايز بها ويقوم بنفسه على أساسها.[١٩]

والجدير بالذكر أن الهوية لا تعني الثبات والتوقع على الذات بل انها تفتح إمكانيات التغيير ولذلك لابدَّ من تطويرها كضرورة لبروز هوية ديناميكية قائمة على استمرارية الذات وقابليتها للتحول والتجدد والتعدد واحترام الآخر وهذا ما يجعلها تتكيف وتتفاعل بشكل ايجابي مع العولمة.[٢٠]

وفي هذا الإطار يرى الفيلسوف التونسي فتحي تريكي ان الهوية هي أسلوب للمتوقع في العالم ولابد من التفكير العميق في التفاعل الجدلي بين الهوية والعولمة وفي الأبعاد الاستراتيجية للهوية كأداة للاحتماء من المخاطر والمساوئ المحتملة للعولمة وللحفاظ على الذات دون التوقع والانعزال عن العالم.[٢١]

ويبدو أنَّ هناك عوامل ثقافية وأخرى سياسية ساعدتْ في تشكيل التفاعلات الاجتماعية والسياسية أدتْ الى تعدد الهويات وبروز الهوية الثقافية، واتخاذ أبعاد تصارعية حادة داخل المجتمعات، في الوقت الذي تراجعت فيه الانتماءات الأيديولوجية وتفككت الأسس المرجعية والفكرية للإنسان والمجتمعات فازداد تأزم المنظومات القيمية والأخلاقية بفعل النزوع المتزايد نحو القيم المادية والاستهلاكية واصبحت الهوية ضائعة ومشتتة ومتعددة.[٢٢]

وفي هذا الجدال يرى أمين معلوف في كتابه ((الهويات القاتلة)) أن الهوية مفهوم معقد فهي ليست مُعطى ثابتاً؛ بل تتشكّل وتتحول باستمرار والعولمة المتسارعة والتحولات الجذرية التي يعيشها العالم أوجدت قلقاً وجودياً قوّى من الحاجة الى الهوية ولذا يجب التفكير بشكل مستعجل في مفهوم جديد للهوية وفي مقاربة جديدة للديناميات الهوياتية للخروج من مأزق الخيار الصعب بين التأكيد المهووس للهوية وفقدان اي إحساس بها.[٢٣]

ومن هنا تأتي ضرورة تشجيع بروز هوية تجمع كل الانتماءات وفي داخلها يكون انتماء الى الجماعة الإنسانية هو الانتماء الرئيس لكل البشر لكن دون ان يؤدي ذلك الى إقصاء الانتماءات المتعددة الخاصة بكل شعب وفرد.[٢٤]

وهذا ما يجعل من الأهمية بمكان توضيح أن الأفراد والفاعلين في المجتمع هم الحاملون الحقيقيون للهويات التي هي ليست مُعطى ثابتاً بل إنها إنشاء وبناء مستمر ومتواصل.

ومن هنا تُعرفّ التعددية الثقافية بانَّها ((نظرية ومنظومة فكرية وسياسية في التعامل مع التنوع الثقافي، بحيث تستندُ الى فكرة اقتسام السلطة ما بين الجماعات الثقافية في مجتمع ما، وعلى أساس المساواة والعدالة الثقافتين للتعامل مع أقليات لغوية قومية، عرقية ودينية في مجتمع الأغلبية))[٢٥].

فالتعددية الثقافية من حيث كونها نظرية سياسية هي بمنزلة اعتقاد أو فرض يحاول سبر أغوار جديدة تتناول المرجعية الفكرية للدولة، الأمة بالتعديل او التغيير بما ينسجم وطبيعة التنوع الثقافي للمجتمع[٢٦]

وقد عُرفت هذه النظرية (التعددية الثقافية) بتركيزها على أهمية الوعي بالذات الجماعية، فهي تعني تجربة حياة اي تجربة العيش في مجتمع أقل انعزالية وضيقاً في الأفق، و أقلّ تجانساً، وأكثر حيوية وتنوعاً، اي تجربة عيش في مجتمع تعددي ومتسامح فكرياً ومتنوع في تكويناتِهِ ثقافياً واجتماعياً بحيث يغدو الموقف من شتى الثقافات متفتحاً وايجابياً، أو على الاقل يشتملُ على احترام الناس وايلائهم التقدير والاهتمام من خلال الاعتراف بحقوقهم في اختيار طريقة الحياة التي يريدون عيشها.[٢٧]

رابعا – نماذج من المنجز الروائي العراقي على تعدد الثقافات وأثره في المجتمع.

كان الواقع العربي– بمختلف أبعاده السياسية والاجتماعية– الملهم الأكبر للرواية العربية– والعراقية على وجه الخصوص، ولاسيما أن الأدب منوط به التعامل مع الظواهر والمستجدات ورصدها حتى يكون شاهداً ودليلاً على الواقع وما يمرُّ به الوضع الراهن والماضي.

والمتتبع للنتاج الروائي يجد ان الحوادث الواقعية التي يمرُّ بها بلدنا وما مرَّ بها في الأعوام السابقة كانت ماثلة في ذلك السرد الروائي وان دلتْ على شيء فانها تدلّ على رغبة الروائي في تصوير الواقع بكل ما يحملُ من متغيرات ومستجدات وتطورات، وتشكل الرواية العراقية أكبر شهادات على الأوضاع السياسية والاجتماعية والأخلاقية التي يمرُّ بها بلدنا العراق على تعدد التيارات واختلافها منذ تولي نظام العهد البائد الى دخول الأمريكان الى وقتنا هذا ولهذا فإن الروايات المعاصرة تشكلُ شهادة على واقع سياسي واجتماعي واخلاقي متدنٍ، ولقد كانت حتمية انهيار هذا الجيل وفشل الطاقات التي ولّدت مرحلة الثورة وما تلاه من أجيال وما دار من معظم الموضوعات المشتركة حول زوال هذا الوهم في تلك المدة.

ان تعدد الأيدولوجيات تحت غطاء سقفٍ واحد لشعب واحد يؤدي الى حتمية انهيار الوحدة بين افراد الشعب الواحد وتؤدي الى تفككهم وتمزق نسيج تماسكهم ولا سيما بعد دخول العولمة الكونية بمختلف ابعادها السياسية والثقافية والأخلاقية.

ويمثلُ المنجز الروائي لـ علي بدر من أهم المنجزات الروائية العراقية التي رصدتْ الأحداث والوقائع التي شهدها الشعب العراقي، فلقد وظفّها الروائي توظيفاً فنياً تعكس حالة التشظي والتعدد الثقافي والتنوع الأيديولوجي بين ابناء الشعب العراقي في ظل الوعي الجمعي، اذ يشير بمشاهد كثيرة ومركزة على شخصيات الرواية الى تلك الثقافات والمعتقدات المظلة التي استوردها الشباب العراقي من الغرب.

فنجد الروائي على بدر في روايته ((بابا سارتر)) يوّجه نقداً لجيل الستينيات والثقافة العلمانية والوجودية التي استقطبها الشباب العراقي من فرنسا وفلسفة سارتر الوجودية

اما في روايته (الركض وراء الذئاب) انتقد بشكل لاذع الحركة الأيديولوجية الشيوعية وعلى أساس الاهتمام بنقد هذه الأيديولوجيات انخرطت روايات علي بدر في صفحات عديدة ومشاهد كثيرة ومركزة بنقد سياسي مباشر، أخرج النصّ الروائي احياناً من الفضاء الفني الى المساجلة الفكرية.

أما روايته الثالثة فهي (صخب ونساء وكاتب مغمور)في روايته هذه تظهر حالة التعدد المذهبي والتنوع الثقافي واختلاف الأثنيات واللغات في بلد واحد ، بل يتجاوز الأمر في شارع عراقي واحد وفي عقد التسعينيات اذ كانت الأوضاع الأمنية للبلاد مضطربة جدا بسبب الحروب التي خاضها النظام البائد ولم يترك فرصة لشعبه ان يتنفسوا الأمن والاستقرار، اذ كانت العقوبات الدولية على العراق والتي تسمى في الرواية بزمن الحصار .

وهنا يمكن القول: ((ان النصّ الأدبي- وبالخصوص الروائي- لا يكون متناظراً مع الواقع ولا هو حاكٍ عنه، ولا هو بخارج عنه أو بديل له وانما هو جزء من امتداد الوجود ذاته وجزء من حركة الاصطلاح بنار الحياة حيث لا يكون البديل عنها او الخروج منها سوى العدم)).[٢٨]

وسنأخذ في الصفحات القادمة من البحث نماذج من الروايات المذكورة(بابا سارتر) و(الركض وراء الذئاب) و(صخب ونساء وكاتب مغمور) لنتبين تعدد الثقافات وتنوعها واضطراب الأفكار وتشتتها مما يؤدي الى ضياع الهوية الحقيقية للأفراد.

نماذج من رواية بابا سارتر لـ علي بدر

ففي روايته هذه يتحدث عن نخبة مثقفة من الشباب العراقي ممن يؤمنون بالوجودية فهو يختار لنا شخصاً عراقياً كان قد سافر الى بلاد الغرب ليدرس لكنه لم يعد بشهادته التي سافر لأجلها بل عاد بفكر الوجودية، انه شخصية عبد الرحمن الذي لقب بسارتر العرب وحسب ظنه ان سارتر الفيلسوف الفرنسي أوفده لإنقاذ الأمة وخلاصها من حالات التشرذم التي أوقعها بها الخمسينيون، وان حياته كانت كاملة وصافية وكانت نموذجاً من العظمة والجمال لأنه لم يبدأها مثل الآخرين بعيوب خطيرة.[٢٩]

يقول في المساء ألقيتُ نفسي أمام الآلاف من الأوراق، والوثائق والصور الفوتوغرافية والمعلومات والملاحظات التي تتحدث عن فيلسوف العراق، كلها تتحدثُ عن شخصية واحدة فذة، شخصية فريدة من نوعها شخصية تختصر العالم المأساوي لمجتمع بأكمله، شخصية تقدم الوحدة التراجيدية لأمة بأكملها، ولكن كان عليَّ- وأنا أدرك التأثير المدمر للشخصية الخيالية التي ترتفع الى مصاف الآلهة.

لم يكن يفهم أحد منهم هذا التعدد المذهل داخل الشخصية وهذه التناقضات ذات الطاقة الفعالة وهذا الاختلاف البشري الحقيقي الذي يمنح الشخصية امتيازاً لا خللا.[٣٠]

كان الشاب العراقي عبد الرحمن متَّيماً بالفيلسوف الفرنسي الوجودي صاحب الفلسفة الوجودية ((سارتر)) وقد نقل هذه الفكرة من باريس الى بلده العراق، إلا ان لغة عبد الرحمن الفرنسية لم تكن تهيِّئه للخوض في حديث عنها مع عملاق الوجودية رغم لقائه به مرات عدة.[٣١]

وكأنَّ هذه المشاهد الأولى تمثل النواة المركزية التي استدعت باقي الأحداث لقد عرض لنا الروائي صورة مركزة ومكثفة ،لكنها عينة صادقة عن واقع الشعب العربي الذي اتخذ اشكالاً عدة من التأثر بالثقافات الغربية فكانت (الوجودية) هي أحدى الأيديولوجيات التي تبناها مجموعة من العراقيين المثقفين ،عاد عبد الرحمن من باريس الى بغداد أوائل الستينيات عودة أبدية عادَ مع زوجته الفرنسية الى بلادِهِ مُعللاً النفس بحياة فلسفية دون شهادة في الفلسفة، فاستقبله المثقفون بعاصفة من التصفيق، والتشجيع، فأطلق عبارته الشهيرة (ما معنى الشهادة في عالم لا معنى له) فصرخ أحد الجالسين في وجهه مثل المجنون ((هل كان سارتر فيلسوفاً بشهادتهِ أم بفلسفته؟

وقد تأثر به مجموعة من الشباب العراقي من أبرزهم أصدقاؤه عباس، وسلمان،أهم مثقفي الستينيات فما بعد.

كان ذلك في عصر يوم من ايام الصيف اللاهب من عام عودته من باريس في مقهى البرازيلية أمام سلمان الصافي وعباس فلسفة فقلبوا الكراسي بجنون أمامه وصرخوا وهاجوا وماجوا أمام هذه العبارة الفلسفية المدهشة لقد تعتعهم الفيلسوف بهيئته ،وفي الواقع أصبح الاثنان عباس فلسفة وسلمان أهم مثقفي الستينيات فيما بعد .

لقد طارَ المثقفون الشباب العراقيون فرحاً بهذه الفلسفة العملاقة التي كتبَ عنها سهيل ادريس في (مجلة الآداب) منذ الخمسينيات وعبد الرحمن بدوي في (الكاتب العربي)، ثم جاء بعدهم الشاب عبد الرحمن في الستينيات من باريس لينقل لهم ما رآه وخبره وعرفه بنفسه.[٣٢]

كان عبد الرحمن ينقل أفكاره الوجودية الى أصدقائه، كان يعرضُ حججه، من أهمها حجته الوجودية، اذ يقول ((ان الذي يكتب هو مَنْ يُومن بشيء ذي جدوى، يؤمن بحياة ذات معنى وينتظر مكسباً (وكيف لي أن أؤمن بعالم خالٍ من المعنى)) فقامت الدنيا ولم تقعد، جيل بأكمله لا يكتب.[٣٣]

لانه لا يريد ان يجعل من نفسه من صُنّاَعَ هذا العالم الوهمي المخادع، لانه لا يريد أن يكون مخدوعا لانَّه لايريد ان يكون جزءاً من هذه الترسانة التي حبّها الاستعمار والرجعية والجاحدون.

كان عبد الرحمن يمثلُّ شخصية عجيبة في مجتمعِهِ تكمن الأعجوبة حين يجدونه منزوياً يطيل التأمل والتفكير بالوجود وبعبثيته وعدمه، كان يلذ لهم ان يتحدث الفيلسوف بلغة غريبة، صعبة معقدة عن الوجود لذاتِهِ والوجود من أجل ذاته، وكان هو يعجبه ان يرى تألقه السريع وشهرته.[٣٤]

وتتوالى الأحداث والوقائع الوجودية فعبد الرحمن الذي عاش حالماً بتلك الفلسفة العبثية ووصلت معه الأحداث ان زوجته المواطنة الفرنسية جرمين التي تزوجها من بلاد سارتر الوجودي بعد ان انجبت منه طفلين أسماهما (عبث وسدى) ما عادت تؤمن بفلسفته الفارغة فتركته وتفرغت لحياة الأمومة مع ابنتها وولدها ((لقد شعرتْ ان هاوي الوجودية موسوس حقيقي، مريض، لا شفاء لوجوديته، ولكنها بعد أن عادت الى بغداد عاقبته بتوقفها التام عن الغثيان، لم تعد تعبأ كثيراً لا بفلسفته، ولا به، عادت الى حياتها دون الشعور بالمظاهر الوجودية التي كانت تنتابها...)).[٣٥]

نماذج رواية الركض وراء الذئاب لـ علي بدر

إما في روايته (الركض وراء الذئاب)) فقد وجّه نقداً للحركة الشيوعية التي سادت البلاد، وما زالت على الرغم من كلِّ عوامل القمع ضد هذه الحركة.

هذه الرواية تعرض الأحداث التي مرَّ بها الشعب العراقي بكل مكوناته وظهور هذه الأيديولوجيات المختلفة التي أثرت في هويته وأدت الى تفسخ وحدتهِ وتضامنهِ، فمن هذه الحركات هي الشيوعية يعرض الروائي (علي بدر) في هذه الرواية لنخبة من الشباب العراقي الذين تأثروا بمفهوم الحركة الشيوعية، يحكي لنا عن لسان بطل الرواية الذي يعمل في قناة أو وكالة الصحافة التي يُطلق عليها المثقفون والصحفيون ومقدمو البرامج السياسية ((أم آي سي)) الذين طلبوا منه ان يكتب تقريراً صُحفياً مفصلاً عن مجموعة من الثوار العراقيين وهم من الماركسيين او من التروتسكيين، كانوا قد غادروا بغداد ايام الستينيات والتحقوا بالثورة العالمية ضد المصالح الغربية.

إذ يقول: ((كان الأمر بسيطاً جداً، كان هؤلاء الثوار قد نزحوا من بغداد نحو الأهوار ليشعلوا الثورة ضد الدكتاتوريين العسكريين وبعد ان دعمنا الدكتاتورية نحن- الأمركيين تحديداً- لندحرهم هاجروا الى افريقيا ليشعلوا الثورة هناك ضد الشركات الاحتكارية للأمراء والفاسدين، لندحر هؤلاء المتمردين، وها نحن اليوم قد تغيرنا، أصبحنا نبحث عن أولئك الأشخاص الذين ذخرناهم وعذبناهم وأنهينا ثورتهم، أين هم؟ ما هي اسماؤهم؟ عناوينهم؟ حياتهم في العراق، افكارهم السياسية.

ويسرد لنا بطل الرواية العراقي المغترب الذي يعمل في أمريكا محللا سياسيا في تلك الوكالة الصُحفية ،حين طلبوا منه هذه المهمة بالسفر لأفريقيا لكتابة تقرير عن الثوار الشيوعيين العراقيين القديمة إذ يقول:(اكثر المنفيين هنا هم من انصار الشيوعية القديمة الذين أطاحَ البعثيون بهم بمساعدة الأمريكان في السبعينيات، أما المنفيون الجدد فهم البعثيون الذين أطاح بهم الأمريكان بمساعدة الشيوعيين الذين لجأوا الى امريكا أواخر السبعينيات وأصبحوا أمريكان)).[٣٦]

يقول ((قلتُ في نفسي: الرأسماليون الجدد هم الشيوعيين القدماء ((أقصد البعثيين الهاربين بعد الاحتلال)) الرأسماليون الجدد هم الذين قاتلوا في الحرب العصابات في الجبال شمال العراق، وفي الأهوار في الجنوب وكانوا اتباع جيفارا وهو شيء منه وتروتسكي..))[٣٧]

الرأسماليون القدماء (البعثيون الهاربون) الى اميركا وأوربا بعد الإطاحة بصدام) أصبحوا هم الثوار الجدد في العالم، بل أصبحوا هم مقاومو الإمبريالية والرأسمالية العتيدة، هم الثوار بعد خمسة وثلاثين عاماً في خدمة الإمبريالية المتوحشة من أجل الإطاحة بالشيوعية القديمة وهم اليوم اتباع جيفارا وهو شيء منه.[٣٨]

ومن بين هؤلاء الشباب العراقيين الصحفي جبر سالم، ثوري معروف كان يعمل صُحفياً جاء من الناصرية الى بغداد في الستينيات وقنط في حجرة قذرة في البتاوين وسط العاصمة.

والشخصية الثانية هو أحمد سعيد، ثوري عقائدي، عاش طفولته وشبابه في بغداد، ثم التحق بالثورة الشيوعية في الأهوار وقد شارك في حرب العصابات في الجبال ايضاً ثم انتقل الى بيروت بعد ان أطاح البعثيون بالثورة (بمساعدة الأميركان) ثم انتقل الى اديس ابابا بعد صعود الضابط الشيوعي منفستو الى السلطة في أثيوبيا.

والشخصية التالية هي ميسون عبد الله التي أحبها أحمد سعيد ورافقته في مسيرته النضالية من الأوكار الحزبية الى حرب العصابات واشتهرت بمقاومتها الضارية للبعثيين في ذلك الوقت وكسجينة سياسية عانت من أكثر صنوف التعذيب الوحشية.[٣٩]

ينقل لنا بطل الرواية تقرير جبر سالم عن أحمد سعيد بعد ان كتب جبر تقريره الشهير عن الثوار والذي نقلته الكثير من الصحف العربية في ذلك الوقت، ازداد عدد التقارير عن الثورة إذ يقول: ((فقد كان هذا الأمر طبيعياً جداً، ذلك ان أحمد سعيد الثوري والشاعر هو الذي رسخ ايمان جبر بالثورة بل رسخها في جيل كامل من الشباب ذلك الوقت، لقد اصبح هذا الجيل أكثر صلابة وهو يقرأ ليلاً ونهاراً تقارير عن الثورة منشورة في المجلات الشيوعية العربية...

كان أحمد سعيد يريد ان يقرن شعره بالثورة على غرار شعراء شيوعيين في العالم، وعلى خلاف الكثير من الشعراء الذين استمروا على بوهيميتهم وعدمتهم في العراق- وان بدأ حياته بوهيمياً فقد تحول مباشرة الى الثورة، يعني كان يكتب المناشير ويوزعها ويشارك في المظاهرات الى الثورة...)).[٤٠]

لكن الروائي يجعل الحبكة الدرامية راكزة في قول بطل الرواية على الرغم من تعدد هذه الثقافات والقوميات على مرّ السنين اذ يتحدث: ((ولكن المشكلة لدينا- أقصد في العراق- حينما يجدون كل الطرق مسدودة الا طريق الثورة الذي سلكه الثوار السابقون ولادرب الحياة المفتوح لهم، فأين يذهبون؟ طبعاً

لا وجـود اليـوم لتغيـير حقيقـي إلا في تدمـير كل شيء... لكـن أجيالنـا جرّبـت كل شيء، أحـزاب ثوريـة، قوميـة وشـيوعية وحـركات طلابيـة وتحريـر المـرأة وحركـة هيبيـة وليبراليـة واسـتشراق غامـض وبدائيـة مزيفـة، ... ولكـن لا تغيـير، عـادَ المجتمـع كـما كان مـع أوّل ضربـة امريكيـة، كـما تركنـا أبونـا إبراهيم(عليـه السـلام) حـين كان يتجـول في أسـواق الناصريـة قبـل الآف الأعـوام.[٤١]

نماذج من رواية صخب ونساء وكاتب مغمور

هـذه الروايـة تظهـر التعـدد المذهبي ، واختـلاف الاثنيـات واللغـات التـي تختلـط في شـارع واحـد ،وعـلى خلفيـة حيـاة النـاس تشـهد الروايـة ثـورات الشـيوعيين والقوميـين والانقلابـات العسـكرية وصراع الفئـات الاجتماعيـة والطبقيـة في العـراق ،فأحداثهـا تـدور حـول مجموعـة مـن الشـباب العراقيـين الحالمـين بالهجـرة الى خـارج البـلاد ، البطـل الرئيـس الـذي يـروي الأحـداث بضمـير المتكلـم ،كان جنديـا في حـرب عاصفـة الصحـراء مـن جهـة بـلاده في العـراق ، اذ يتحـدث الى صديقـه وهـو جالـس في إحـدى المقاهـي يقـول : أريـد أن أهاجـر بـأي سـبيل ...اريـد أن أغـادر الى الأبـد ،كان يـدرك أن هـذه الحمـى ـــ حمـى السـفر والهجـرة ـــ لا سـبيل الى علاجهـا بعـد أن ضربـت عقـول العراقيـين جميعـا ،ومثلـما كان كل حمـال في بغـداد يريـد أن يصبـح السـندباد في أسـفاره ... فسـأله صديقـه كيـف ستسـافر ؟

أجابـه أمـا أهـرب الى ايـران ، وأقطعهـا مشـيا عـلى الأقـدام حتـى أصـل باكسـتان أو افغانسـتان ومـن ثـم الى جنـوب او شرق آسـيا وهنالـك العديـد مـن المهربـين الذيـن سـيتدبرون أمورنـا الى أوربـا ، أو أهـرب الى تركيـا وأقطـع الجبـال مشـيا عـلى الأقـدام .

ويقـول في أحـدى مقاطـع الروايـة مـا يعانيـه الشـباب العراقـي بسـبب اضطـراب الأمـن داخـل البـلاد وأجـواء الحـرب والنزاعـات القائمـة بـين السياسـيين ، اذ يقـول:((فالمتعلمـون يعيشـون الحيـاة مـن خـلال نسـق بالـكاد أن يتغـير وانَّ أي تغيـير يدمـر حياتهـم ، أمـا هـؤلاء النـاس فالأمـر مختلـف معهـم ، انَّهـم يعيشـون التناقضـات كلهـا دون أدنـى شـعور بعـذاب الضمـير ، فعبـود الـذي كان شـيوعيا كان متدينـا أيضـا غـير أن دينـه هامشـي وفطـري ،ويسـمح لـه أن يتـزوج أمـرأة سـيئة السـمعة ، ويسـمح لـه أن يسـرق مـن المطحنـة ويجمـع المـال، الـشيء المهـم في هـذه الشـخصية ذات المعتقـدات الخرافيـة هـي الجـرأة والانشـباك في التجـارب الطاحنـة لا بمغامـرة اشـتراكه في انقـلاب سـياسي فاشـل فقـط)) [٤٢].

الخاتمة:

أصبح يشكل مفهوم الهوية إشكالية مؤرقة غير قابلة للتجاوز في مختلف الفضاءات الثقافية والحضارية، فلم يعد متوقفاً انجازها على مستوى الفرد او الذات، بل اتسع مداه ليشتمل لبنية الاجتماعية، فتعددت الهويات، التي اصبحت تسمى بـ الهويات الفرعية أو الثانوية مثل الهوية الاجتماعية، والثقافية والعرقية.

إنَّ مسألة التعددية الثقافية داخل المجتمع الواحد تجعل المجتمع مأزوماً ويعاني من التشتت والضياع بسبب تلك الأيديولوجيات المتنوعة البعيدة عن الفكر الديني الإسلامي الذي حملته الرسالة السماوية وقد تأثر مجموعة من الشباب العراقي بهذه الأفكار الغربية القادمة من بلاد الغرب وما تتركه في بلاد العرب من التشقق والانحلال الفكري والأخلاقي .

يمثل الأمن الثقافي العربي صمام الأمان للحفاظ على الهُوية العربية والشخصية القومية في مواجهة تيارات الثقافية الكونية المسماة بـ(العولمة الثقافية) وتحصين للثقافة العربية الإسلامية.

ويمثلُ الأمن الثقافي أيضا عمودا محوريا من أعمدة الأمن القومي للحفاظ على اللغة العربية من الضياع والطمس والاندثار؛ لانَّها لغة القرآن الكريم، لغة الهوية العربية المقدسة وهي تمثل حاملة الموروث الثقافي والحضاري وآلة الإنتاج المعرفي والإبداعي لذا يتطلب الحفاظ عليها وحمايتها.

ان المنجز الروائي- العراقي يمثلُ انعكاساً لكل الأحداث الواقعية والسياسية والاجتماعية التي مرَّ بها البلد وما يعاني منه اضطرابات فكرية واجتماعية وسياسية لذلك مثلت رواية علي بدر منذ ٢٠٠٣-٢٠١١ انعكاساً لكل الأحداث التي عاشها الشعب العراقي على مختلف ثقافاته وانتماءاته.

الهوامش

١ – ينظر كتاب التعريفات: الشريف الجرجاني: ٢٥٧،المعجم الوسيط :٦٥٤ الهوية والقومية والحداثة : سلامة كيلة:١١ ، الهوية من الوحدة الى التعدد: محمد سعدي:٨١.

٢ –ينظر كتاب التعريفات :٢٧٥ دراسة في مفهوم الهوية: حبيب صالح مهدي: ٢–٣.

٣ – الثقافة والهوية: عبد الرحمن بسيسو٢٢:،الهوية والسرد ، حاتم الورفلي :٣٧

٤ – مفهوم الهوية: مؤسسة لجان العمل الصحي: ٢_٣.الهوية والعولمة من منظور التنوع الثقافي : د. عبد العزيز التويجري

٥ – ينظر التنمية الثقافية وتعزيز الهوية: د. شما ال نهيان:٣٨.

٦ – ينظر واقع اشكالية الهوية العربية (دراسة من منظور فكري): محمد عمر أحمد بين الأطروحات القومية والأسلامية:٣٦.

٧ – دراسات في الثقافة والتراث والهوية :شريف كناعنة

٨ – واقع اشكالية الهوية العربية :٣٧

٩ – الثقافة والهوية او الثقافة ومعركة الدفاع عن الهوية :١٤

١٠ –التنمية الثقافية وتعزيز الهوية ٦٥:

١١ – المصدر نفسه٦٧:

١٢ – أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب: زغو محمد:٩٢.

١٣ – أثر العولمة على الهوية الثقافية للأفراد والشعوب :٩٥،الأمن الثقافي مفهومه ودواعيه وعوامل تحقيقه :١٤٠

١٤ – اشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر وليد خالد أحمد: ٢–٣.

١٥ – ينظر التعددية الثقافية: علي راتانسي:١٩.

١٦ – ينظر اشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر: ٢–٣.

١٧ – الهوية والثقافة/ مجلة الهلال/ د. محمد عمارة:١٩٩٧.

١٨ – نظر اشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر: ٢–٣.

١٩ – ينظر الهوية من الوحدة الى التعدد:٨٥.

٢٠ – المصدر نفسه:٨٥.ينظر الهوية الاسلامية في زمن العولمة الثقافية :خليل نوري مسيهر :٤١

٢١ – الهوية من الوحدة الى التعدد:٨٤

٢٢ – الهوية من الوحدة الى تعدد:٨٢.

٢٣ – الهويات القاتلة ،أمين معلوف ١٨٥

٢٤ –الهوية من الوحدة الى التعدد : ٨٤

٢٥ –أوديسا التعددية الثقافية سبر السياسات الدولية في التنوع :١٤١

٢٦ –اشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر :٣

٢٧ – ينظر اشكالية التعددية الثقافية في الفكر السياسي المعاصر:٣.

٢٨ – الإثم والكتابة (صراع الثقافة العربية من النقد الاستعماري الى مدح الديكتاتور) :١٩

٢٩ – ينظر الرواية بابا سارتر:٢٩.

٣٠ – ينظر الرواية بابا سارتر:٣٠.

٣١ – ينظر الرواية بابا سارتر:٣١

٣٢ – ينظر رواية بابا سارتر:٤٣.

٣٣ – ينظر رواية بابا سارتر :٤٤

٣٤ – ينظر رواية بابا سارتر:٤٧.

٣٥ – ينظر رواية بابا سارتر:٥٩.

٣٦ –ينظر رواية الركض وراء الذئاب:٥٠.

٣٧ – ينظر رواية الركض وراء الذئاب:٥٠.

٣٨ – ينظر الركض وراء الذئاب: ٥١.

٣٩ – ينظر الركض وراء الذئاب:٥١–٥٢.

٤٠– ينظر الركض وراء الذئاب:٥٧.

٤١ – ينظر الركض وراء الذئاب:١٦٢.

٤٢ – رواية صخب ونساء وكاتب مغمور :٧٥.

ثبت المصادر والمراجع

١ .أثـر العولمـة عـلى الهويـة الثقافيـة للأفـراد والشـعوب :زغـو محمـد ،الاكاديميـة للدراسـات الاجتماعيـة والانسـانية / جامعـة حسـيبة بـن بـو علي/ الشـلف .
٢ .الإثـم والكتابـة (صراع الثقافـة العربيـة مـن النقـد الاسـتعماري الى مـدح الديكتاتـور) :عبـد اللطيـف الحـرز ،بغـداد _شـارع المتنبـي،ط٢٠١١،١م.
٣.اشـكالية التعدديـة الثقافيـة في الفكـر السـياسي المعـاصر وليـد خالـد أحمـد: مجلـة كتابـات ،آذار ،٢٠١٣م.
٤ .أوديسـا التعدديـة الثقافيـة سـبر السياسـات الدوليـة في التنـوع :د. مهنـد مصطفـى، مجلـة دراسـات ،٢٠١٢
٥ .التعدديـة الثقافيـة: عـلي راتانسي:،ترجمـة لبنـى عـماد تركـي ،مؤسسـة هنـداوي .
٦ .التعريفـات: الشريـف عـلي بـن محمـد الجرجـاني ،طبعـة دار الكتـب العلميـة ،بـيروت ،١٩٩٥م.
٧.التنميـة الثقافيـة وتعزيـز الهويـة: د.شـما ال نهيـان: دار العـين للنـشر ،الاسـكندرية ،٢٠١٣م.
٨.الثقافـة والهويـة أو الثقافـة ومعركـة الدفـاع عـن الهويـة : عبـد الرحمـن بسيسـو:وزارة الثقافـة مـشروع الخطـة الاسـتراتيجية للثقافـة الوطنيـة ،غـزة ،نيسـان / ٢٠٠٥م.
٩.دراسـة في مفهـوم الهويـة: حبيـب صالـح مهـدي: مركـز الدراسـات الإقليميـة
١٠ .روايـة بابـا سـارتر: المؤسسـة العربيـة للدراسـات والنـشر ،بـيروت _لبنـان ،٢٠٠٩م.
١١ .مفهوم الهوية: مؤسسة لجان العمل الصحي: ٢_٣.
١٢ .الهويـات القاتلـة ،أمـين معلـوف ، ترجمـة: نهلـة بيضـون ،دار الفـارابي ،بـيروت – لبنـان ،ط٢ ،٢٠١١م.
١٣ .الهويـة الاسـلامية في زمـن العولمـة الثقافيـة :خليـل نـوري مسـيهر :سلسـلة الدراسـات الإسـلامية المعـاصرة ،ديـوان الوقـف السـني ،بغـداد _العـراق ،٢٠٠٩م.
١٤ . الهويـة مـن الوحـدة الى التعـدد: محمـد سـعدي ،مجلـة آفـاق المسـتقبل،العدد،٧، سـبتمبر/ اكتوبر / ٢٠١٠م.
١٥ .الهوية والثقافة/ مجلة الهلال/ د. محمد عمارة:١٩٩٧م.
١٦ .الهويـة والـسرد ،بـول ريكـور، تأليـف حاتـم الورفـلي، دار التنويـر ،تونـس / ٢٠٠٩م.

الأمن الثقافي ومتطلبات تحقيقه

Cultural Security and Its Prerequisites

الأستاذ الدكتور الشيخ خالد محمد محرّم
رئيس الجامعة الإسلامية العالمية
عميد كلية الدراسات الإسلامية
رئيس مركز السراج للبحوث والدراسات الإسلامية

Prof. Dr. Khalid Muhammad Muhram, President of International Islamic University, Dean of Islamic Studies College, Chairman of Al-Saraj Centre for Research and Islamic Studies

ملخص البحث:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، ومن سار على دربه إلى يوم الدين، وبعد... إن اهتمامات مركز العميد الدولي كثيرة، منها إقامة المؤتمرات الفكرية والثقافية... وفي هذا المؤتمر يلقي الضوء على الأمن الثقافي... مفاهيم وتطبيقات؛ ليكون مثار النقاش: الهوية، والجهاد، والمعلوماتية، والعولمة، والتربية، والتاريخ، والإبداع... وقد شاركت ببحث عنوانه: الأمن الثقافي ومتطلبات تحقيقه.

فالثقافة هي عبارة عن عملية مستمرة لا تتوقف عند حد أدنى تكتفي بتوفيره للناس، وإنما هي تهيئ الأرضية لعملية انطلاق ثقافي، تأخذ من الموروث الثقافي والانفتاح على الثقافة المعاصرة نقطتي انطلاق وارتكاز في جهدها الثقافي الراهن.

والأمن الثقافي لا يعني بأي شكل من الأشكال الاحتماء تحت متاريس الماضي عن الثقافة المعاصرة... بل يعني الاعتزاز بالذات الحضارية مع هضم معطيات الآخر الحضاري. لأن الانطواء والانغلاق عن العصر وثقافته ومنجزاته هو إفقار للوجود الذاتي بحيث نضحى وكأننا نعيش في القرون الوسطى السالفة، بعيدون كل البعد عن إنجازات الإنسان المعاصر وآثار العلم وحسناته.

وهذه الدراسة تمثل جهداً متواضعاً ينضم إلى جهود كثيرة ترمي إلى المحافظة على الأمن الثقافي «ومقاومة التيار المدمر الذي يستهدف الفرد المسلم والأسرة المسلمة والمجتمع المسلم، بل يستهدف تقويض صرح الإسلام وقلعه من جذوره»[1].

وفي الختام، أسجدُ لله سبحانه وتعالى شاكراً على نعمه الكثيرة التي لا تعدّ ولا تحصى.

وأخصّ بالشّكر والامتنان والتّقدير أمين عام العتبة العباسية المقدسة سّماحة السيد أحمد الصافي حفظه المولى ورعاه، وأدامه في خدمة الإسلام والمسلمين. وأتوجّه بالشّكر والتّقدير إلى كل العاملين في مركز العميد الدولي للبحوث والدراسات، التابع لقسم الشؤون الفكرية والثقافية في العتبة العباسية المقدسة على جهودهم المباركة... وكل القائمين على إعداد ومتابعة وتنفيذ هذا المؤتمر المبارك، وكل من ساهم في إنجاحه. أسأله سبحانه أن يوفقني لما يحبّه ويرضاه، وأن يكون عملي هذا في ميزان حسناتي يوم لا ينفع مال ولا بنون، وأرجوه سبحانه أن يجنبني الزلل ويعفو عن الخطأ، هو حسبي ونعم الوكيل. وصلّى الله وسلّم وبارك على سيد المرسلين سيّدنا محمّد، وعلى آله الطيبين الطاهرين، وأصحابه المنتجبين. والحمد لله رب العالمين.

Abstract:

Thanks be to Allah, the Lord of the Worlds, Peace be upon our master Muhammad, his progeny, all his companions and all those who emulate his pathway till doomsday. Culture is a continuous process and unabated and paves the way to have a cultural inauguration to cuddle the contemporary culture. For the cultural security to revert into the past is not what truly it designates, it is not a way to avert the contemporary cultures and comes to embrace our culture and see other ones. To communicate is to exploit the experience of others for the benefit of man.

The current study is to keep our culture intact and protect it from the destructive waves that invade different cultures and target Muslims and Islamic community to uproot its principles.

أولاً: مفهوم الأمن الثقافي:

مع مرور الزمن وتسارع التطور التكنولوجي، غلبت ثقافة العولمة في أرجاء المعمورة فتحول العالم إلى قرية صغيرة، وأصبح تبادل المعلومات والأفكار أسرع من غمضة عين والمعلومات متاحة بضغطة زر، وانتقلت الأفكار المتباينة وأحياناً الغريبة بين مختلف الطوائف من البشر فتارة تجمعهم وتارة أخرى تفرقهم، وسادت سياسة العولمة والثقافة الكونية على الحضارات ذات الجذور البعيدة.

وتجدر الإشارة إلى «أن الثقافة الإسلامية هي مجموع العلوم والفنون المختلفة التي عرفت عند المسلمين»[٢].

أما «الثقافة غير الإسلامية تقوم على صفقة من شتات الأفكار والآراء والتصورات، وهي في ذلك لا تضبطها أسباب من ضوابط محددة وبالتالي فإن هذه الثقافات يظل طابعها الانحراف والهوى»[٣].

ومع كل هذا التطور التكنولوجي الهائل والتغيير في جغرافية الزمان والمكان، والدول والأشخاص، يطل علينا مصطلح الأمن الثقافي ليدق بقوة ناقوس الخطر من انهيار الحضارات وتدهور ثقافات الشعوب، ويعلن أهمية تواجده على الساحة المعاصرة وبقوة كمنهج ضروري في سياسات الدول، وكذلك كمحور مهم من محاور حياة البشر اليومية بعد أن حولت التكنولوجيا الدول المختلفة والمتباعدة إلى بيوت صغيرة في عالم واحد، اتسعت حدوده وتلاشت مع الانتقال السريع بل الفوري للمعلومات والأحداث.

معنى الأمن الثقافي:

الأمن الثقافي هو مصطلح يبدو للوهلة الأولى متناقض المفردات، فهو كمصطلح لفظي يتكون من كلمتين ذات معنيين مختلفين - هما الأمن والثقافة - فالأمن كمفهوم عام ومتداول هو توفير الجو الآمن لتداول الحريات التي نمارسها ودلالته دوماً تشير إلى الدفاع، العزلة والسيطرة لتوفير الحماية المطلوبة، أو الانغلاق والتكتم لو تطلب الأمر ذلك في أحيان كثيرة.

أما الثقافة فتتضمن بحسب الكثير من التعريفات المختلفة والمتعددة النشاط الفكري والفني للأعمال المنتجة من جهة والمعتقدات والفنون والعادات والآثار والأعمال التي ينتجها مجموعة من الناس في وقت ما عبر التاريخ من جهة أخرى.

«وهي المعرفة التي تؤخذ عن طريق الأخبار والتلقي والاستنباط، كالتاريخ واللغة، والفقه، والأدب، والتفسير، والفلسفة، والحديث»[٤].

وهو المفهوم الذي يتناقض بكل تأكيد مع مفهوم الأمن، فمفهوم الثقافة المتداول والمعروف يشير دوماً إلى الإبداع والانفتاح والتحرر من القيود للتعامل مع الآخر وتبادل الآراء المختلفة والمهمة والمطلوبة تبعاً لاختلاف التجربة والبيئة المحيطة والمراحل العمرية في أزمان مختلفة.

تعتبر الثقافة جزءاً مهماً وحيوياً من الحضارة وانعكاساً لمعنى الحياة في مراحلها المختلفة وشكلها المتغير من مكان لآخر، وتبعاً لهذ المفهوم تعتبر الثقافة قوة لا يستهان بها في الشؤون العالمية والعلاقات بين الأمم، فيكفي أنها المفهوم الأوسع والأشمل لأشكال مهمة ومختلفة من مناحي الحياة وممارستها اليومية كما أنها تتضمن أعمالاً وموجودات مختلفة تعكس بكل تأكيد حضارات الشعوب وفكرهم المبدع سواء أكانت متاحف أو آثاراً أو فنوناً، بالإضافة إلى الإعلام بكل روافده الأخرى المهمة الذي يشكل جانباً ثقافياً مهماً ومؤثراً في رسم السياسات وتحديد الأولويات وأسلوب الأداء، مما يجعل الوصف الأقرب للثقافة أنها الحروف التي بها نكتب تاريخنا البشري. «إن أي رقي للعقل الإنساني وأسلوب الحياة هو ثقافة، سواء جاء هذا الرقي عن طريق علوم عملية أو نظرية»[٥].

إن هذا الشرح السريع والبسيط للمعنى السائد والمتداول لكل من الأمن والثقافة يطرح للوهلة الأولى تساؤلاً مهماً: كيف يجتمع الأمن والثقافة في مصطلح واحد ليعكسا مفهوماً حضارياً غاية في الأهمية وضرورة ملحة لضمان استمرار الحياة؟ على الرغم من أن التعريف السابق قد يعبر في ظاهره عن التناقض إلا أنه في باطنه يعكس التلازم والترابط والتكامل. فالثقافة لا يكتمل وجودها من دون توفير قواعد أمنية تحميها، والأمن بمفهومه الأعمق هو حصيلة مجموعة من الإجراءات والتدابير الوقائية والعقابية التي قد تتخذها السلطة للحماية انطلاقاً من المبادئ التي تدين بها الأمة ولا تتعارض أو تتناقض مع المصالح المعتبرة لتحقيق أهداف وغايات أي مجتمع.

خلاصة التعريف:

الأمن الثقافي هو قدرتنا على توفير الحماية المطلوبة للثقافة لتحقيق حرية الإبداع من جهة والحفاظ على مكتسبات الشعوب الثقافية والفنية والدينية من جهة أخرى.

الأمن الثقافي هو البيئة الصالحة والحاضنة للتعايش السلمي والقضاء على الإرهاب والجريمة بكل أشكالها، وبالتالي فهو مجموعة من الإجراءات والأفكار والقواعد والقوانين التي يجب اتخاذها وتحقيقها للوصول إلى التنمية البشرية بمفهومها الشامل، وتحقيق السلامة والاستقرار والحماية والحرية لخدمة أهداف وغايات المجتمعات، والتقدم إلى الأمام من دون خوف أو رهبة بكل ثبات وثقة.

ثانياً: الأمن الثقافي والحفاظ على الهوية:

إن ظاهرة العولمة كانت في بداياتها ظاهرة إيجابية، الغرض منها تحرير الحدود والفواصل الفكرية والثقافية وتبادل الخدمات والإنتاج والتواصل بشكل أقرب بين الشعوب، لكنها مع الوقت انتهت إلى المطالبة بتحرير الأموال والسلع والفكر وانهاء التعددية الثقافية وسلخ الشعوب من هويتها الثقافية واللغوية لصالح ثقافة واحدة هي الثقافة الكونية، والسيطرة على العالم من جانب بعض الدول واعلاء هيمنة مصالحها.

إن هذه الثقافة الكونية تعمل على إخضاع الثقافات كافة لسطوتها المعرفية بغض النظر عن طبيعة البيئات أو الخصوصيات الثقافية التي تتميز بها الثقافات المحلية لكل دولة أو أصالة حضاراتها وقيمها وتنوعها، فالعولمة أصبحت تهديداً حقيقياً للخصائص الجوهرية التي يتمتع بها الوطن العربي والإسلامي من قيم وعادات ولغة وثقافة، وما لم يتم تهذيب هذه الثقافة الكونية وتحجيم دورها العابث في تغيير معالم الشعوب سينتهي الوجود العربي وتتشوه معالمه. فالعولمة تمثل الشكل الجديد والعصري للاستعمار، والثقافة الكونية الحديثة تطالب بإنهاء الثقافة المحلية التي تنبع وتتلازم بشكل قوي مع الدين واللغة.

فالثقافة «هي مجموعة من الخصائص والصفات المكتسبة تتيح للإنسان نوعاً متميزاً من السلوك يتفوق به على غيره»[٦]. «ثم تتفاوت درجات هذه الثقافة ومستوياتها بحسب الإحاطة بالمفهوم الإسلامي، ومدى القدرة على الاستيعاب لشمول هذا الدين ومدى ما يتمتع به كل فرد من المواهب والطاقات والاستعدادات الفطرية»[٧].

من هنا تبرز أهمية الأمن الثقافي كمطلب أولي ومهم للحفاظ على الكيان كأداة لفرض الوجود والحفاظ على الهوية والاستمرارية وكذلك الحفاظ على مكتسباتنا الحضارية وهويتنا وتقاليدنا وعادتنا.

وتكمن أهمية الأمن الثقافي من خلال التعبير عن قدرتنا على الحفاظ على هويتنا، وصيانة الثقافة التي تنشأ بلا شك من الثقة بالنفس، والقدرة على التفاعل الواعي مع مختلف العوامل، واستيعاب الآراء المتباينة والجديدة وتفهمها للوصول إلى الفكر المتوازن والمطلوب للتواصل والتفاعل مع الآخر في عصر متغير ومتطور في كل ثانية. فأهمية الأمن الثقافي تكمن في الحفاظ على الهوية والانتماء، والوصول إلى الأمن والاستقرار في جميع نواحي الحياة سواء أكان داخل الوطن الواحد أو بين الدول المتباينة المصالح والمختلفة التوجهات.

من هنا كان لا بدّ من العمل على الحفاظ على وجودنا والتمسك أكثر بهويتنا والعمل على إقرار الأمن الثقافي كحل أمني مهم، بل غاية في الأهمية بكل الطرق والوسائل والأشكال المعروفة وغير المعروفة، فالحرب بين الدول والثقافات لم تعد حرباً تقليدية بأسلحة معروفة بل هي حرب على التنمية البشرية والفكرية، حرب نفسية في المقام الأول، حرب تحاول وبكل قوة هدم الحضارات والعادات والتقاليد والثقافات.

فالأمن الثقافي يحمل بين طياته طرق الدفاع المطلوبة، لمنع استباحة موارد الدول المادية والبشرية، ودرء الخطر الذي يستهدف سيادة الدول ووجودها وتطورها المستقبلي.

ثالثاً: متطلبات تحقيق الأمن الثقافي:

إن تحقيق الأمن الثقافي له متطلبات ووسائل وعوامل مهمة سأعرضها بحسب أهميتها وتأثير وجودها في العالم العربي والإسلامي، وهي كما يلي:

١ - الدين والعقيدة:

من أهم عوامل تحقيق الأمن الثقافي هو ترسيخ العقيدة الدينية الصحيحة لتكون مرجعاً في كل أمور الدنيا المختلفة والمتعددة.

فالبدء «بعقيدة التوحيد عين الصواب، لأن الإسلام يقيم بناءه على أساس، وأساسه العقيدة»[٨]، فهي منطلق كل عمل قلّ أو كثر في مختلف شؤون الحياة. «فعقيدة التوحيد هي أساس الدين، وأساس بناء الأمة المسلمة، فبقدر ما تكون العقيدة قوية في الأمة، تكون هذه الأمة قوية متماسكة»[٩]. وهي منطلق علاج الأزمات والمصائب التي تصاب بها الأمم، لأنها تقوّم بميزان العقيدة، فتأخذ منها الدرس المفيد في مستقبل حياتها. وهي «تمثل المرتكز الحضاري والاجتماعي لمختلف أنواع السلوك في المجتمع الإسلامي، ذلك لأن المرجع في سائر القيم الحضارية في الإسلام هو الشريعة الإسلامية القائمة على مبدأ التوحيد»[١٠].

وعلينا التعامل مع الآخرين وفق ما أمر الشرع الحنيف من خلال ما حصّل المؤمن من يقين في النفوس واستقامة في السلوك[١١].

وتبدأ هذه التنشئة من إرساء قواعد الدين الصحيح من المرحلة الأولى في حياة الإنسان)الطفولة(، وصولاً إلى الشباب الصاعد والواعد من خلال تنمية الوعي الديني بأساليب تقترب من فكرهم، وتقديم القدوة المباشرة قولاً وسلوكاً، مع طرح القضايا الدينية مثار الخلاف للنقاش والاجتهاد وإنهاء العنف بأشكاله كافة في التعامل بين طوائف وطبقات المجتمع المختلفة.

«ولا بدّ لنا من أن نقيم بناءنا الثقافي على ركيزة الأصالة حتى يكون واضح السمة، معروف النسب، موصولاً بعقيدتنا الحقة، ومبادئنا السامية، وشخصيتنا المتميزة»[١٢]. «والحاصل أنه يجب أن يحرص كل الحرص على العقيدة الإسلامية حين التزود بالثقافات والعلوم، في جعل الشخصية الإسلامية المركز الأساسي لاكتساب أي ثقافة، وملاحظة عدم تناقض العلوم معها في اكتساب العلوم»[١٣].

إن الوصول إلى الدين الصحيح هو الحماية الوحيدة من الانتهاكات بمستوياتها كافة، وبالتأكيد من أهم وسائل الحماية والأمن الثقافي.

٢- اللغة العربية:

اللغـة العربيـة هـي مـن المقومـات الأساسـية للأمـة الإسـلامية وعنـوان شـخصيتها، ومظهـر كرامتهـا ومعيـار حضارتهـا... والتاريـخ الإسـلامي بـيّن «أن انتشـار اللغـة العربيـة في الأقطـار المفتوحـة، قـد أسـهم بشـكل كبـير في تطويـر ثقافـة إسـلامية مشـتركة، شـكلت إحـدى روابـط الأمـة، وحينـما انحسـرت اللغـة العربيـة مـن أقطـار الإسـلام، انقطعـت شـعوب هـذه الأقطـار عـن الاتصـال بالقـرآن الكريـم والسـنة المطهـرة، وانحسـرت تبعـاً لذلـك الثقافـة الإسـلامية المشـتركة»[١٤].

ومما يؤسـف لـه أن فئـة مـن المسـلمين لا تـرى الاهتـمام باللغـة العربيـة بحجـة أن الثقافـة الغربيـة المعـاصرة هـي الثقافـة السـائدة والمتقدمـة، ويجـب الأخـذ بلغتهـا إذا أريـد للمسـلمين اللحـاق بركـب التقـدم والحضـارة، أمـا إذا أخذنـا باللغـة العربيـة فـلا تقـدم ولا حضـارة بـل تقهقـر وتخلّـف.

«والذيـن يتعلقـون باللغـة الأجنبيـة ينـزعون إلى أهلهـا، ويتـبرأون مـن سـلفهم، ويخجلـون مـن قوميتهـم، وينسـلخون مـن تاريخهـم، وتقـوم بأنفسـهم الكراهـة للغتهـم وآدابهـا...» [١٥]. ولا شـك أن هـذه الفئـة البعيـدة عـن الصـواب مـن مؤثـرات الاحتـلال (الاسـتعمار) وخصـوم الإسـلام الذيـن أدركـوا «أهميـة اللغـة العربيـة الفصحـى بأنهـا لغـة القـرآن الكريـم الـذي يتعبّـد بـه المسـلمون وينفـذون توجيهاتـه، وأن هـذه اللغـة هـي هويـة الأمـة المسـلمة ويقـرب بـين أقطارهـا، لذلـك سـعوا جاهديـن بـكل أجهزتهـم وطاقاتهـم إلى إضعـاف اللغـة العربيـة الفصحـى وهجرهـا وإحـلال اللغـة العاميـة واللغـات الأجنبيـة الأخـرى محلهـا»[١٦]، ولقـد «بذلـت كل مـن إيطاليـا وبريطانيـا وفرنسـا والـدول الأروبيـة الرئيسـية، التـي احتلـت معظـم أجـزاء العـالم العـربي ابتـداءً مـن النصـف الثـاني مـن القـرن الثالـث عـشر الهجـري، كل جهودهـم للقضـاء عـلى اللغـة العربيـة، وأن تكـون اللغـة الإيطاليـة والبريطانيـة والفرنسـية بديـلاً عنهـا»[١٧].

فاللغـة العربيـة هـي هويتنـا التاريخيـة التـي لا يجـب أن نتخلـى عنهـا لصالـح أي لغـة أخـرى. وتـمّ أيضـاً بعـد ذلـك اتهـام اللغـة العربيـة في جملـة علومهـا وتطبيقاتهـا ومعارفهـا، وادعـاء عجـز العربيـة عـن اسـتيعاب الحضـارة المعـاصرة، واتخـذ هـذا الاتهـام الأشـكال التاليـة:

أ- أن اللغة العربية لغة دين وليست لغة حياة.

ب- أن اللغـة العربيـة لغـة المـاضي وليسـت لغـة المسـتقبل. بينـما «أثبتـت اللغـة قدرتهـا عـلى النـماء والتوالـد،

من خلال ظاهرتين متكاملتين: ظاهرة الحركة الاشتقاقية، وظاهرة الصياغة القالبية»[١٨].

فاللغة العربية غنية جداً بمفرداتها، «ويمكن لتلك المفردات أن تزداد بلا نهاية، ذلك لأن الاشتقاق المتشابك والأنيق يسهل إيجاد صيغ جديدة»[١٩].

ج- أن اللغة العربية «لغة الأدب والشعر، وليست لغة العلم والحضارة الجديدة»[٢٠].

والحقيقة أنها لغة العلم والحضارة، «فعندما كان الاهتمام باللغة العربية قائماً، إبّان القرون الهجرية الأولى، سرى فيها الإبداع، فاستطاع المسلمون توطين علوم السابقين في كل الفنون، وتضمنت إنجازاتهم في الكيمياء والفيزياء والطب والصيدلة والفلك... الخ، ولم تقصر عن كل ذلك»[٢١].

د- الدعوة إلى العامية، وهي «لا تعني اجتماعياً غير التقاطع والانزواء وقوقعة المجتمعات الضيقة. ولا تعني قومياً وسياسياً غير تفكيك وحدة الأمة وتمزيق شعوبها، والإكثار من كياناتها المتجزئة، ولا تعني إسلامياً غير إنشاء جيل بلا قرآن»[٢٢].

وإذا ما أريد إحياء اللغة العربية من جديد وإعادة مجدها.. فإنه لا بدّ من الاهتمام بمجموعة من الميادين، ومن أبرزها:

«أ- المدرسة وأهمية دورها في التزام اللغة العربية، وتشمل: المعلم، الكتاب، المحيط المدرسي.

ب- النوادي الأدبية والرياضية، لعمل المحاضرات والندوات والمسابقات حول اللغة العربية.

ج- الجامعة وأهمية التزام اللغة العربية، وتشمل: المعلم، الكتاب، المحيط الجامعي»[٢٣].

د- تعزيز التعاون بين البلاد العربية، من أجل الاهتمام باللغة العربية.

هـ- نشر كل ما يتوصل إليه من أفكار ومعلومات جديدة حول اللغة العربية.

و- ترجمة العلوم والفنون من اللغات الأجنبية إلى اللغة العربية، بواسطة علماء متخصصين من أبناء الأمة المسلمة.

ز- تعريب البيئة، لإزالة الأسماء والعناوين والتعابير الأجنبية الدخيلة[٢٤].

ح- الحرص على «نشر اللغة العربية الفصحى على المستوى العالمي، وتبني تعليمها على المستوى الإسلامي بما يعزز اتساع آفاقها، ويرسخ الاهتمام والعناية بها»[٢٥].

ط- إلزام الإعلام بوسائله المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية باستخدام اللغة العربية الفصحى في كل المواد الإعلامية، وحتى الإعلانات منها، وإجراء المسابقات في مختلف مجالات اللغة العربية، ورصد الجوائز المشجعة لذلك.

بناء على ما سبق، يجب إنهاء اغتراب اللغة بين الشباب ونشر الوعي بارتباطها الوثيق بهويتنا؛ بل وضرورة الفخر بها، فاللغة العربية هي العامل الأول والأهم في أساس الوحدة والارتباط ضد الاستعمار الفكري.

٣ - تنمية الوعي بالمبادئ والقيم:

إن المبادئ[٢٦] والقيم الإسلامية[٢٧]،هي توجيهات الإسلام في مختلف شؤون الحياة، والتي تقوم أساساً على التعامل مع الفرد والجماعة والجماد والحيوان، فمن ذلك: الإخلاص والإتقان في العمل، الصدق، الأمانة، العدل، الشفقة والرحمة، الرفق، الموضوعية.

والمبادئ والقيم تؤدي منذ أن خلق الله تعالى الإنسان واجباً كبيراً في حياة الأمم والشعوب، «لأنهما الموجهان والمحركان لنشاطات المجتمع، بل هما المعيار والقياس لما هو حسن وقبيح، أي أنهما تحددان اختيارات الفرد وقراراته، كما تحددان الفكر أو الفلسفة العامة للمجتمع»[٢٨].

ومن فوائد التزام المبادئ والقيم الإسلامية ما يلي:

من الناحية الفردية:

ترسم للإنسان الطريق المستقيم فمن تبعه فاز ونجا.

ب- تساعد الإنسان على تطوير سلوكه وتعديله وتغييره وبناء شخصيته بما يتفق وتوجيهات الإسلام.

ج- تُدَرِّبُ الفرد على السعي في الأرض للعمل والكسب الشريف.

د- تُعِدُّ الإنسان المسلم لحمل الرسالة وأداء الأمانة المكلف بها.

هـ- تُنَظِّمُ علاقة الإنسان بخالقه سبحانه وتعالى.

ومن الناحية الاجتماعية:

«أ- بناء المجتمع الإسلامي على روابط العقيدة الإسلامية وصهره في بوتقة واحدة قوامها المحبة والإخاء والتعاون والإيثار.

ب- تحقيق العدالة والمساواة بين البشر ورفع الظلم.

ج- تساعد المجتمع على مواجهة المتغيرات المتجددة التي قد تخالف التوجيهات الإسلامية من خلال

وضع الاختيارات الصحيحة التي تسهل للناس حياتهم وتحفظ على المجتمع المسلم استقراره وكيانه.

د- المبادئ والقيم من الركائز الأساسية لقيام الحضارات، فقد قامت في ظل المبادئ والقيم الإسلامية حضارة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً، وما إن ترك المسلمون التمسك بمبادئهم وقيمهم تقهقروا وتخلفوا»[٢٩].

إن التزام المبادئ والقيم الإسلامية، مطلب مهم جداً لرفعة الأمة وتقدّمها وخلاصها مما لحق بها من المؤثرات السلبية للثقافة الغربية.

ولن تنتهي هذه الأزمات إلا من خلال:

أ- وضع قوانين إنسانية ترسي مبادئ القيم التي تشكل ثقافتنا على مدى التاريخ.

ب- جعل مادة الأخلاق من المواد الرئيسة في المناهج الدارسية.

ج- ربطها بالأنشطة الرياضية والثقافية المختلفة.

د - أن تكون حجر الأساس في التبادل العلمي والتكنولوجي مع الآخر.

هـ- وضع معايير وقوانين تسمح بمتابعة وتدقيق ما يتدفق في وسائل الإعلام والمواقع الإلكترونية من مواد إعلامية هابطة ومبتذلة وهدامة لقيم شبابنا.

٤- البيئة الاجتماعية العامة:

تتمثَّل في حضارة الأمة وتقاليدها ونُظُمها وعرفها العام، وهي تكتنف الإنسان منذ نشأته، فهي: «تلك العملية المقصودة أو غير المقصودة التي صاغها المجتمع لتنشئة الأجيال الجديدة، وبطريقة تسمح بتنمية طاقاتهم وإمكاناتهم إلى أقصى درجة ممكنة، ضمن إطار ثقافي معيّن قوامه المناهج والاتجاهات والأفكار والنُّظُم التي يحددها المجتمع الذي تنشأ فيه، بما يجعلهم على وعي بوظائفهم في هذا المجتمع ودور كل منهم في خدمته»[٣٠].

من هنا تتجلى ضرورة التكيف والتواصل بين أفراد المجتمع الواحد، وتبني احترام ثقافات الشعوب على التنشئة الاجتماعية السليمة من خلال غرس قيمنا وتقاليدنا الأخلاقية والإنسانية، ويتم من خلالها تقدير الوعي المجتمعي للتغيرات الاجتماعية الناتجة عن تكنولوجيا التواصل ومشاكلها المرتبطة بالعولمة كالبطالة وارتفاع معدل الطلاق والهجرة وضعف الانتماء الاجتماعي والنفسي والوطني لدى قاعدة عريضة من الشباب الصاعد؛ وهذا يحتاج إلى خبرة إنسانية، وهذه الخبرة «تتشكل وفق محددات ثقافية معينة تتجه بها اتجاهات قيمية وأخلاقية يكون لها تأثيرها في النواحي الاجتماعية والاقتصادية والسياسية»[٣١].

إن هذا الوعي المجتمعي عنصر مهم لتحقيق الأمن، فالإصلاح والتطوير المستمر في المجتمع وإرساء قواعد الانتماء الاجتماعي والوطني لن تكون إلا من خلاله، وبه نستطيع الوصول إلى حتمية تنمية القدرات الإبداعية لمواجهة التحديات القادمة واكتساب المهارات المطلوبة للحفاظ على الهوية الثقافية.

٥- نشر روح المواطنة الصالحة في المجتمع:

إن المواطنة الصالحة هو مفهوم قائم على العلاقة الإيجابية بين الفرد والمجتمع على أساس التكامل، فهو انتماء نفسي وارتباط اجتماعي قبل أن يكون انتماء للأرض أو الأوراق الرسمية، ولن تكون تلك الروح ولن تنتشر إلا بالوعي التام لمتغيرات الكون وإدراك أهمية التمسك بالهوية والتراث والتعاون المستمر لخدمة المجتمع، والتخلي عن فكرة الهجرة التي تنتشر وبقوة في أوساط المجتمعات العربية والإسلامية، ومحاولة صد الهجمات التي تهددنا سواء أكانت سياسية أو اجتماعية أو علمية أو دينية.

٦ - الإعلام:

تقوم وسائل الإعلام والاتصال بدور بالغ الخطورة والأهمية في حياة الناس بصفة عامة، وفي حياة الناشئ بصفة خاصة، ويتلقى الناس من خلالها معتقدات واتجاهات وقيماً معينة، «إما أن تساعد على تثبيتها ودعمها، وإما أن تعمل ضدها، بحيث تغرس في نفوس الأفراد قيماً أصيلة جيدة، أو تخلع منها قيماً رديئة وتغرس محلها قيماً أخرى جيدة، وهذا ما يعود بالتأكيد إلى القائمين على أمر هذه الوسائل ومدى فهمهم لثقافة المجتمع ومعاييره وقيمه.

وقد تستخدم هذه الوسائل استخداماً سيئاً يعطل في الإنسان عقله ووجدانه، واهتمامه بالقيم مما يؤدي إلى حالة من الركود والخمول واللامبالاة، أو ما يسمى بعدم الاهتمام أو الاهتمام الظاهري الكاذب بمشكلات المجتمع، فكما أن لها استخداماتها الفعّالة، فإن لها استخدامات ضارة أيضاً، خاصة إذا ما وُجهت توجيهاً ضدّ قيم المجتمع الأصيلة، فهي في هذه الحالة تهدم ولا تبني.

ومن الملاحظ في حياتنا تسرّب ظواهر معينة من خلال وسائل الإعلام، كإشاعة العنف، والهروب من الواقع، والاستغراق في الخيال، والسلبية، والتقليد الأعمى»[٣٣]... وهذا يؤكد الأثر السلبي لوسائل الإعلام، وفي هذه الحالة لا بدّ من أن نعي «أن الإعلام في هذا الوضع يشكل معوّقاً وخطراً على القيم، ويكمن هذا في التناقص الأساسي بين القائمين على الإعلام، أو بعضهم وبين الأغلبية الساحقة في المجتمع صاحبة المصلحة الحقيقية في تنمية القيم الإسلامية الدافعة نحو التقدم والتغيير الهادف البنَّاء تجاه أهداف الإسلام»[٣٣].

وتزداد خطورة وأهمية وسائل الإعلام في مجال تنمية القيم والأخلاق، مع ما يمرّ به المجتمع العربي والإسلامي من ظروف التغيُّر وسرعته ومن انفجار سكاني ومعرفي وثقافي، وما يعانيه الإنسان من فراغ، واهتزاز في نظم العلاقات الاجتماعية الناتج عن اهتزاز القيم لدى الأفراد والمجتمعات.

فالإعلام هو أهم دعائم الثورة التكنولوجية بمختلف روافده فهو الناقل الأول والأسرع للمعلومة وله من قوة التأثير ما لا تحققه السياسات المختلفة أو الحروب. إن كل عوامل تحقيق الأمن الثقافي لا يمكن إرساء دعائم وجودها وبقوة إلا من خلال الإعلام ونشر الوعي بأهميته وكيفية التعامل معه والتواصل مع الآخر من خلاله بشكل ينمي الأهداف المرجوة في مجالات الحياة المختلفة. إن الإعلام هو نافذتنا على العالم وهو الوسيلة الأقوى لتحقيق طموحات وآمال وأفكار الشعوب في الحفاظ على الهوية وتحقيق التنمية والتبادل الثقافي للقيم والحريات وتلبية احتياجات الواقع وتصحيح الصورة السلبية التي يصدرها الإعلام الغربي لنا، ويظل الإعلام هو الأداة الأقوى في إبراز الهوية وتأكيد الوحدة.

ولكي تقوم الوسائل الإعلامية بدور رائد وفعال في هذا المجال، ينبغي عليها أمور عدة، من أهمها:

الأمر الأول: أن تتضافر الجهود في سبيل تقديم الهوية الثقافية بأسلوب عصري يعتمد على العقل والمنطق.

الأمر الثاني: أن تستخدم الحكمة في مخاطبة الناس، مع استخدام الحجة والبرهان وحسن البيان، من أجل التصدي للمواد الهابطة والماجنة والمسيئة للمسلمين التي تُقدَّم في بعض وسائل الإعلام، بهدف التشكيك في القيم والأخلاق الإسلامية بل في الإسلام كله.

الأمر الثالث: أن تعمل على إيجاد كوادر إعلامية تقدّم المواد الإعلامية بشكل سليم وصحيح.

الأمر الرابع: أن تعمل على توفير القدوة الحسنة إعلامياً، فرجال الإعلام ينظرون إلى القدوة الحسنة على أنها من وسائل الإعلام، تغني في ذاتها عن بذل الجهود الإعلامية في سبيل دعوة ينشرونها أو فكرة يدعون إليها، أو عقيدة أو سياسة جديدة ينشرونها، ونحو ذلك لذا فإن القدوة الحسنة هي من أنجح الأساليب والوسائل للاتصال بالناس[٣٤].

هذه هي أهم الوسائط التي ينبغي أن تكون في الجانب الإيجابي المطلوب، بحيث يتكامل بعضها مع بعض وبطريقة شاملة تدفع نحو التقدم والتحضر والرقي والتنمية الصحيحة.

أما الإحجام عن الأمن الثقافي هو نتيجة لتصرفات مؤلمة صنعها المسلمون أنفسهم منها: عدم توجيه الآباء والمربون والمعلمون اهتمامهم المخلص إلى توعية الطلاب تاريخياً للمحافظة على ثقافتهم وتراثهم وحضارتهم وتقاليدهم وآدابهم، حتى انصرفوا إلى ملء الفراغ باستقبال كل ما يفد من الغرب من دون حسيب أو رقيب فضاع الكثير منهم بين أمواجه المتلاطمة[٣٥]. فلا بدّ من العمل معاً للوصول إلى التوعية اللازمة والمطلوبة.

«إن سبيل المقاومة والثبات هو الاعتصام بحبل الله جميعاً وعدم التفرق... قال تعالى:(وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا ..) [٣٦]... وأن لا مكان للحياد السلبي في هذا الكون فللإنسان إن عقل وآمن مهمة أساسية هي التي جعلته صاحب الخيرية في المجتمع الإنساني، تلكم المهمة هي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وفي تحقيق ذلك على وجهه الصحيح يكون الفوز والنجاح كما في قوله تعالى : (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ ۚ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ .)[٣٧]. لكن هذه المهمة يجب أن تؤدى بمعرفة أي بتخصص»[٣٨]. لتحقيق الأهداف المنشودة.

الخاتمة

إنه في ظل التطورات السريعة في الأحداث العامة التي تحيط بالوطن العربي والإسلامي، والمجتمعات العربية والإسلامية، والانهيار الذي طال الكثير من الدول العربية والإسلامية، وفي ظل التهديدات الدائمة والمستمرة والمتزايدة سواء أكانت من الدول الكبرى، أو الاستعمار التكنولوجي الجديد والمسمى بالعولمة، يظل الأمن الثقافي هو صمام الأمان لتحقيق حلم الشعوب بالتكاتف والتلاحم في أوجه الحياة المتعددة للوصول إلى الأمن الذي نريده على المستويات كافة: الدينية، والثقافية، والحضارية، واللغوية، والاقتصادية وحتى السياسية.

إن الوحدة العربية والإسلامية هي البوتقة التي تشكلنا في داخلها وترسم في النهاية مصيراً واحداً يضمنا، وننتهي إليه بالشكل الذي يليق بالتاريخ والشعوب العربية والإسلامية وثقافتها وحضارتها، فهو

الحل الذي يفرضه تغير الزمان وتحولاته الطبيعية، وان كان التنفيذ قد يأخذ وقتاً طويلاً لبلورته وتجهيزه كي يتناسب مع روح العصر ومصالح الدول المتفاوتة.

إن الهدف الأهم والضروري والعاجل هو حماية المجتمعات العربية والإسلامية من التفكيك وطمس هويتها وتدمير حضارتها، ومحاولة إنهاء كل أشكال الثقافة المجتمعية واستبدال القيم الأخلاقية والمبادئ التي طالما تمتع بها المواطن بقيم العولمة التي لا تقوم إلا على المصلحة الفردية والتفرقة بين الشعوب.

إن العوامل المشتركة بين الدول العربية والإسلامية قادرة على أن نتشارك المناهج التعليمية والخبرات العلمية التي ترتكز على اللغة العربية كتعبير عن هويتنا وثقافتنا وأخلاقنا ومبادئنا وقيمنا التي نستمد منها تاريخنا الطويل وتشكّل عاداتنا وتقاليدنا، ويمكن كذلك وضع سياسات ومناهج إعلامية مشتركة تطرح الموضوعات الهادفة وتخاطب الإعلام الغربي بصوت واحد وترفض وصايته على المجتمع العربي والإسلامي بأفكاره الهدامة، وأن تحشد الفكر لهدف واحد وهو الحفاظ على الهوية العربية والإسلامية.

لذا يجب أن نسعى إلى وضع آليات عملية للوصول إلى التكامل الاقتصادي القائم على تبادل الخبرات والموارد سواء أكانت بشرية أو مادية.

ومن المهم في السياق نفسه تبادل الأفكار والخبرات والكفاءات العلمية لتطوير العمل العربي في المجالات كافة. إننا بحاجة كذلك إلى وضع حجر الأساس لبعض المشروعات المشتركة كالقراءة والمعرفة والترجمة، مع وضع قوانين جنائية واجتماعية وعلمية موحدة يمكن تطبيقها في كل دولة للمحافظة على تلك المشاريع والجهود المبذولة للنهوض بالمجتمع العربي والإسلامي، ووضع ثوابت مرجعية وخطوط حمراء لا يمكن تجاوزها للوصول إلى الأمن والأمان المطلوب في ربوع الوطن العربي والإسلامي كافة.

سيظل الأمن الثقافي العنصر المهم الذي لا غنى عنه في النهضة الاجتماعية، فهو الحماية المطلوبة لحياة إيجابية سليمة يتم من خلالها ممارسة الحريات الفكرية والثقافية والعلمية بشكل عصري، وهو التفاعل الحضاري بين مختلف الشعوب، ولن يتحقق ذلك إلا من خلال الحفاظ على: الدين، واللغة، والثقافة، والهوية؛ والتي تمثل العناصر الرئيسة لتحقيق الأمن الثقافي.

هوامش:

١. عمر سليمان الأشقر، معالم الشخصية الإسلامية، مكتبة الفلاح، السعودية، ط ٢، ١٩٨١م، ص ٥- ٦.

٢. محمد أحمد دهمان، دراسات في الثقافة الإسلامية، الشركة المتحدة للتوزيع، دمشق- سوريا، ط ١، ١٩٨٣م، ص ١٣.

٣. أمير عبد العزيز، دراسات في الثقافة الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، د. ط، ١٩٧٩م، ص ٢٠.

٤. سميح عاطف الزين، الإسلام وثقافة الإنسان، دار الكتاب اللبناني، بيروت، ط ٨، ١٩٨٢، ص ٢٨٢.

٥. عبد الحليم عويس، ثقافة المسلم في وجه التيارات المعاصرة، النادي الأدبي الرياضي، الرياض- السعودية، د. ط، ١٩٧٩م، ص ١٦.

٦. محفوظ علي عزام، نظرات في الثقافة الإسلامية، دار اللواء للنشر والتوزيع، الرياض- السعودية، ط ١، ١٩٨٤م، ص ١٦.

٧. موسى إبراهيم الإبراهيم، ثقافة المسلم بين الأصالة والتحديات، دار الثقافة، الدوحة- قطر، ص ١٥.

٨. علي محمّد جريشة وزميله، أساليب الغزو الفكري للعالم الإسلامي، دار الاعتصام، القاهرة، د.ط، د.ت، ص ١٩٠.

٩. محفوظ علي عزام، الأساس العقائدي للتربية، المؤتمر العالمي الخامس للتربية الإسلامية، المركز العالمي لجمعيات الشبان المسلمين العلمية، القاهرة، د.ط، ١٩٨٧ م، ص ٤٣١.

١٠. محمّد جميل خياط، الكتاب الجامعي وأثره في بناء الشخصية الإسلامية، سلسلة البحوث التربوية والنفسية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د.ط، ١٤٠٧ هـ- ١٩٨٧ م، ص٤٤.

١١. ماجد عرسان الكيلاني، فلسفة التربية الإسلامية، مؤسسة الريان، بيروت، د. ط، ١٩٩٨م، ص ٨٦- ٨٧، (بتصرف).

١٢. عمر عودة الخطيب، لمحات في الثقافة الإسلامية، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٩٧٩م، ص ١١١.

١٣. تقي الدين النبهاني، الشخصية الإسلامية، دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، ط ٤، ١٩٩٤م، ج ١، ص ٢٧٢.

١٤. ماجد عرسان الكيلاني، الأمة المسلمة – مفهومها، مقوماتها، إخراجها، العصر الحديث، بيروت، ط ١، ١٩٩٢م، ص ٧٦.

١٥. مصطفى صادق الرافعي، وحي القلم، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ط ٤، ١٩٥١م، ص ٣٧.

١٦. باقر شريف القرشي، النظام التربوي في الإسلام، دار التربية، بغداد، د. ط، د. ت، ص ١٥٥.

١٧. تركي رابح، دراسات في التربية الإسلامية والشخصية الوطنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، د. ط، ١٩٨٢م، ص ٢٦٦.

١٨. صبحي الصالح، دراسات في فقه اللغة، دار العلم للملايين، بيروت، ط ٤، ١٣٧٠ هـ- ١٩٧٠م، ص ٣٢٨.

١٩. أنور الجندي، آفاق جديدة للدعوة الإسلامية في عالم الغرب، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٣، ١٤٠٧هـ- ١٩٨٧م، ص ٢٠٣.

٢٠. كارم السيد غنيم، اللغة العربية والصحوة العلمية الحديثة، مكتبة ابن سينا، القاهرة، د. ط، ١٩٨٩م، ص ٥٥.

٢١. أحمد رجب الأسمر، فلسفة التربية في الإسلام، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، د. ط ١٩٩٧م، ص ٣٧٤.

٢٢. مازن المبارك، نحو وعي لغوي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثانية، ١٩٨٥م، ص ١٨.

٢٣. حسن محمد باجودة، اللغة العربية والتربية الإسلامية، مركز البحوث التربوية والنفسية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د. ط، ١٩٨٠م، ص ٣٥.

٢٤. محمد فاضل الجمالي، نحو توحيد الفكر التربوي، الشركة التونسية للتوزيع، تونس، د. ط، د. ت، ص ٢٠٥- ٢٠٩، (بتصرف).

٢٥. أحمد رجب الأسمر، فلسفة التربية في الإسلام، دار الفرقان للنشر والتوزيع، عمان- الأردن، د. ط، ١٩٩٧م، ص ٣٧٩.

٢٦. «إن كلمة مبدأ تعبّر عن فكرة عامة شاملة تنبثق عنها أفكار فرعية». عبد الرحمن النحلاوي، التربية الإسلامية والمشكلات المعاصرة، المكتب الإسلامي، بيروت- لبنان، ط ٢، ١٤٠٨هـ- ١٩٨٨م، ص ٥٥.

٢٧. هي «مجموعة الأخلاق التي تصنع الشخصية الإسلامية، وتجعلها متكاملة قادرة على التفاعل الحي مع المجتمع، وعلى التوافق مع أعضائه، وعلى العمل من أجل النفس والأسرة والعقيدة». محمد جميل خياط، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، مركز البحوث التربوية والنفسية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د. ط، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ص ٣٣.

٢٨. محمد جميل خياط، المبادئ والقيم في التربية الإسلامية، مركز البحوث التربوية والنفسية، جامعة أم القرى، مكة المكرمة، د. ط، ١٤١٦هـ- ١٩٩٦م، ص ٤٦.

٢٩. علي أحمد الجمل، القيم ومناهج التأريخ الإسلامي، عالم الكتب، القاهرة، د.ط، ١٩٩٦م، ص ٢٣- ٢٤.

٣٠. محمّد سيف الدين فهمي وزميله، مبادئ التربية الصناعية، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، د. ط، ١٩٦٧م، ص ٤.

٣١. محمد لبيب النجيحي، مقدمة في فلسفة التربية، دار النهضة العربية، بيروت، ط ٣، ١٩٨١م، ص ٥٧.

٣٢. نور الدين عبد الجواد، الإعلام والرسالة التربوية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، الرياض، د. ط، ١٤٠٤هـ-١٩٨٤م، ج ٢، ص ٢٠٥.

٣٣. محمد سيد محمد، الإعلام والتنمية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٣، ١٤٠٥هـ- ١٩٨٥م، ص ٢٧٩.

٣٤. عبد اللطيف حمزة، الإعلام في صدر الإسلام، دار الفكر العربي، القاهرة، ط ٢، ١٩٧٨م، ص ٧٤، (بتصرف).

٣٥. أحمد محمد جمال، محاضرات في الثقافة الإسلامية، دار الكتاب العربي، بيروت، ط ٦، ١٩٨٣م، ص ٣٨٦، (بتصرف).

٣٦. آل عمران، ١٠٣.

٣٧. آل عمران، ١٠٤.

٣٨. علي محمد لاغا، تشكيل الشخصية الإسلامية المعاصرة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط ٢، ١٩٩٠م، ص ٥٤- ٥٥، (باختصار).

معالم الأمن الثقافي والغزو الثقافي في قصص الأنبياء

Cultural Security Traits and Cultural Invasion in the Prophets Tales

أ.د. سيد محمد رضا ابن الرسول
الباحثة ناديا دادبور
جمهورية ايران الاسلامية

Prof. Dr.Seid Muhammad Radha Ibnalrasul
Researcher: Nadia Dadbur
Iran

ملخص البحث:

كل مجتمع من المجتمعات البشرية يتميز بثقافة خاصة، لها حدودها وأطرها التي تعد الحصن الحصين لذلك المجتمع أو ما يماثله من المجتمعات الأخرى. ومن يتكئ على عرش الحكومة يشمر عن سواعده ويبذل الجهد الكبير، حصانة للأنظمة الثقافية التي رسمت في خريطة ذاك المجتمع ولم يكن هذا الأمر مستحدثاً في الظهور بل الخطوات التاريخية تنطوي على العديد من هذه المؤشرات الثقافية التي يتكفل حصانتها من يترأسها. منذ بداية التاريخ حتى هذه الآونة تعاني المجتمعات ولاسيما الدينية أعداء يشنون حرباً على الثقافة المقبولة التي تعدّ أكبر عماد وأعظمه في المجتمعات الدينية. وكل نبيّ عندما كان يبعثه الله رسولاً كان يخطط لثقافة دينية كما كان يغزو غزواً ثقافيّاً على الثقافة التي تغاير ثقافته الدينية وهنالك تتفاقم الصراعات الثقافية وتتجلى في نفقات هذه، مرايا الأمن الثقافي، ماهيتها، أسبابها، أعداؤها وجميع ما يتعلّق بها. وأتى القرآن الكريم بتسجيل مناضلات الثقافات الدينية الإلهية والثقافات الطاغية التي عادت الثقافات الدينية ويُرسم القرآن الكريم ذلك عبر توظيف آلية القص بما لها من بلاغة وروعة وجمال وموعظة. فقصة النبي موسى عليه السلام وفرعون، وقصة النبى نوح عليه السلام، وقصة يوسف النبي عليه السلام والأزمة التي واجهها مع إخوته، وقصة النبي لوط عليه السلام مع أبناء قومه كل هذه القصص تكشف عن مؤشرات الأمن الثقافي كما تُظهِر مظاهر الغزو الثقافي التي يرافقها. فاستهدف البحث دراسة معالم الأمن الثقافي أسبابها، موانعها وكيفيات وقاية المجتمع الديني وصيانته من الغزو الثقافي في القصص القرآنية وذلك برصد عوامل التوثيق الثقافي الداخلية النفسية والعوامل الخارجية(البيئية). العوامل الداخلية تتمحور حول عناصر منها: توكيد الإيمان والتّعرف الى معالمه الحقة من المصادر الموثّقة، الاتكال على الله، الاصطبار في مواجهة المشاكل والتحلي بالخلق الكريم وترقية الذكاء الشخصي ومن العوامل الخارجية هي ذود الاتحاد في الحلقات الدينية، وترقية مستوى الثقافة الدينية ، توظيف التشجيع ثم كشف الغطاء عن منافذ الغزو الثقافي، والتجنيد تجاه التيارات الارتدادية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. والنتيجة المتوخاة من هذا البحث هو دراسة القصص القرآنية من منظور تكفل الأمن الثقافي وهي تقدم بضاعة ثمينة راقية للمجتمعات الراهنة كما أنها تقدّم الحلول الفاعلة لمجابهة الغزو الثقافي الراهن.

الكلمات المفتاحية: الأمن الثقافي، الغزو الثقافي، القصص القرآنية، المؤشرات القرآنية للأمن الثقافي والغزو الثقافي.

Abstract

Each community has a specific culture different from other cultures and such a culture gives force to cultural systems. From the very historical beginning, certain communities, in particular, the religious ones, suffer from enemies waging wars against the most acceptable culture. Each prophet sent as a messenger plans to have a religious culture to dominate the other controlling culture. Such triggers the cultural struggle; the Glorious Quran mentions all these tales; cultural struggle and the dictators in great narrativity. Prophet Moses narrates his tale and the other prophets do so. The current study focuses on the Quranic tales in light of the cultural security to find remedies for confronting the present cultural invasion.

Key words:
cultural security, Quran tales, cultural security and cultural invasion Quran›s indicators.

المقدمة

تحديد الموضوع

يهندس كل مجتمع من المجتمعات البشرية على قوائم أساسية ومن أهم هذه القوائم والأسس هو الأمن بمستويه العسكري والثقافي ولا يخفى أن الثاني أكثر شمولاً من الأول بل يشمله ويحتوي عليه. والأنبياء والرسل جاؤوا ليقوّموا أبنية الثقافة الدينية في مجتمعاتهم ويبنوا بناء لن يجد الفناء إليه سبيلاً على الرغم من أن ما قصدوه لم يكن ليجد حضوره في ساحات الحياة الاجتماعية مئة بالمئة ولم يعط الدرجة الكافية من التطبيق وذلك لأسباب يطلق عليها في المجموع مظاهر الغزو الثقافي، التي بدأت تمزّق ما أتت به الثقافات الدينية، لكن الأنبياء تمكنوا من وضع قيم دينية تليق بالمجتمع الإلهي، فقضية الأمن الثقافي والغزو الثقافي لها حضور واضح في أي من المجتمعات وخاصة الدينية منها؛ القرآن الكريم يقص القصص ويسرد العبر وينذر البشر ويبشّر بالقدر وهذا القص يرسم صور حقيقية عن المجتمعات الغابرة ويزيح الستار عن وجه الحياة الثقافية آنذاك فقصة النبي موسى والنبي إبراهيم والنبي يوسف والنبي داود والنبي سليمان والنبي لوط عليهم السلام تذخر بالشحنات الدلالية والتعبيرية وترسم في دهاليزها الدقيقة ما يرتبط بحساسية عالية بالأمن الثقافي والغزو الثقافي وتحديد مجالاته وتوظيفها في الحياة الاجتماعية الراهنة.

هدف البحث

هدف هذا البحث رصد شتى مظاهر الأمن الثقافي والغزو الثقافي في القصص القرآنية للكشف عن الزوايا الكامنة في ميدان الأمن الثقافي في هذه القصص .

ضرورة البحث

الكشف عن مديات الأمن الثقافي والاطلاع على مظاهر الغزو الثقافي في القصص القرآنية يفتح نافذة أمام المتلقي ويؤسس مهاداً نظرياً يمكن توظيفه في الظروف الراهنة مما يؤكد ضرورة هذا البحث وأهميته.

أسئلة البحث

الأسئلة التي يحاول البحث الإجابة عنها تتلخص فيما يلي:

ما مظاهر الأمن الثقافي ومؤشراتها في البيئة التي كان يعيشها الأنبياء من أمثال موسى وإبراهيم ويوسف وداود وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام؟

ما مظاهر الغزو الثقافي ومؤشراتها في البيئة التي كان يعيشها الأنبياء من أمثال موسى، وإبراهيم، ويوسف، وداود وغيرهم من الأنبياء عليهم السلام؟

كيف تتفاعل مظاهر الأمن الثقافي والغزو الثقافي مع البيئات المستجدة للعصر الراهن؟

منهج البحث

راح هذا البحث يسير في خطواته على أساس المنهج الوصفي التحليلي، بداية يقدم عرضاً بسيطاً مفاهيمياً يعرّف فيه مفهومي الأمن الثقافي والغزو الثقافي ثم يواصل خطواته في دراسة القصص القرآنية وتمحيض مؤشرات الأمن الثقافي والغزو الثقافي. والبحث في خطواته الأخيرة يقدم مقتراحته في عصرنة هذه المؤشرات المستقاة من القصص المدروسة ويحيل عليها طابعاً ذا روئ عميقة ويأتي بمستجلياته في الواجهة ليحول دون عقم البحث وتخصيبه تخصيباً لائقاً.

خلفية البحث

الدراسات التي سبقت هذه الدراسة تكاد تنحصر في شقين؛ فهي إما تختصّ بقصص الأنبياء من دون الجانب الثقافي أو تعالج القضايا الثقافية من دون إلقاء النظر على الجوانب الثقافية في القصص القرآنية أو تشير إلى القضايا الثقافية في القرآن الكريم دون أن توجّه رؤيتها في إطار هادف محدد. وكتب التفاسير لها حصة كبرى في مجال قصص الأنبياء في القرآن وتعالج هذه الزاوية في فقرات تطول أو تقصر. ومن هذه الدراسات يمكن الإشارة إلى البحوث الآتية:

الدجاني، زاهية(٢٠١١م). كتاب أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التورات، بيروت-لبنان: دار التقريب. عالج فيه الكاتب قصة نوح و هود و صالح و لوط وشعيب وموسى عليهم السلام وبيّن الجوانب الإعجازية للقصص القرآنية إلا أنه لم يعالج القضايا الاجتماعية أو الثقافية .

حسن محمد علي عبّارة(٢٠٠٢م). الشخصية الكافرة دراسة قرآنية، بيروت-لبنان: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية. يتمحور هذا الكتاب حول الشخصيات الكافرة التي وردت في ساحة القرآن الكريم أمثال إبليس والشيطان وفرعون وكشف القناع عن هندسة هذه الشخصيات وكيفياتها. وعلى الرغم من أن هذه الشخصيات تعدّ من النماذج البارزة للغزو الثقافي لكن صاحب الكتاب لم يشر إلى هذا الجانب إشارة صريحة.

أصغر افتخاري(١٣٤٧).امنيت اجتماعى شده، رويكرد إسلامي، تهران: پژوهشگاه علوم انسانى ومطالعات فرهنگى. هذا الكتاب يقترب من البحث الحاضر اقتراباً ملحوظاً إذ يبدأ بدراسة الأمن الاجتماعي ومظاهره في الرؤية الإسلامية وفي أثناء بحثه يخصص أوراقاً يسيرة بقصة النبي نوح عليه السلام ودراسة كيفيات الأمن الاجتماعي في الطقوس التي عاشها.

ميشل سي ويليامز وترجمة مهدي ذوالفقاري(١٣٨٩). جنگ نرم فرهنگى درآمدى بر نسبت امنيت و فرهنگ. يولي هذا الكتاب اهتمامه إلى الجانب المعصرن للثقافة والأمن، فيتحمس في شأن الثقافة ويبيّن مدى علاقته بالتثقيف مشيراً إلى القضايا التي أنجبتها الحرب الناعمة.

أحمدعبدالرحيم السّايح(١٩٩٣).أضواء حول الثقافة الإسلامية، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية. الثقافة هي البؤرة المركزية في هذا الكتاب فتحل الثقافة الإسلامية وأهميتها محل القيادة فيه وهنالك إشارة إلى المصطلحات الكبرى ذات الصلة بالثقافة من أمثال الدين والحضارة والمجتمع والنظم والقيم والمذهبية وغيرها من المؤشرات التي تتصل بالثقافة بشكل ما.

أما ما ابتدعه هذا البحث فهو دراسة مظاهر الأمن الثقافي والغزو الثقافي في القصص القرآنية وهذا الجانب لم تُسجِّل الأبحاث السابقة فيه ورقة وافية على ما يبدو فراح البحث يحاول سد الفجوات الموجودة في هذا المجال.

الثقافة

الثقافة مفهوم يخضع للعديد من المعاني فهي تدلّ على جميع النتاجات المادية والمعنوية للمجتمعات ما يستوعب شتى المجالات من العلم والفن والسلوك الاجتماعي والآداب والتقاليد والمواهب التي يكتسبها الإنسان عبر مضي الزمن وما ينقله من جيل إلى جيل.

و تطلق الثقافة على حلقة المعتقدات والسنن والتقاليد المحترمة في المجتمع والتي تكاد تعدّ جزءاً لا يتجزّأ عن جسد المجتمع ومفاصله.

إلا أن الثقافة في حلقة موسعة من التعاريف لا تخرج عن إطارين؛ الإطار المادي والإطار المعنوي النفسي؛ فالأول يشمل جميع ما يعاين من فن ونتاج وخط وموسيقى والمعالم الأثرية التي تعد ومضة من ومضات الثقافة بمفهومها المادي. وأما ما يعتلج الجانب النفسي الانتزاعي غير المادي للثقافة فيحتضن الخطوط المعقدة للثقافة في نحو: المعتقدات والتقاليد والسنن(ينظر: جاوداني شاهدين، ١٣٨٢،ص ٨٦).

الأمن الثقافي

الأمن هو من أولى الضروريات التي يتطلبه المجتمع الصحيح الذي يسير نحو هدف ويسعى إلى غاية منشودة . ونرى هذه الحاجة الملحة جلية عند النبي إبراهيم عليه السلام حين أشاد بنيان الكعبة ﴿ربّ اجعل هذا البلد آمناً﴾(إبراهيم ١٤، ٣٥). وهذا الدعاء يلمح إلى الأهمية الفائقة التي يتميز بها الأمن في المجتمعات البشرية ولا سيما الدينية منها. إذ الثقافة الدينية تمهد الأرضية المناسبة للعبودية الحقة وسلوك طريق الإيمان. فالأمن الاجتماعي عامة يؤدي إلى الاطمئنان النفسي الذي ينتج بيئة هادئة، يتمكّن فيها الناس من التفكير في الحياة ثم العبادة والعبودية التي لم تكن إلا صدى من أصداء هذا الأمن:﴿فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف﴾(قريش١٠٦ ، ٣-٤). والأمن من أثمن النعم التي وهبه الله سبحانه وتعالى للإنسان حيث كفران هذه النعمة لا يثمر إلا النقمة والعذاب:﴿وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغداً من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون﴾(نحل ١٦ ،١١٢).

الأمن الثقافي لغة واصطلاحاً

المعنى اللغوي للأمن عند صاحب العين هو: ضد الخوف، والفعل منه أمن يأمن أمناً، والإيمان: التصديق نفسه نحو قوله تعالى: ﴿وما أنت بمؤمن لنا﴾ ويقول ابن فارس: أمن له أصلان: أحدهما الأمانة التي هي ضد الخيانة والآخر التصديق وهو يوظف في أسماء الله تعالى فالمؤمن هو الذي يصدق عباده وعده، فهو من الإيمان: التصديق. أو يؤمّنهم في القيامة من عذابه، من الأمان والأمن ضد الخوف (ابن فارس، العين والمقاييس، مادة : أمن).

إن مصطلح الأمن الثقافي مصطلح لم يقف عند حد يحدده بل كل مجتمع من المجتمعات البشرية له أصول وقواعد تصونه وتحافظ عليه ويتحدد مفهوم الأمن الثقافي عندها في إطار تلك الأصول والقوانين. فالأمن الثقافي مضمار متأرجح متساير، فلذلك يصعب تحديد نقط مضبوطة لهذا المفهوم وهي تتفاوت بتفاوت هندسة المجتمعات والثقافات المقبولة لدى من يرأسها. أما الأسباب التي أدّت إلى زعزعة هذا المصطلح تتلخّص فيما يلي:

التباينات الغائية من الأمن الثقافي في المجتمعات المختلفة.

سعة مفهوم الأمن وشمول دائرته المعرفية.

كون الأمن مفهوماً انتزاعياً غير ماديّ.

غموض عوامل زعزعة الأمن الثقافي ومؤشراتها(ينظر: بخشي نهاوندي، هويت وامنيت ملي در اسلام، ص ٤٩-٦٠).

الأمن الثقافي يتأبط شرائح عديدة ومنوعة فكل من هذه الشرائح تفتح أمام المخاطب نافذة يتمكن إثرها من التعرف الى إطار الثقافة المحترمة للمجتمع المدروس. و الأمن الثقافي حلقة موسعة يشتمل على حلقات منضدة ومستويات تتباين من آونة إلى أخرى. ولا يمكن معالجة الأمن الثقافي بمعزل عن مفاصل المجتمع الاخرى وهنالك تشابك مستمر وتزاوج متواتر بين الثقافة والحلقات الأخرى. أما ما يتأبطه الأمن الثقافي من مؤشرات فتتلخص فيما يلي: ١- القومية، الأمن الاجتماعي للمواطنين، والعدالة الاجتماعية، والوعي الاجتماعي، والحركات الاجتماعية،٢- الأمن الاقتصادي للمواطنين، الفقر والشرخة الطبقية بين شرائح المجتمع، الإدارة الثقافية، والكيفيات الهندسية في المجتمع، والتشريعات السياسية وكيفيات التقنين. والهوية والتوكيد الذاتي في الأنا الجماعية للمجتمع.

للثقافة مصاديق معقدة وأنظمة مستعصية غير مرنة إلا أنه يتواتر توظيفه في شتى الميادين وجل الساحات الاجتماعية وهو يشكل نظاماً بعناصر صغرى مرتبطة بعضها ببعض في علاقة حميمة غير فاترة. وهو ينتج إنتاجاً صائباً إذا تم التنسيق بين عناصره وانعدمت في إطاره الداخلي الرخوة والفتور والإستاتيكية ليصبح نشاطاً محضاً وتتضاؤل المهددات الخارجية ليحل الهدوء والإطمئنان ؛ هذا هو ما يعبر عنه بالأمن الثقافي. والحق أنّ الأمن الثقافي يعني تحصين الأفكار والمعتقدات والعقائد والسنن في رؤية شمولية ويطلق على شتى العناصر التي تقع في دائرة الثقافة المعقدة ولم يكن الأمن الثقافي قضية مقوقعة بل يتأثر بالعوامل الخارجية ويؤثر فيها. فجسد الثقافة يحتوي على مفاصل تشكل هيكلاً فخماً بهندسة شيقة(ينظر: طلايي والآخرون، امنيت فرهنگى، ص ٧٠).

فالأمن مفهوم يتأرجح على أرجوحة الزمان والمكان ويتحول معناه من مدة إلى مدة فالتقنيات التي توظَّف ضد المخاطرات والمهددات المتواجدة لصيانة الأمن الثقافي تكاد تتغير في منعطفات الزمان ومنعرجاته فلذلك نرى أن آليات تحقيق الأمن الثقافي وكيفيات مجابهة الغزو الثقافي تختلف عند كل نبي من الأنبياء على الرغم من استحضار تشاكلات قائمة أو فاترة بين هؤلاء(ينظر: بخشي نهاوندي، هويت وامنيت ملي در اسلام، ص ٥٠).

مصادر الأمن الثقافي

لم يظفر الأمن الثقافي بمكانة سامية من الدرس والبحث في المصادر الإسلامية وإن وجدته لم تجده إلا في كتب الجهاد والحدود والقضاء، وما يتعلق بالسرقات والارتداد والمحاربة وغير ذلك من الكتب، والأمن الثقافي يستوعب مساحة كبرى في الكتب التي تتعلق بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر(ينظر: هويت وامنيت ملي در اسلام، ص ٢٧) و المصحف الشريف يقدم بضاعة ثمينة في هذا المضمار والقصص القرآنية خير ساحة للكشف عن هذا الجانب. فالقرآن الكريم يحدد المؤشرات التي ينبغي أن تتحلى بها المجتمعات البشرية وهذه المؤشرات المفضلة هي التي تضمن الأمن الثقافي في المجتمعات إلالهية التي بعث الأنبياء بغية تأسيسها ونادوا برايتها ودعوا لتشييدها. فكل ما يعارض هذه المؤشرات وكل ما ينافي هذه القواعد ليس إلا نموذجاً من نماذج الغزو الثقافي من منظور هذا البحث. على الرغم من أن الأمن الثقافي بحر غائر بل محيط يمتد إلى اللانهاية فإنه يجد مصيره عندما يقولب في قارورة ممنطقة. فالأصول التي تركز عليها الحكومات الإلهية وتتبنّاها هي: الوحدانية، والعدالة، والصدق،وامتلاك الهوية الدينية، والشجاعة، والانتباه إلى الشعائر الدينية.

آليات إنشاء الأمن الثقافي

تتوزع آليات إنشاء الأمن الثقافي على قسمين: الآليات النفسية، والآليات المادية.الآليات النفسية هي، الإيمان وصيانة الدين؛ ثم الوحدة وعدم التشتيت والتذبذب، القيادة والاقتداء بها. أما الآليات المادية التي يعتمد عليها لتحقيق الأمن الثقافي فهي آليات قسرية تتخلص في تنسيق القوى العسكرية وتوظيفها.

أعداء الأمن الثقافي

بجانب مؤشرات الأمن الثقافي لابد من التركيز على أعداء الأمن الثقافي ا فمن أبرز أعداء الأمن الثقافي في الحكومات الدينية هي:

الخرافة والبدع: تتبنى الثقافات الدينية العقل والمعرفة أما الخرافات وتفشي الأساطير والبدع فتقضي على جذور الثقافات الحقّة وتزعزع بنيانها بل هي تطيح بالعقلانية التي تنبثق منها الثقافات الدينية، فعليه تعدّ الخرافة واختلاق البدع آلية أساسية تسعى الأعداء إثرها الى حقن الأفكار اللامرئية في أذهان العامة فلابد من وضع العيون البصيرة للحيلولة دون إشاعة الخرافة والبدع في الأنظمة الدينية مما يؤدي إلى توثيق الأمن الثقافي في المجتمع وتضخيم الهوية الذاتية لدى أفرادها و يساعد جلياً على تهميش الأفكار الفارغة والخرافات السائدة.

ظهور التيارات الارتدادية: التيارات الارتدادية تلعب دوراً قاتماً في زعزعة أركان الأمن الثقافي وهي أشد خطراً قياساً بالمهددات الاخرى ، ذلك أنّ الارتداد يسوّس النواة التي بدأت تنمو فيجعلها تتبعثر ويذهب بها أدراج الرياح فلم تقدر بعد على الاستواء ولا يكفّ التسويس عنها بل يصبح داء يسري إلى شبكة الأمن الثقافي بطرق متعددة فاتخاذ الإجراءات الرادعة التي تحول دون ترعرع هذه التيارات يبدو ضرورياً كما أن الوقاية خير من العلاج.

الضغوط السياسية والاجتماعية: عندما يشكل التنظيم السياسي لمجتمع ما خريطته معارضاً لما تعرفه الثقافات الدينية حينئذ يعد ظهور التيارات الدينية حرباً عليه وسهاماً مرمياً نحو أنظمته وهذا من أبرز المواقف التي تشاهد في البيئة التي بعث فيها الأنبياء أن رؤساء الحكومات كانوا يشمرون عن سواعدهم وكانوا يُضيّقون على من آمن وهذا الكبت والضغط الذي كان يجد حضوره بشكل متكاثف في ساحات الاجتماعية والثقافية ترك بصماته وأثّر أثره في منع الحشد الغفير من الإيمان بدعوة الأنبياء وعمل على تخويف الكثير من المؤمنين وارتباكهم على إظهار عقيدتهم في أدنى الحالات.

الزعزعة النفسية: الزعزعة النفسية التي تنشأ عن الذبذبة في الهوية ولا سيما الهوية الثقافية تعد ركيزة أساسية تطوف حولها العديد من المؤشرات التي تهدد الأمن الثقافي فلابد من تسليط الأضواء على الهوية الثقافية وتحكيم فتلها في المجتمع. ذلك أن «الهوية الثقافية والحضارية لأمة من الأمم، هي القدر الثابت والجوهري والمشترك من السمات والقسمات العامة، التي تميز حضارة هذه الأمة من غيرها من الحضارات، والتي تجعل للشخصية الوطنية أو القومية، طابعاً تتميز به عن الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى» (ابن عثمان التويجري، ٢٠١١م، ص ٢١). فإذا تعرفت شرائح المجتمع على حقيقتها وهويتها الثقافية تتجند أمام التيارات الارتدادية التي تريد زحزحتها عما كانت عليه من الثقافات فتعمل الهوية الثقافية الفاعلة عملها في وقاية التسربات الأجنبية التي تدبّ دبيبها وتتسرب في هوية الأشخاص وتنحت شخصية كاذبة لها فكل من عرف مدى أهمية ثقافته واستبصر جوانبها لا ينثني أمام الهجمات التي يوجهها العدو خلافاً لمن لايقدّر الهوية الثقافية التي يمتلكها فيذهب بها أدراج الرياح ويميل كل الميل نحو أي حديث يأتيه من دون أن يكشف الغطاء عنه.

الأمن الثقافي والغزو الثقافي في القصص القرآنية

القصص القرآنية قصص هادفة تستوعب شتى ميادين الحياة بأبعادها المختلفة، اجتماعية كانت أو ثقافية أو نفسية، هذا الثالوث الذي يشكل حلقة متشابكة ينطوي على قضايا ثقافية يمكن أن تعالج في خضمها قضية الأمن الثقافي في عصور الأنبياء الماضية برؤية مستقبلية.

مظاهر الأمن الثقافي والغزو الثقافي في قصة نوح عليه السلام

النبي نوح يتميز بميزات يتفرد بها من فهو أول نبي تولّى أمة بشريعة مميزة ومصحف شريف فـ«قومه هم بنو راسب وهو عليه السلام أول رسول بعث إلى أهل الأرض، وهو من أولى العزم»(العصر،٢٠١٣م، ص ٤٠). وكان صدره منشرحاً رحباً لا يخضع للغضب ولا يردّ الجاهلين إلا بسلام ومن فضائله النفسية ومؤهلاته الشخصية يمكن الإشارة إلى أنه كان عبداً شكوراً وإنساناً وقوراً يمتلىء قلبه بالحنان والرقّة وكان من شيمته وكبير سجيّته أن يراعي الأدب في تصرفاته فهو العبد الصالح الشكور الذي يقدّر النعم التي أنعمها الله عليه ﴿ ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا ﴾(الإسراء ١٧، ٣). أما الأمن الثقافي الذي يشغل حيزاً ملحوظاً في التاريخ فيطفو على سطح حياة النبي نوح عليه السلام بإحسانه للناس ﴿ سَلَامٌ عَلَىٰ نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ. إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴾(الصافات ٣٧، ٧٩ و٨٠). (ينظر: جوادي آملي، تفسير موضوعي قرآن

كريم، ص ٢٤٧). فالإحسان يثبت أقدام المؤمنين ويريح بالهم كما أنّه يمثّل قادحاً نافذاً يستميل القلوب النافرة نحو الحق والصراط المستقيم فنوح عليه السلام يوجّه عمله إلى الله سبحانه وتعالى ويمحضه إذ يقول: ﴿ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾(يونس ١٠، ٧٢). فلم يكن نوح - وهو بمعزل عن هذا- ليمد عينيه إلى ما تحمله أيدي الكفار والمشركين بل يبلّغ رسالات ربه وينصح لهم ولم يكن يسأل أجراً من أحد وعدم اتخاذ الأجر يعد حركة تجاه توسيع التيار الديني. ومن ميزاته التي تشد الأنظار هي؛ التواضع وكرامة الخلق:﴿ لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ. قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ. قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ. أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ. أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ. فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ﴾(الأعراف ٦، ٥٩-٦٤). كلام النبي نوح عليه السلام يزخر حناناً ورقّة وعطوفة«وهذا شأن الرسول أن يكون مبلغاً فصيحاً ناصحاً عالماً باللهّ لا يدركه أحد من خلق اللهّ في هذه الصفات»(ابن كثير، تفسير القرآن العظيم ج ٣، ص ٤٣١). وهذه الميزة أي سعة الصدر والكرامة تمثل اللبنة الأولى في تحكيم أسس الثقافة الدينية ومجابهة عناصر الغزو الثقافي في المجتمع.

و كان الاجتهاد والسعي الدؤوب السمة الطاغية عند هذا النبي المكرم فنوح لا يفتأ يدعو قومه ﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا﴾(نوح ٥، ٧١). إلا أن دعوته لم تتكلل بالنجاح بسبب العوائق النفسية عند قومه التي حالت دون قبول دعوته.

ومن مظاهر الغزو الثقافي البارزة في بيئة نوح عليه السلام الانتباه المتزايد إلى زخارف الدنيا وزينتها ثم التركيز على المكانة الاجتماعية فقوم نوح يولون الأدبار عنه لاتباعه الأراذل:﴿ فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ﴾(هود ١١، ٢٧). فالكفار من قوم نوح كانوا يوجهون سهام نقدهم بسخرية فادحة نحو النبي نوح عليه السلام فهم يتوقعون من النبي أن لا يكون بشراً عادياً وأن يتبعه الأغنياء أو الشرائح الاجتماعية الراقية فهاجموه بقولهم انّ الأراذل الذين هم سفلتنا يتبعونك من دون غيرهم؛ فلو كنت على حق لاقتدت بك الطبقات العليا إلا أن دائرة الإيمان والديانة أوسع من أن تردّ يد المؤمنين من أي شريحة كانت دنياها أو علياها، أشرافها أو ضعفائها﴿وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا ۖ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللهِ ۚ وَمَا أَنَا

بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا ۚ إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ. وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾(هود ١١، ٢٩ و٣٠). ويجابه نوح عليه السلام هذه الفكرة الخاطئة التي شاعت آنذاك لتشكل مفاصل الغزو الثقافي وتشعل نيران العصبية القومية والتفرقة الطبقية ويأتي بأدلة صارمة وحجج قويّة يبين إثرها الخطوط العريضة التي يرسمها الدين الإلهي الذي هو أعظم من أن يستمد بأموال الناس وطبقتهم ليفرش ظلاله في أبعد مدى أو يحل مكانة مرموقة بين الناس بل كل من يؤمن به يستظل بظلاله الوارفة فلا المال يرفع مكانة الإنسان في الثقافة الدينية ولا الدين ترتفع درجته بالثروة الطائلة بل الإيمان هو المؤشر الأساسي في ضمان الأمن وما له الكفاءة التامة في مستوى الأمن الثقافي هو الإيمان بالشريعة إيماناً لاتشوبه شائبة، فمن يؤمن بالله وإن كان من سلفة القوم يُستقبل بالحفاوة والرحب والسعة ولا ينتهي طرد المؤمنين من أي طبقة كانوا إلا إلى العقوبة الإلهية وسخط الرّب وغضبه. فنفس هذه المعاملة التي خططت في أقصى مستويات الحنان والرّقة تسفر عن أهم جانب من جوانب الأمن الثقافي في المجتمع الذي حاول نوح بحزم أن يحققه ألا هو تحطيم الطبقية وانعدام بصماتها.

ومن مظاهر الغزو الثقافي الاخرى في زمن النبي نوح عليه السلام والذي كان يعتبر خطراً على الثقافة الدينية هي عبادة قومه للأصنام وعكوفهم لها:﴿ قَالَ نُوحٌ رَّبِّ إِنَّهُمْ عَصَوْنِي وَاتَّبَعُوا مَن لَّمْ يَزِدْهُ مَالُهُ وَوَلَدُهُ إِلَّا خَسَارًا.وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًاوَقَالُوا لَا تَذَرُنَّ آلِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا. وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًاۖوَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا ضَلَالًا﴾ (نوح ٧١، ٢١-٢٤). «وهذه الأصنام الخمسة كانت أكبر أصنامهم، ثم انتقلت عن قوم نوح إلى العرب، فكان ود لكلب، وسواع لهمدان ويغوث لمذحج ويعوق لمراد»(العصري، المصدر نفسه، ص ٤١). ولم يكن هذا المهدد الثقافي بهيّن على حلقة المؤمنين من قوم نوح فهو أدى إلى تمزيق أركان الثقافة الدينية وضلّ وأضل إثره الكثير ممن آمن بنوح عليه السلام وقد صرح القرآن الكريم بهذه الخطوط القاتمة والبصمات السوداء التي تركتها عبادة الأوثان في النفوس:﴿ وَقَدْ أَضَلُّوا كَثِيرًا وَلا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلاَّ ضَلالا. إِنَّكَ إِن تَذَرْهُمْ يُضِلُّوا عِبَادَكَ وَلَا يَلِدُوا إِلَّا فَاجِرًا كَفَّارًا﴾(نوح ٧١، ٢٨). فإضلال المؤمنين من أفدح الكوارث وأشنعها وهو حرب على الأمن الثقافي الذي كان يسعى نوح النبي وراء تحقيقه سعياً حثيثاً ومن ثمار هذه الشجرة الخبيثة أن يذهب حشد الكفار في ازدياد فإنهم لن يلدوا إلا كفاراً فجاراً.

ومن أهم المناهج والأساليب في تحقيق الأمن الثقافي وتوكيد قوائمه في المجتمع هو الاجتهاد والسعي الدؤوب والمثابرة في طريق الدعوة فنوح عليه السلام «يدعو قومه دون انقطاع أو فتور، يدعوهم ليلاً ونهاراً،

سرّاً وجهاراً، وبقي على هذا الحال ألف سنة إلا خمسين عاماً، في حين لم يكتف قومه بالإعراض، وسخروا منه فقابل ذلك بالصبر والحسنى»(العصري، المصدر نفسه، ص ٤١). فالغزو الثقافي الذي يظهر تجاه هذه الدعوة المستمرة هي السخرية والاستهزاء بالأصول الدينية والشعائر الإلهية وهنالك القرآن الكريم يقدّم حلّا لهذه التصرفات المؤذية التي تؤدي إلى الإنزعاج ألا وهو التحلي بحلى الاصطبار والتجلد ولا ينتهي الأمر في إطار الحلم والتجلد بل يتعدى ذلك إلى رد السيئة بالإحسان والإيذاء بالحسنة وهذا ما يحفظ صرح الإيمان ويصون المؤمنين من الزعزعة والذبذبة.

ومن الوسائل التي توسل بها نوح النبي لتحكيم الهوية الذاتية ومن ثم توكيد الأمن الثقافي هو الدعاء والمناجاة ﴿ربّ إن قومي كذّبون فافتح بيني وبينهم فتحاً ونجني ومن معي من المؤمنين﴾(الشعراء ٢٦، ١١٧-١١٨) وكثيراً ما تعمل هذه التقنية في اعتلاء المستويات النفسية إذ الدعاء يهب نشاطاً ذاخراً للنفس ويقويها حتى الإعجاز والدعاء يرقّي سلالم الإيمان ويقوم بتأصيل جذوره عند من آمن بالله كما أن الدعاء له أثره الفاعل في إنشاء الرعب في قلوب الأعادي فهو يعدّ آلية فاعلة من الآليات مجابهة الغزو الثقافي ويعمل في اتجاهي الذاتي والبيئي.

ومما يبرز في تأطير قصة النبي نوح عليه السلام لتحقيق الأمن الثقافي والحيلولة دون تنفيذ الغزو الثقافي هو توظيف الردود المقابلة فيما يمسّ عرض المؤمنين وهويتهم الذاتي فالسخرية غير محبذة بل هي صفة ذميمة ينهى الله سبحانه وتعالى عن الإتيان بها إلا أن نوح يكيل الصاع بالصاع لقومه فعندما استهزئ به قومه وسخروا منه فيسخر منهم كما سخروا ﴿إِن تَسخَروا مِنّا فَإِنّا نَسخَرُ مِنكم كما تَسخَرون﴾(هود ١١،٣٨).

وتحقيقاً للأمن الثقافي لابد أن تتوأم الجوانب الإنذارية والتبشيرية ولابد أن تعتدل الرؤى التي توجّه نحو الثقافة الدينية ذلك أن الإنذار يشوّه الرؤى ويخلق صورة بشعة مرعبة كما أن التبشير الوحيد يجعل القوائم الدينية تتزلزل وتؤخذ الأمور بتساهل مفرط وهذا ما لا ينبغي له.

مظاهر الأمن الثقافي والغزو الثقافي في قصة النبي إبراهيم عليه السلام

يحمل النبي إبراهيم عليه السلام شخصية فذة تباين الرسل الآخرين فهو الذي شيد الثقافة الإسلامية ونادت بها. إبراهيم الذي ونادى بالتوحيد وهتف بالوحدانية حتى الصراخ، إبراهيم الذي هدّم الأصنام وقذف بعزّتها إلى أغوار الذلة والهوان. والبيئة التي كان يعيشها بيئة تمتلىء بالكفر والإلحاد لكنه أبصر الحق

وراح يلحّ على تمزيق بصمات الكفر حتى الإمحاء التام وكان دأبه توظيف الحجج الصارمة والبراهين القاطعة لدحض أباطيل المشركين؛ فشدّ إبراهيم حزام المحاربة وشمر عن ساعديه ليقلع شجرة الخبث والعصيان. أما مظاهر الغزو الثقافي في بيئة النبي إبراهيم فتتجلى في ثالوث عباد الأصنام والتماثيل التي نحتتها أيديهم، ثم الذين يسجدون للشمس والقمر، وأخرى التعبد للملوك وحكامها.

ينبغي للبحث أن يقيم للنبي إبراهيم عليه السلام مكانة متمايزة ذلك أن الأمن الثقافي والنفسي يأتي صراحة عند هذا النبي الذي اتخذه الله خليلاً﴿ أَتُحَاجُّونِّي فِي اللهِ وَقَدْ هَدَانِ وَلاَ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِ إِلاَّ أَن يَشَاء رَبِّي شَيْئًا وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا أَفَلاَ تَتَذَكَّرُونَ . وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلاَ تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(الأنعام ٦، ٨٠ و ٨١) و﴿ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا الْبَلَدَ آمِنًا ﴾(إبراهيم ١٤، ٣٥). وكأنّ الأمن وجد مأمنه في صرح إبراهيم النبي، وإعجازه أيضاً يسفر عن أمن خالص واطمئنان ناصع فالنار أصبحت برداً وسلاماً وفدي ابنه بذبح عظيم؛ فلا غرو أن نسمي إبراهيم هذا الخليل، العقد الفريد في حلقات التوحيد والطود العظيم الذي يمثل الأمن الثقافي، الأمن الذي يعاوده مراراً ولا يكاد عنه يبين. فاللفتة التي وصل البحث إليها تميط اللثام عن قضية الأمن التي تتحول بؤرة مركزية عند النبي إبراهيم عليه السلام.

وكان إبراهيم عليه السلام يؤكد بتصرفاته على الأمن الذاتي ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾(البقرة ٢، ٢٦٠). واليقين الذي كان يبحث عنه إبراهيم عليه السلام طالباً من ورائه حلاوة الاطمئنان لم يكن إلا تحقيقاً للتثقيف الذاتي الذي يؤمّن الأمن الثقافي الذاتي لديه وذلك بترقية مستويات المعرفية عنده.

مظاهر الأمن الثقافي والغزو الثقافي في قصة النبي لوط عليه السلام

من أهم مظاهر الغزو الثقافي التي تأتي على خشبة النص القرآني والتي تلفت الأنظار هي إشاعة الانحرافات الجنسية وانفلات الشهوات النفسانية وهي تتجلّى أكثر ما تتجلّى في بيئة لوط عليه السلام فـ «الانحراف الفكري، يظل هو الطابع العام لكل المجتمعات التي جاءتها رسل الله تعالى»(البستاني، المصدر نفسه، ص ٣٤٨و ٣٤٩). لكن ما يشار إليه في هذه القصة هو الانحراف الأخلاقي والشذوذ الجنسي الذي يعمل من دون أدنى شك على خلق أجواء معاكسة لضمان الأمن الثقافي في البيئة آنذاك ويصف القرآن

الكريم هذه الطقوس بقوله: ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَالَمِينَ. إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ. وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ. فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ. وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ﴾(الأعراف ٧، ٨٠-٨٤). فـ «لوط هو ابن هاران بن آزر، وهو ابن أخي إبراهيم الخليل، عليهما السلام، وكان قد آمن مع إبراهيم عليه السلام، وهاجر معه إلى أرض الشام، فبعثه الله تعالى إلى أهل "سدوم" وما حولها من القرى، يدعوهم إلى الله عز وجل، ويأمرهم بالمعروف وينهاهم عما كانوا يرتكبونه من المآثم والمحارم والفواحش التي اخترعوها، لم يسبقهم بها أحد من بني آدم ولا غيرهم، وهو إتيان الذكور. وهذا شيء لم يكن بنو آدم تعهده ولا تألفه، ولا يخطر بباهم، حتى صنع ذلك أهل "سدوم" عليهم لعائن الله»(ابن كثير، ٢٠٠٢م، ص ٤٤٥).

فالأمن الثقافي كانت تزلزل أركانه إثر هذا الشذوذ المتواجد عند هؤلاء وهذه الكارثة تحطّم الأمن بشتى مظاهره وأنواع مجالاته، ذلك أن قوم سدوم كانوا يقطعون الطريق على الضيوف الذين كانوا يأتونهم وكانوا يرمونهم بالحجارة والفخار وكانوا يغيرون عليهم ويغصبون أموالهم (ينظر:الجزايري، ١٣٨٩، ٢٥١) وبفعلتهم هذه كانوا يهشمون حصون الأمن الخارجي انهم قد عملوا على تقليب الثقافة تقليباً مئوياً وجعلوا الفاحشة تشيع حتى أصبحت جزءاً لا يتجزأ من الثقافة بل صارت الطهارة حرباً على الثقافة التي راجت في قريتهم آنذاك فأرادت سديم أن تخرج آل لوط من قريتها لأجل طهارتها فشيوع الفاحشة قلّبت الأمزجة قلباً تاماً فلمّا عرض لوط بناته على هؤلاء احتفاظاً على الثقافة الدينية وحصانة للقيم الأخلاقية ﴿ قَالَ يَا قَوْمِ هَؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ. قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ﴾(هود ١١: ٧٨ و٧٩). نكروا ما طلبه منهم بل رفضوه رفضاً عنيفاً لأن هويتهم الذاتية وثقافتهم المعهودة تغيريت إثر ممارسة الشذوذ وانسلخت عما كانت عليه وكأن إعوجاج الفطرة وانحرافها استقامت في نفوسهم حيث تنكّروا إتيان البنات والرغبة فيهم.

وقد عمل لوط لإعادة الثقافة الدينية المحطمة بين أيدي هؤلاء بصور شتى وأراد أن يكبح جماح هذا التيار المرتد عن الصراط السوي بكل الإمكانيات المتواجدة ومن أهم إجراءاته لتحقيق الأمن الثقافي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتنوير أفكار الذين لم يصابوا بعد بهذا الشذوذ، والمثابرة في طريق تحقيق الأمن الثقافي بمظهريه الذاتي والاجتماعي واقتراح الأسلوب المستبدل الحلال لتعديل هذا الانحراف.

مظاهر الأمن الثقافي والغزو الثقافي في قصة يوسف عليه السلام

الفضاء الثقافي الذي ترسمه قصة النبي يوسف عليه السلام فضاء يبتعد عما يرسم في قصة النبي موسى عليه السلام فهي تهندس الهوية الذاتية للأشخاص وتأتي بها على خشبة المسرح القصصي وهنالك علاقة وطيدة بين الأمن الثقافي واستحكام جدرانه وتقوية الهوية الذاتية فمن دون ترقية الهوية الذاتية وتناميها نحو الإنسانية المبتغاة لا يتحقق الأمن الثقافي حتى في أدنى درجاته لأن الأمن الثقافي في المجتمع ينجم أول ما ينجم عن ذات الأفراد الذين يعدّون الحجر الأساس للمجتمع أما كيفيات الأمن الثقافي الخارجي فتتضاءل إلى درجة كبيرة في قصة النبي يوسف عليه السلام إذ تكاد تكون حكراً على خيار الملك من يراقب خزائن الأرض في سنوات الخصب والجدب وتحديد مميزاته الشخصية﴿ قَالَ اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ﴾(يوسف ١٢، ٥٥). وبالشخصيات التي تظهر في هذه القصة شخصيات نامية وتدل بنموها على أن التثقيف ليست قضية وراثية بل تأتي عن اعتمال واكتساب ثم الاجتهاد والسعي والاهتمام. أحداث في هذه الرواية القرآنية محشوة بفنون من التجارب ينبغي لكل فرد من الأفراد أن يقف بجانبها موقف الناظر المتأمل فيأخذ البحث بشخصية يوسف مثالاً لتوجيه كيفيات التثقيف الذاتي آنذاك فهو يستشير أباه فيما صُوّر له في رؤياه ﴿إذ قال يوسف لأبيه يا أبت إني رأيت أحد عشر كوكباً والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين﴾(يوسف ١٢، ٤). والمشورة قضية متواترة في هذه القصة إذ تسهم في كثير من القضايا الحاسمة فيوسف يستشير يعقوب في رؤياه ليقدّم له بضاعة حكمة ثمينة والإخوة يستشير بعضهم بعضاً في حلقتهم ليفوزوا بفصل الخطاب وكانت هذه المشورة يانعة مثمرة إذ حالت دون وقوع إخوة يوسف في ورطة القتل والندم السرمدي:﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ﴾. قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فاعلين﴾(يوسف ١٢: ٩ و١٠). والاستشارة تأتي في زاوية قضية مروادة زليخا يوسف ﴿ ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوُا الآيَاتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّى حِينٍ ﴾(يوسف ١٢: ٣٥). فـ«معنى قوله: (ثم بدا لهم) في الرأي الذي كانوا رأوه من ترك يوسف مطلقًا، ورأوا أن يسجنوه»(التفسير الطبري، ص ٢٣٩). وتتجلى المشورة واضحة عند تأويل رؤيا الملك حيث قال:﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنبُلَاتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَاتٍ ۖ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايَ إِن كُنتُمْ لِلرُّؤْيَا تَعْبُرُونَ﴾(يوسف ١٢، ٤٣). كما أنها تتبلور في نهايات المطاف حيث أخذ يوسف أخاه بنيامين وهو في دين الملك فبعدما يئس الإخوة من استرداد أخيهم بنيامين بدؤوا يستشيرون في أمرهم:﴿فلمّا استيئسوا خلصوا نجيّاً ﴾(يوسف ١٢: ٨٠).

يؤدي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دوراً ملحوظاً في تحصين الهوية الذاتية للأفراد في قصة النبي يوسف عليه السلام وهذا المؤشر يكفل للبيئة حياة آمنة رغدة أما المشاهد التي تتجسد فيها هذه الظاهرة فهي ترشدنا إلى النبي يعقوب في تلك الآونة التي ينصح ابنه ﴿يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً﴾(يوسف ١٢: ٥). وترشدنا إلى حلقة الإخوة ومجلسهم حيث اتخذوا قرارهم على قتل يوسف﴿قال قائل منهم لا تقتلوا يوسف وألقوه في غيابة الجب﴾(يوسف ١٢: ١٠). ثم يظهر العزيز في ثوب الناصح اذ يقول: ﴿يوسف أعرض عن هذا واستغفري لذنبك إنك كنت من الخاطئين﴾(يوسف ١٢: ٢٩).

ومن مظاهر الغزو الثقافي البارزة التي تسعى وراء تحطيم الهوية الذاتية والثقافة الدينية هي إمرأة العزيز﴿قالت فذلكن الذي لمتنني فيه ولقد راودته عن نفسه فاستعصم ولئن لم يفعل ما آمره ليسجنن وليكونا من الصاغرين﴾(يوسف ١٢: ٣٢). فهي تنادي وتحث النبي يوسف على اقتراف الكبيرة وإتيان المعصية إلا أن شخصية زليخا لم تبق على موقفها المعادي بل انعكس موقفها انعكاساً كبيراً ، اذ أعربت عن ندمها وأقرّت بخطئها:﴿الآن حصص الحق أنا راودته عن نفسه وإنه لمن الصادقين. ذلك ليعلم أنّي لم أخنه بالغيب وأنّ الله لا يهدي كيد الخائنين. وما أبرئ نفسي إنّ النفس لأمّارة بالسوء إلا ما رحم ربّي إن ربي غفور رحيم﴾(يوسف ١٢: ٥٣). ومن نماذج الشخصيات المعادية التي تنامت وتغيرت إثر الأحداث، هي شخصية الإخوة الحاسدة التي رمت يوسف في غيابة الجب وشرته بثمن بخس فبعدما حدث ما حدث تغيّرت ذات الإخوة الخبيثة وغلب عليها طابعها الطيّب ويقظت من نومها فنجدها تعترف بما فعلت من سوء ﴿قالوا أإنك لأنت يوسف قال أنا يوسف وهذا أخي قد منّ الله علينا إنه من يتّق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين. قالوا تالله لقد آثرك الله علينا وإن كنّا لخاطئين﴾(يوسف ١٢، ٩١) وتطلب الإخوة من يعقوب أن يستغفر لهم ما اقترفترفوه من الزلل وما ارتكبوه من المظالم ﴿قالوا يا أبانا استغفر لنا ذنوبنا إنّا كنّا خاطئين﴾(يوسف١٢، ٩٧).

وارتقاء الذكاء الشخصي والتدبر وعدم الاستعجال في الأمور وكظم الغيظ هي من المؤشرات الرئيسة لإحياء الأمن الثقافي وهذا ما نجده في تصرفات يوسف عليه السلام. فعندما عرف يوسف عليه السلام إخوته وهم له منكرون لم ينفجر غضباً ولا يتصّدَ للثأر ولم يكل لهم الصاع بالصاع وإن كان يتمكّن من ذلك بل دبّر ما دبر وتعمّم بالصبر وتكحّل بالأناة حتى يحين الحين وتأتي الآونة التي يتوقعها حتى يتمكن من خلع اللثام عن وجهه ويجد فرصة ليعّرف نفسه لإخوته وكان لهذا الذكاء الشخصي أثره البالغ على ردود فعل الإخوة وتصرفاتهم فهم اعترفوا إثر هذه الكرامة بالحق ولا شك أن دائرة أصداء هذا التصرف تتسع

حيث يتأثر به الجميع فالقول اللين والخلق الكريم يعمل في المكان الذي تكلّ فيه القساوة ويفلّ فيه الغضب. هذا المؤشر يؤثر في تحكيم قواعد الأمن الثقافي ويضمن لها النجاح والاستمرار:﴿ وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾(فصلت٤١، ٣٤).

فالنبي يوسف عليه السلام يشيد صرح شخصيته بالاتكال وتفويض الأمر إلى الله الركيزة الأساسية التي تعدّ البؤرة الرئيسة في تغوير الجوانب الكامنة للثقافة الدينية وعدم زعزعتها. ثمة الأسرة وكيفيات التعاملات الأسرية وتوزيع الحنان والمحبة توزيعاً عادلاً، طاعة الوالدين وتوظيف توجيهاتهم وإن كانت غير مجدية ﴿ وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِن بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُّتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنكُم مِّنَ اللهِ مِن شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾(يوسف ١٢، ٦٧)، ثمة الأمانة والعفة والخلوص تقف ببوابة شخصية يوسف الفذة لتمنحها السيادة.

والأمن الثقافي الذي تشير إليه قصة يوسف النبي عليه السلام على صعيد البيئة الاجتماعية هي التصرفات العادلة والاحترام الفائق، والتدبير في الأمور والتخطيط انطباقاً على الرؤية المستقبلية، جعل الاستئهال في واجهة الخيارات الحكومية من دون الانتباه إلى الصلات الأسرية التي ترمي بالجدارة والاستئهال إلى حيث لا يرى.

مظاهر الأمن الثقافي والغزو الثقافي في قصة موسى عليه السلام

قصة النبي موسى عليه السلام قصة مثيرة وفي أحشائها غفر غفير من العبر وهي من أكثر القصص تركيزاً ومدى في القرآن الكريم. ويقع الناظر في التأطير العام لقصة النبي موسى عليه السلام في القرآن الكريم على مؤشرات ثقافية واجتماعية، ونفسية وبيئية مما يحث الباحث على استكشاف أصداء الأمن الثقافي ومرايا الغزو الثقافي في هذه القصة التي كلها روعة وجمال. فـ موسى عليه السلام وفرعون في الحقيقة يمثلان الأمن الثقافي وغزوه في الرؤية الدينية. كان فرعون يسرد الترهات ويثرثر بأنانية فائقة «أنا ربكم الأعلى» فامتلأ فرعون رعباً عندما أتته البشارة تتبختر بذيلها الناعم تبشر بني اسرائيل بولادة نبي ينقذها من شر الأشرار وكيد الفجار وطوارق الليل والنهار فراح يقتل الأطفال ويستحيي النساء عسى أن يحول دون ولادة المبشر الموعود إلا أن القدر خطط ما خطط، فترعرع من بُشِّرَ به وخاف فرعون من ولادته، في حضن عدوه إلى أن بلغ أشده واستوى فآتاه الله الحكمة وبعثه نبياً. فـ فرعون في هذا المنظار لايكون إلا ممثلاً للغزو الثقافي في عهد النبي موسى عليه السلام، الشخصية الصارخة التي نادت بإشادة راية الديانة الحقة والوحدانية

المحضة. ومن يتتبّع خطوات قصة النبي موسى وأبناء قومه بني اسرائيل ليجد جوانب عديدة من العوامل الداخلية والخارجية لتوثيق الأمن الثقافي والغزو الثقافي.

النبي موسى عليه السلام تبنّى في إجراءاته أسساً تكتمل من خلالها الحكومة الدينية إذ كان يسلك نمطاً يتراوح بين الترغيب والترهيب تجاه بني اسرائيل وكل ذلك لم يكن إلا ليمهّد الأرضية المناسبة لإشاعة الأمن الثقافي للمؤمنين في المجتمع الفرعوني الذي خيّم عليه الكبت وتواترت فيه الطقوس وتأزّمت فيه الأجواء.

إن عملية الدعوة هي أول خطوة تجاه تحقيق توثيق الأمن الثقافي عند من آمن بموسى من بني إسرائيل فمن شهد أنّ موسى ذاك الراعي البسيط ذهب عند من يدعي الألوهية، ذهب إلى فرعون الذي تفرعن منذ أمد، ذهب إلى من فرّ من عنده خوفاً﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ﴾(الشعراء ٢٦، ١٤). فيؤمن بأن موسى تؤيده وتحميه قدرة ماورائية فوق بشرية لأن من يتميّز بالعقل السليم والفكرة الصائبة لا يرمي بنفسه في ورطة الهلاك والذل والخذلان إلا أن يملك برهاناً مبيناً. فذهاب موسى عند فرعون يقدّم ما فيه الكفاية من الثقة لبني إسرائيل فيريح بالهم وهذا الارتياح النفسي يجعل شيعة موسى تتأكد من حقانية الدين الذي اصطفته فراحت تعمل بما أمرها قائدها ونبيّها مما أدّى نهائياً إلى ارتقاء مستوى الإيمان عند هؤلاء واستحكام العقيدة وعدم زعزعتها لديهم. فأول عامل داخلي يمكن الإشارة إليه بهذا الصدد هو ارتقاء مستوى الإيمان لدى بني إسرائيل بإثبات حقانية الدعوة وإمحاء أي غبار وتشويه عن وجه ما انتقته. فأي فرد من الأفراد وأي شخص من الشخوص تأكد من صحّة عقيدته وسلامة دينه لاينثني أمام العواصف من دون شك ويصبح كالجبل الراسخ. ولا غرو أن العوامل النفسية متشابكة متواشجة ولا انفصام لعُراها فالمؤمن يجد في نفسه طاقة كبرى تفتح أبواب نفسه المغلقة نحو الاصطبار واحتمال المرارات من دون أن يشعر بالضجر أو يحسّ بالضّيق. وثمة الإعجاز يلعب دوراً بارزاً في منح الثقة بالذات والإيمان الوطيد، ليس للأعداء فحسب بل لأصحاب الديانة الحقة والذين ولجوا حلقة الإيمان عن كثب ولم تستقر آراؤهم بعد فيقتربوا من اليقين بعدما يرون المشاهد الإعجازية وتتزايل عنهم جميع ما تختلج نفوسهم من شك وشبه. فعصا موسى التي تنقلب ثعباناً مبيناً ويده البيضاء من غير سوء كانتا آيتين تنفخان في قلوب المؤمنين إيماناً وثقة لا مثيل لهما وتبعدهم مساحات شاسعة عن الظنون.

و القيادة التي تشكل بؤرة مركزية لكل دعوة جديدة ومن دونها لا يتمكن أي مجتمع من المجتمعات

مهما كان صائباً أن يقف على سوقه ويتقدم في حركته نحو الأمام فالنبي موسى عليه السلام يعرّف نفسه كقائد للحركة التوحيدية وهذه القيادة تقوم على أركان عنده هي فصاحة اللسان لتوجيه البلاغ توجيهاً صائباً: ﴿وَاحْلُلْ عُقْدَةً مِنْ لِسَانِي﴾(طه ٢٠، ٢٧)، وفي الآية﴿ وَقَالَ مُوسَىٰ يُفِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ. حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى اللهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(الأعراف٧، ١٠٣و١٠٤). يحاول موسى عليه السلام إخضاع فرعون لدعوته الحقة فرعون «الوليد بن مصعب بن الريان ملك مصر المبالغ في الكبرياء والجبروت والإفراط حتى ادعى الإلهية»(بيان المعاني، ج١، ص: ٣٩٢). ولا يكتفي موسى بدعوة فرعون إلى الوحدانية بل يدعوه ليأخذ معه بني إسرائيل وليس هذا الأخذ أخذاً مادياً بل يعني أكثر ما يعني الإتباع وتوحيد الأمة المسلمة فموسى من وراء ذلك يرنو إلى تحقق الأمن الثقافي للذين آمنوا برسالته. فتحقق التوحيد هو المؤشر الثالث في تدشين الأمن الثقافي وإقامته. هذا الثالوث الذي أشير إليه ثالوث يرسي قوائمه في مجتمع موسى عليه السلام قبل قبول الدعوة والأخذ برايتها أما عوامل توثيق الأمن الثقافي الداخلي فتجد أهمية بالغة بعد قبول الدعوة والإيمان برسالة الرسول بل هذه المرحلة تتميز بخطورة بالغة وحساسية فائقة خشية أن تنفلت عن الصراط المستقيم وتنحرف نحو الجحيم وفي قصة موسى هذا النبي العظيم لنجد كميات ملحوظة من المشاهد التي تخص هذه المرحلة والتي وردت لتحول دون انفصام حلقة الإيمان منها:

تذكّر النعم التي وهبها الله سبحانه وتعالى:﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَوْفُوا بِعَهْدِي أُوفِ بِعَهْدِكُمْ وَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ﴾(البقرة ٢، ٤٠). والنّعم التي أنعمها الله على بني إسرائيل نعم عديدة لا تحصى، منها: النجاة من آل فرعون وتصرفاته الشنيعة اذ انشقّ البحر وجفّ ليعبر بني إسرائيل من بطنه في أمان ما بعده أمان.

الاستعانة بالصبر والصلاة:﴿وَاسْتَعِينُواْ بِالصَّبْرِ وَالصَّلاَةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾(البقرة٢، ٤٥). فالاصطبار يمثل قادحاً فاعلاً في صيانة الهوية الدينية وهذا المؤشر قد عمل في قصة النبي موسى عليه السلام بشكل فاعل وظهرت في دعوة موسى للقوم الكافرين وعند هارون في غياب موسى وعند الساحرين اللذين آمنا ، وترك اصطبار هؤلاء وتجلدهم في هذه المواقف الصعبة أثراً بالغاً في توطيد الثقافة الدينية في نفوس الآخرين.

الذود عن الاتحاد وعدم التفرقة والحيولة دون ظهور التيارت الارتدادية: على الرغم من أن توحيد الأمة من القواعد الأساسية لهندسة المجتمعات ورصف مفاصلها أياً كانت وهو ما يشكّل بنيتها التحتية إلا أن هذا المؤشر ينبغي صيانته والحفاظ عليه حتى في الخطوات الأخيرة وبعد تشييد بناء المجتمع. وتتجلى أهمية هذا المؤشر عندما وضعه هارون في مقدمة تلك الأزمة التي واجهها حين مغيب موسى وحدوث فتنة السامري وعكوف بني إسرائيل على العجل الذي صنعته مكيدة السامري ﴿قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لَا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلَا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي﴾(طه ٢٠، ٩٤و٩٥).

ترقية الذكاء الشخصي: ويتجلّى ذلك في قضية العجل الذي صنعه السامري حين غياب موسى فأغوى به الحشد الغفير من قومه فنجاح السامري وتنفيذ خطّته التي امتلأت بالخبث والمكر كان يتوقّف أكثر ما يتوقف على قلّة ذكاء القوم ورغبتهم في الإله الجديد الذي يشاهد بالعين ويخور خور العجل فارتدوا على أدبارهم وانقلبوا على رؤوسهم كما أن الذكاء الشخصي الذي كان يتصف به السامري جعل من خطته رمحاً نافذاً يشقّ عقول سفهاء القوم.

مظاهر الأمن الثقافي والغزو الثقافي في قصة داود النبي

يعد النبي دواد من الأنبياء الذين أقاموا الأمن الثقافي إثر توكيد الأمن العسكري فهو الذي قتل جالوت ﴿وَقَتَلَ دَاوُودُ جَالُوتَ وَآتَاهُ اللهُ الْمُلْكَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُ مِمَّا يَشَاءُ وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾(البقرة ٢، ٢٥١). فلم يكن قتله جالوت عن حقد شخصي أو طمع في الملك بل كل ما يكون يأتي عن حكمة وهبها الله له وكفاية تميّز بها داود عليه السلام؛ فإن لم تستو سوق الأمن العسكري فلاشك تتزعزع جدران الأمن الثقافي لأنهما (الأمن الثقافي والأمن العسكري) يتعالقان تعالقاً شديداً ويترابطان من دون أي انفصال، فمحاربة الملوك لم تكن نقطة سلبية في جميع مراياها بل الأمن العسكري يعمل ليعوق دون توالد الفساد وتزايده في الأرض ذلك أنّ إمحاء الفساد يؤدي نهائياً إلى تشييد بناء الأمن الثقافي في أقصى مظاهره وهذا هو مسعى داود النبي عليه السلام ومبتغاه.

وكان جالوت مفسداً في الأرض متجبّراً عليها يسخر من طالوت وجنوده فعاقبه الله على يد داود النبي عليه السلام. فقصة داود أنه «لم يكن من بين الجند –فيما يروى– وليس له من الشهرة ما يجعل تقدّمه على غيره مقبولاً أو متوقعاً، فلقد كان مجرد راع ابن راع يدعى آشي من سلالة لاوي بن يعقوب عليه السلام. ومع ذلك كان يرى الأمور بمنظار آخر، فيفكر بوجوب قتل جالوت لاستكباره دون أن يهتم أو يأبه بقوته وبطشه

وبما يحتمي من حديد ودروع، وكان يرى السعى لذلك واجباً والتوكل إنما هو على الله تعالى سبحانه»(قارئ أهل الجنّة، لا.ت، ٢). يظهر مما سبق، أن السعي وراء الأمن الثقافي وإبراز معالمه يتوقف أكثر ما يتوقف على العقيدة الثابتة الخالصة والتوكل على الله سبحانه وتعالى فلم يكن داود يتصور بأنه راع فحسب ولم يردد في نفسه مالي وجالوت هذا الملك القدير، بل راح يسعى سعيه ويجتهد جهده إلى أن أرسى سفينته على حافة آمنة ألا وهي التوكل والاصطبار.

والنبي داود عليه السلام يمهد الظروف النفسية لتابعيه من المؤمنين لنضال الأعداء ومجابهتهم وذلك بتحضير الأدوات الحربية ولاسيما الدروع ﴿أَنِ اعْمَل سَبِغَاتٍ وَ قَدِّر فِي السَّرْدِ وَ اعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِير﴾(سبأ ٣٤، ١١) وذلك أن إعداد الأوساط الحربية تحكم الثقة بالذات وتجعل القلوب مطمئنة آمنة وتقلل الكثير من القلق النفسي الذي يعاني منه الشيع والأتباع. وهذه التمهيدات يوفرها النبي داود عليه السلام الذي كان الملك آنذاك ويقود المجتمع بحكمة ودراية واقتدار. وما يؤكده أنّ صناعة الدروع لم تكن تمهيداً للسلب والنهب والإغارة بل كل ما يكون في هذا هو الصيانة الأمن الداخلي والحفاظ عليه والوقاية من جرأة الأعداء بالإعتداء إلى أراضي البلاد أو الحيولة دون نشوب الحرب ﴿وسخّرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنّا فاعلين. وعلّمناه صنعة لبوس لكم لتحصنكم من بأسكم فهل أنتم شاكرون﴾(الأنبياء٢١ ، ٧٩، ٨٠). فتصرح هذه الآية مباشرة بغاية صنع الدروع، فالله سبحانه وتعالى يساعد داود ويعينه «على عمل الدروع من حديد ليحصن مقاتلة الأعداء وأرشده إلى صنعتها وكيفياتها فقال: ﴿وقدّر في السرد﴾ أي لا تدقّ المسمار فيفلق ولا تغلظه فيفصم»(ابن كثّير، قصص الأنبياء، ص ٥٩٢) ـفتمهيد الأرضية المناسبة لمقابلة الأعداء والتأهب الاقصى للقتال هو الهدف المرجو من وراء تعليم صنع اللبوس.

وكان للحكم والقضاء العادل دور لافت في سلطان داود وملكه وهذا الحكم كان يؤمّن الأمن الثقافي إلى حد كبير. وقد لعب هذا المؤشر دوراً تربوياً في هذه القصة حيث جعله الله نقطة اختبار داود النبي عليه السلام إذ ورد عليه خصمان وهو يصلّي في المحراب فقال أحدهم رافعاً شكواه إلى داود:﴿إِنَّ هذا أَخِي لَهُ تِسْعٌ وَ تِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِيَ نَعْجَةٌ واحِدَةٌ فَقالَ أَكْفِلْنِيها وَعَزَّنِي فِي الْخِطابِ قالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤالِ نَعْجَتِكَ إِلى نِعاجِهِ وَإِنَّ كَثِيراً مِنَ الْخُلَطاءِ لَيَبْغِي بَعْضُهُمْ عَلى بَعْضٍ إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحاتِ وَقَلِيلٌ ما هُمْ وَظَنَّ داوُدُ أَنَّما فَتَنَّاهُ فَاسْتَغْفَرَ رَبَّهُ وَخَرَّ راكِعاً وَأَنابَ فَغَفَرْنا لَهُ ذلِكَ﴾(ص ٣٨، ٧)؛ فالحكم العادل يشكّل المحطة الأساسية في القيادة حيث إن داود تغافل عن هذه المهمة ثواني قليلة ـعلى حسب قول بعض المفسرين ـ فلما استشعر بفائت حكمه خر راكعاً فأناب.

النبـي داود عليـه السـلام كقائـد للحكومـة الدينيـة وقـت ازدهارهـا يتميّـز بميـزات يؤكـد مـن خلالهـا عـلى توثيـق الثقافـة الذاتيـة ومـن تلـك الصفـات يمكـن الإشـارة إلى: الاصطبـار والمقاومـة والمثابـرة، تقويـة الـذات بالعبـادة.

المحافظة على اللياقة البدنية، العلاقة المستمرة مع الرب والإنابة إليه.فصاحة البيان ولين الكلام.

(ينظـر: فخـر رازى،١٩٩٩م، ج ٢٦، ص ١٨٣). فهـذه السـمات تمهـد الأرضيـة المناسـبة لاسـتحضار الأمـن الثقـافي عنـد مـن يتحـلّى بهـا وهـي قبـل كل شيء تؤكـد الهويـة الذاتيـة فبعدمـا اسـتحكمت أسـس الهويـة الذاتيـة في الفـرد يتمكـن مـن العمـل في حقـل الأمـن الثقـافي في ميـدان أوسـع.

ومـا يذكـر بـه القـرآن الكريـم مـن خـلال قصـة النبـي داود عليـه السـلام تجـاه توكيـد جـذور الأمـن الثقـافي والعسـكري هـو التحـلّي بالعلـم فالعلـم، سـمة لا تنفـك عـن القائـد الـذي يأخـذ بالمجتمـع ليقـوده نحـو الـصراط المسـتقيم الـذي لا اعوجـاج لـه وتـرد هـذه السـمة بـارزة في الآيـة: ﴿ولقـد آتينـا داود وسـليمان علـماً، وقـالا الحمـد لله الـذي فضّلنـا عـلى كثـير مـن عبـاده المؤمنين﴾(النمـل ٢٧، ١٥). والملحـوظ هـو أنّ « شـخصية داود لم ترسـم هنـا إلا مـن خـلال السـمة المشـتركة بينهـا وبـين سـليمان عليـه السـلام وهـي سـمة (العلم)»(البسـتاني، ج ٢-٣ ،ص ٣٤٥و٣٤٦). فتـبرز هـذه الخصيصـة الأساسـية بوضـوح.

مظاهر الأمن الثقافي والغزو الثقافي في قصة النبي سليمان عليه السلام

قصـة النبـي سـليمان عليـه السـلام تسـتوعب كميـة غـير قليلـة مـن المواضـع يشـار فيهـا إلى قضيـة الغـزو الثقـافي والأمـن الثقـافي وجلّهـا تـدور حـول بـؤرة مركزيـة هـي كيفيـات القيـادة ومـا يتعلّـق بهـا مـن تدابـير عسـكرية فلابـد للقائـد أن يـشرف عـلى جيشـه ويطّلـع عـلى كل شـاردة وواردة كـما فعـل سـليمان النبي(ينظر:نجـار، ٢٠٠٤، ٥-٨). فهـو كان يـشرف عـلى جيشـه وكأنـه بـدأ بتسـجيل الحضـور والغيـاب فـأدرك غيـاب الهدهد:﴿وَتَفَقَّـدَ الطَّـيْرَ فَقَـالَ مَـا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُـدَ أَمْ كَانَ مِـنَ الْغَائِبِينَ.لَأُعَذِّبَنَّـهُ عَذَابًـا شَـدِيدًا أَوْ لَأَذْبَحَنَّـهُ أَوْ لَيَأْتِيَنِّـي بِسُـلْطَانٍ مُّبِينٍ﴾(النمـل٢٧ ،٢٠و٢١). فعـلى قائـد الجيـش أن يـدرب عسـكره عـلى بعـض الأمـور منهـا الاسـتئذان قبـل المبـادرة، ولابـد مـن عقوبـة مـن لا يطيـع الأوامـر إلا أن يـأتي ببرهـان مبـين. فلـم يشـغل سـليمان شـاغل عـن واجبـه ومهمتـه وتدبـير أمـره فهـو وزع جيشـه عـلى أقسـام ﴿وحـشر لسـليمان جنـوده مـن الجـن والإنـس والطـير فهـم يوزعـون﴾ (النمـل ١٧،٢٧). «فقولـه "يوزعـون" دليـل عـلى أنّ سـليمان عليـه السـلام قـد قسـم المهـام والوظائـف عـلى جنـوده، فـكلّ لـه غايتـه، وكل لـه وظيفتـه المـوكل بهـا، ولا شـك أن هـذا مـؤشر يـدلّ عـلى علـو همـة سـليمان

عليه السلام. فهذه الآية إشارة إلى النظام الذي وضعه سليمان عليه السلام لحركة الجند، وقال الزمخشري في تفسير هذه الآية ﴿يوزعون﴾ حبس أولهم على آخرهم أي توقف سلاف العسكر حتى تلحقهم التوالي، فيكونوا مجتمعين لا يتخلف منهم أحد»(شامان الرويلي، د.ت،١).وفي قضية سليمان والهدهد ما يستشف منه أنّه يجوز«عقاب الجندي إذا خالف ما عين له من عمل أو تغيب عنه، إنّ تفقد سليمان عليه السلام لهذا الهدهد سمة من سمات شخصيته: سمة اليقظة والدقة والحزم؛ فهو لم يغفل عن غيبة الجندي من هذا الحشد الضخم من الجن والإنس والطير، ويعلم الجميع من سؤال سليمان عليه السلام عن الهدهد أنه غائب بغير إذن، وحينئذ يتعين أن يأخذ الأمر بالحزم، كي لا تكون الأمور فوضى ومن ثم نجد سليمان الملك الحازم يهدد الجند ويؤكد عزمه على عقابه بتأكيد الجملتين؛ "لأعذبنه"، و"لأذبحنّه" باللام المؤكدة، التي تسمى لام القسم، وبنون التوكيد؛ ليعلم الجند ذلك حتى إذا فقد الهدهد ولم يرجع؛ يكون ذلك التأكيد زاجراً لباقي الجند عن أن يأتوا بمثل فعلته، فينالهم العقاب»(المصدر نفسه، ص ٣).

وتعمل قصة سليمان النبي وملكة سبأ بلقيس في فتح نافذة مستجدة أمام القارئ بتأكيدها أهمية حوار الحضارات الذي يؤثر أثراً بالغاً في تطوير الأمن الثقافي وتوجيه التأثرات الأجنبية توجيهًا صائبًا هادفًا كما تنبه إلى علاقة النبي سليمان وملكة سبأ على مدى أهمية تنسيق علاقات الدول المتآخمة فلابد من وضع العلاقات الجوارية في أطر منسّقة لأن انفلات هذه العلاقات وسيرها خبط عشواء يؤدي نهائياً إلى انفتاح السبيل أمام الهجمات الثقافية ما يسبب الانغلاق الثقافي وتحطيم الهوية الثقافية شيئاً فشيئاً فمعاملة النبي سليمان مع ملكة السبأ تسكب العلاقات الثقافية في إطار محدد صارم من دون انفلات.

والعدل في قصة النبي سليمان يشكّل عنصراً متناغماً مع الأمن الثقافي لأن التركيز على تحقيق العدالة في المجتمع لا شك يضمن هذا المؤشر إلى حد كبير، فالنملة تسعى لتقيم موازين القسط في مجتمعها الصغير «إنها الحالكمة وعلى عاتقها مسؤولية إقامة العدل عن طريق تحذير مجتمعها إذ أمرتهم بالدخول إلى مساكنهم»(شيتر، د.ت، ص ٤٧٧).

كيفيات التوظيف المعصرن لمؤشرات الأمن الثقافي والغزو الثقافي في القصص القرآنية

مما يحدو بنا الوقوف عليه بعد دراسة متواضعة لعناصر الأمن الثقافي والغزو الثقافي في نماذج من القصص القرآنية هو كيفيات التوظيف المعصرن لما عولج في البحث وإزاحة الستار عن مدى فاعلية التقنيات المدروسة، في العصر الراهن ولاشك أن هذه القصص توفر معطيات لائقة للجيل الراهن. فأما هذه البضاعة

التي يقدمها هذا البحث تُصْدر كمية غير قليلة من الآليات الفاعلة لتوثيق الأمن الثقافي وإمحاء الغزو الثقافي وهي تتخلص فيما يلي:

توكيد الإيمان والتعرّف الى معالمه الحقّة

الاتكال على الله

الاصطبار في مواجهة المشاكل والتحلي بالخلق الكريم

ترقية الذكاء الشخصي

ذود الاتحاد في الحلقات الدينية

ترقية مستوى الثقافة الدينية في الأسر

توظيف الأساليب التشجيعية

كشف الغطاء عن منافذ الغزو الثقافيّ

التجنيد تجاه التيارات الارتدادية

الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

حصيلة البحث

ما يتمحض من هذا البحث المتواضع الذي نهض ليبين معالم الأمن الثقافي والغزو الثقافي في إطار القصص القرآنية هو:

هنالك الكثير من مؤشرات الأمن الثقافي والغزو الثقافي المنتقاة من القصص القرآنية تنطبع بطابع عام فمنها: محاولة توكيد الذات واعتلاء الهوية الذاتية، المثابرة في طريق الدعوة، محاربة التيارات الارتدادية، تنوير الأفكار ثم توظيف الأساليب التشجيعية والترهيبية بشكل متوأم. الانتباه إلى الوعي الذاتي والتأكيد على أنا الجماعية واشتداد فتل الاتحاد وتحكيمه في المجتمع و يلعب الاعجاز دوراً بارزاً في منح الثقة بالذات والإيمان الوطيد. أما بشكل خاص فتوصل البحث إلى أنّ النبي إبراهيم عليه السلام نبي الأمن والثقافة الإسلامية الموحدة إذ تعكس حياته أصداء الأمن بشتى صورها: فالمؤشر الاسمي «الأمن» يرد بارزاً في قصة هذا النبي المكرم ثم الوجوه الإعجازية التي كانت ترافقه تبوح بالأمان؛ فالنار التي تتحول برداً وسلاماً على إبراهيم والسكين التي تفلّ عن ذبح إسماعيل ولد إبراهيم الحبيب لتُفدِّيه بذبح عظيم، والبيت الذي

يتم بناءه على يد إبراهيم الكادة داعياً له بالامن ﴿رب إجعل هذا البلد آمناً﴾. والنبي موسى عليه السلام تبنّى في إجراءاته أسساً تكتمل من خلالها الحكومة الدينية إذ كان يسلك نمطاً يتراوح بين الترغيب والترهيب تجاه بني اسرائيل وكان يبذل جهداً حثيثاً للارتقاء بمستوى الإيمان لدى أبناء قومه بإثبات حقانية الدعوة وإمحاء أي تشويه. وقصة النبي يوسف عليه السلام تهندس الهوية الذاتية للأشخاص ومظاهر الأمن الثقافي الخارجي تتضاءل إلى درجة كبيرة في قصة النبي يوسف عليه السلام إذ تكاد تكون حكراً على خيار الملك من يراقب خزائن الأرض في سنوات الخصب والجدب وتحديد مميزاته الشخصية﴿قال اجعلني على خزائن الأرض إني حفيظ عليم﴾ ويلعب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دوراً ملحوظاً في تحصين الهوية الذاتية للأفراد في قصة النبي يوسف عليه السلام وهذا المؤشر يكفل للبيئة حياة آمنة رغدة و ارتقاء الذكاء الشخصي والتدبر وعدم الاستعجال في الأمور وكظم الغيظ هي من المؤشرات الرئيسة لإحياء الأمن الثقافي وهذا ما نجده في تصرفات يوسف عليه السلام. ومن ملامح الغزو الثقافي البارزة في بيئة نوح عليه السلام الانتباه المتزايد إلى زخارف الدنيا وزينتها ثم التركيز على المكانة الاجتماعية وأهم جانب من جوانب الأمن الثقافي في مجتمع النبي نوح عليه السلام هو تحطيم الطبقية وانعدام بصماتها. ويعد النبي دواد من الأنبياء الذين أقاموا الأمن الثقافي إثر توكيد الأمن العسكري. وتعمل قصة سليمان النبي وملكة سبأ بلقيس في فتح نافذة مستجدة أمام القارئ بتأكيدها أهمية حوار الحضارات الذي يؤثر أثراً بالغاً في تطوير الأمن الثقافي وتوجيه التأثرات الأجنبية توجيهاً صائباًهادفاً.

مصادر البحث ومراجعه

المصادر العربية

القرآن الكريم.

١.ابن عثمان التويجري، عبد العزيز(٢٠١١م). التراث والهوية، منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة_ إيسيسكو. مطبعة الإيسيسكو. الرباط: المملكة المغربية.

٢.ابن فارس بن زكريا أبو الحسين، أحمد (١٩٧٩م). معجم مقاييس اللغة، عبد السلام محمد هارون، لا.ط، القاهرة: دار الفكر.

٣.ابن كثير، إسماعيل ابن عمر(٢٠٠٢م). تفسير القرآن العظيم. لا .ط. المكة المكرمة: مكتبة دارطيبة الخضراء للنشر والتوزيع.

٤.ابن كثير القرشي الدمشقي، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل(١٩٩٧م).قصص الأنبياء، تحقيق: الدكتور عبد الحي الفرماوي، الطبعة الخامسة، مصر: دار الطباعة والنشر الإسلامية ومؤسسة النور للنشر والإعلان.

٥.البستاني، محمود(١٤٢٢هـ). التفسير البنائي للقران الكريم، الطبعة: الاولى، الناشر: مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة.

٦.الجزايري، نعمة الله(١٣٨٩). قصههاى قرآن أنبياء. ترجمه لطيف راشدى وسعيد راشدى، چاپ دوم، قم: انتشارات مسجد مقدس جمكران.

٧.الدجاني، زاهية(٢٠١١م). كتاب أحسن القصص بين إعجاز القرآن وتحريف التورات، بيروت- لبنان: دار التقريب.

٨.السّايح، أحمدعبد الرحيم(١٩٩٣).أضواء حول الثقافة الإسلامية، الطبعة الأولى، القاهرة: الدار المصرية اللبنانية.

٩.شامان الرويلي، عبد العزيز سالم(د.ت). الفوائد التربوية من قصة النبي سليمان عليه السلام في القرآن الكريم. المأخوذ من الموقع: http: / /www.alukah.net /Shar- ia /0 /43916 /.

١٠.شيتر، رحيمة(د.ت). القصة الدينية وحوار الحضارات، قصة النبي سليمان نموذجاً، جامعة محمد خيضر – بسكرة: الملتقى الدولي السابع» السيمياء والنص الأدبي».

١١.عبّارة، حسن محمد علي(٢٠٠٢م). الشخصية الكافرة دراسة قرآنية، الطبعة الأولى، بيروت-لبنان: دار التقريب بين المذاهب الإسلامية.

١٢.العصري، سيف(٢٠١٣م). آثار معجزات الأنبياء، مجلة منار الإسلام، العدد: ٤٦٢، صص

١٣.فخر رازى، محمد بن عمر(١٩٩٩م).التفسير الكبير. مفاتيح الغيب. بيروت – لبنان: مكتب تحقيق دار احياء التراث العربى.

١٤.الفراهيدي، الخليل بن أحمد(٢٠٠٣). كتاب العين مرتّباً على حروف المعجم، ترتيبه وتحقيقه: الدكتور عبد حميد هنداوي، الطبعة الأولى، بيروت- لبنان: دار الكتب العلمية.

١٥.ملا حويش آل غازي عبد القادر(١٣٨٢). بيان المعاني، دمشق: مطبعة الترقي: مركز المعلومات الدولية.

١٦.ميشل، سي ويليامز(١٣٨٩). ترجمة مهدي ذوالفقاري. جنگ نرم فرهنگى درآمدى بر نسبت امنيت و فرهنگ. تهران: انتشارات امام صادق عليه السلام.

المصادر الفارسية

١٧.افتخاري، أصغر(١٣٤٧).امنيت اجتماعى شده، رويكرد إسلامي، چاپ اول، تهران: پژوهشگاه علوم انسانى ومطالعات فرهنگى.

١٨.بخشي نهاوندى، محمدعلي(١٣٩٢).هويت وامنيت ملي در اسلام، چاپ اول. تهران: سازمان انتشارات پژوهشگاه فرهنگ وانديشه اسلامى.

١٩.جاوداني شاهدين، حميد(١٣٨٦). در آمدى بر شناخت ابعاد تهاجم فرهنگى ونحوه مقابله با آن. شماره ٣٥از صص ٨٥- ١٠٩.

٢٠.جوادي آملي(١٤١٨). تفسير موضوعى قرآن كريم. سيره پيامبران عليه السلام. چاپ اول. ناشر: مركز نشر اسراء.

٢١.طلايى، مرتضى وبدرى شاه طالبى وعلى رشيدپور وسعيد شريفى(١٣٩١). چاپ اول. امنيت فرهنگى، ناشر: معاونت پژوهشى دانشگاه آزاد اسلامى واحد خوراسگان (اصفهان).

الأمن الثقافي وأبعاده التربوية والتعليمية

Cultural Security and its Teaching and Educational Scopes

أ.د. سليمان بن سالم الحسيني / جامعة نزوى/ سلطنة عُمان.
باحث أكاديمي في مركز الخليل بن أحمد الفراهيدي للدراسات العربية

Dr.Saleiman Bin Salim Al-Husseini, Sultanate of Oman

ملخص البحث:

تقدم الورقة دراسة تحليلية وصفية للأمن الثقافي وأبعاده التربوية والتعليمية في العالم العربي. وقد هدفت الدراسة إلى تعرف العوامل والمؤثرات التاريخية التي أدت إلى ظهور مفهوم الأمن الثقافي، ودلالات هذا المصطلح وأبعاده المحلية والعالمية، ومدى كفاءة النظم التربوية والتعليمية في العالم العربي على الوفاء بمتطلبات الأمن الثقافي في زمن العولمة الثقافية العابرة للحدود والثقافات والمجتمعات والتي أضحت أحد أقوى المؤثرات على العقلية العربية المعاصرة. وقد توصلت الدراسة إلى أن النظم التربوية والتعليمية تعاني من ضعف في جوانب شتى منها المصادر المالية، والفلسفة التربوية، وكفاءة الكوادر البشرية، والمناهج، والارتباط بسوق العمل، ومستوى المخرجات؛ مما يحد من قدرة هذه النظم على الوفاء بمتطلبات الأمن الثقافي العربي في وقت تضغط فيه العولمة بتحدياتها ومطالبها. وقد خرجت الدراسة بعدد من التوصيات منها: التطوير الشامل للتعليم في الوطن العربي، وبناء العقلية الناقدة المنفتحة القادرة على استيعاب تطورات العصر، والحفاظ على الهوية الثقافية للأمة، ومراجعة التراث وتطويره لتجنب الموروث السلبي وتعزيز الإيجابي منه، وتعزيز القيمة الحضارية للتعددية الثقافية في العالم العربي، وتعزيز قيمة التعايش والحوار. وتقترح الدراسة إجراء بحوث مستقبلية تعنى بواقع النظم التربوية والتعليمية في كل دولة من الدول العربية، والتعرف على قدرتها على تحقيق الأمن الثقافي، وتحديد التحديات التي تواجهها، وما تحتاجه من تعزيز وتطوير.

الكلمات المفتاحية: العولمة الثقافية، العولمة التربوية، الأمن الثقافي، التربية والتعليم.

Abstract:

The current research study manipulates the cultural security and its teaching and educational scopes in the Arabic world and delves into depth to show the historical factors helping the concept of the cultural security surge into reality , shades of its meaning and its international and regional scopes, what competence the teaching and educational systems in the Arabic world have to meet the requirements of the cultural security in the time of the cross-border – culture- community globalization growing momentum to be one of the most efficacious factor in rocking the contemporary Arabic mentality. The study reaches that the teaching and educational systems suffer from certain flaws in different isles : financial sources, educational philosophy , competence of the human sources, curricula , marketing relations and the quality of the products ,that is why these systems fail to run in line with the Arabic cultural security requirements in time globalization looms larger and larger . The study recommends: there should be universal and perfect development in the Arab homeland, erecting mentality competent to cope with the drastic development of the time, preserving the cultural identity of the nation, reverting to the heritage to avert having the flaws of the past and solidifying the meritorious experiences and buttressing the civilization values of cultural diversity in the Arabic world and the values of coexistence and dialogue.

Key words:
cultural globalization, educational globalization, cultural security, education.

المقدمة:

ارتبط الأمن الثقافي بالمجال التربوي والتعليمي كما ارتبط بغيره من مجالات الحياة المعاصرة مثل الاقتصاد والاجتماع والسياسة التي تتكون من مجموعها منظومة الأمن العام أو القومي لأي شعب من الشعوب وأي دولة من دول العالم. والعلاقة بين الأمن الثقافي وغيره من أصناف الأمن علاقة ترابطية ومتداخلة؛ إذ يشكل توافر أحد أشكال الأمن ضمانة لتحقيق الأمن في غيره من المجالات (نزاري، ٢٠١١). فالأمن السياسي الذي يتيح المشاركة الفاعلة والإيجابية لأفراد الشعب في اتخاذ القرار ينعكس على تحقيق الأمن في المجالات الأخرى كالأمن الثقافي والأمن الاجتماعي والأمن الاقتصادي؛ مما يسهم بدوره في استقرار البلد ونموه ورخاء شعبه. وكذلك بالنسبة للمجال التربوي فهو وثيق الصلة بعدد من أنماط الأمن، ويتفاعل مع مفهوم الأمن الثقافي ليكون أحد عوامل تحقيق الأمن الثقافي، بل وأحد مجالاته التي ينشط فيها ويتأثر بها. من هذا المنطلق، فإن الورقة الحالية تقدم دراسة تحليلية وصفية تهدف إلى سبر أغوار العلاقة الترابطية بين التربية والتعليم من جانب والأمن الثقافي من جانب آخر؛ لتحديد الظروف التاريخية والموضوعية لنشأة هذه العلاقة، ودور التربية والتعليم في تحقيق الأمن الثقافي، والتحديات التي تواجهها المنظومة التربوية في العالم العربي الإسلامي لتحقيق الأمن الثقافي، وما ينبغي عمله لمواجهة تلك التحديات على المستوى الرسمي والمدني.

فالنظم التربوية والتعليمية في العالم العربي تعاني من إشكاليات متعددة تعيق من قدرتها على الوفاء بمتطلبات الأمن الثقافي للشعوب العربية والحفاظ على الهوية الثقافية العربية الإسلامية في وجه التحديات الجسيمة التي تأتي بها العولمة الثقافية حيث أن «الجزء الأكبر من تيارات العولمة الثقافية الحالية يتجه بغزارة من الغرب حاملاً في معظم أحواله ثقافة تتعارض في مجملها مع مبادئنا وتكويننا وحضارتنا» (العريني، ٢٠٠٧ ص ١٦). وفي تناولها لهذه المشكلة تسعى الدراسة الحالية إلى الإجابة على الأسئلة البحثية التالية:

ما العوامل والمؤثرات التاريخية التي أدت إلى لظهور مفهوم الأمن الثقافي؟

ما هو الأمن الثقافي وما هي دلالاته؟

ما هي الأبعاد التربوية والتعليمية للعولمة الثقافية والأمن الثقافي؟

ما هي جوانب الخلل التي تعاني منها النظم التربوية والتعليمية في العالم العربي وأضعفتها أمام تحديات العولمة الثقافية ومتطلبات الأمن الثقافي؟

كيف يمكن مواجهة التحديات التي فرضتها العولمة الثقافية على النظام التربوي والتعليمي في العالم العربي؟

العولمة وظهور مصطلح الأمن الثقافي:

يجيب هذا القسم على السؤال الأول: ما العوامل والمؤثرات التاريخية التي أدت إلى لظهور مفهوم الأمن الثقافي؟ فقد ظهر مصطلح الأمن الثقافي بعد أن تجاوز اهتمام العولمة المجال الاقتصادي، ليشمل مجالات مختلفة منها مجال الثقافة، وما ارتبط بها مباشرة كالإعلام والتربية والاجتماع. وقد تم اعتبار العولمة أنها فرض سيطرة الدول المتقدمة والمؤثرة عالميا على اقتصاديات الدول الأقل نموا وتقدما والهيمنة عليها سياسيا وفكريا وثقافيا واجتماعيا. كما ذهب بعض المفكرين العرب، ومنهم محمد عابد الجابري، إلى النظر إلى العولمة باعتبارها فرض الولايات المتحدة الأمريكية لأيدولوجيتها ونمط حياتها الحضاري على بلدان العالم أجمع (الجابري، ١٩٩٧)، ورأى آخرون أن العولمة صورة جديدة للاستعمار تسيطر به الولايات المتحدة الأمريكية على العالم «بتغيير الأنماط والنظم الاقتصادية والثقافية والاجتماعية ومجموعة العادات السائدة وإزالة الفوارق الدينية والقومية والوطنية في إطار تدويل النظام الرأسمالي الحديث وفق الرؤية الأمريكية المهيمنة» (رحمانية، ٢٠١٢، ص ٩٢).

ويعني مصطلح العولمة الثقافية عملية الانتقال السريع لكل شيء له علاقة بالثقافة بما في ذلك المواد الاستهلاكية والموضة والمنتجات الفكرية والموسيقية والأفكار الدينية والسياسية والمواقف والقيم وتخطيها الحدود الوطنية والإقليمية لتصبح بذلك ثقافة عالمية واحدة تهيمن على العالم كله. ويدعم الانتقال السريع عبر الإنترنت، وبرامج التسلية والترويح الجذابة، والماركات التجارية المشهورة، والسياحة العالمية من قدرة هذه الثقافة العالمية الواحدة على تجاوز الموروثات الثقافية المحلية، ويعزز من هيمنتها على العالم، فأصبحت تشكل مفاهيم البشر ودوافعهم وأذواقهم أينما كانوا على ظهر هذه الأرض.

فينظر إلى العولمة الثقافية على أنها أحد المنتجات السلبية للعولمة، بل ومهددا خطرا للهوية الثقافية المحلية التي أصبحت ضحية للمجتمع الاستهلاكي الغربي (Kaul، ٢٠١٢)؛ فتزعزع الاستقرار الثقافي، واختلطت أنماط الفكر والتفكير التي توارثتها البشرية عبر الأجيال. كما جلبت العولمة الثقافية النزاعات غير المجدية من خلال طرح الفوارق الثقافية والاجتماعية بين الأقليات والشعوب والحضارات في قالب سياسي . كما نجحت العولمة الثقافية في زعزعة الحدود الفاصلة بين الثقافة والدولة، والأنا والآخر، والفرد والجماعة، والمختلف والمتشابه، وحقوق الفرد وحقوق الجماعة، وحقوق الإنسان والحقوق الثقافية، وبين المبادئ العالمية واحترام ثقافة الآخر، وسلطة الدولة، والنظام العالمي، وجلبت الحرية المطلقة إلى الرأسمالية لتعبث في العالم بلا حدود قانونية.

وبرز من بين المفكرين العرب والمسلمين من يرى العولمة على أنها أداة للغزو الفكري والثقافي الذي يستهدف الإسلام والمسلمين و«يتقدم مكتسحا المجتمعات العربية الإسلامية بكل فئاتها ومكوناتها وفي كل أرجائها مشرقا ومغربا متخذا تفوقه المادي علميا وتقنيا واقتصاديا وعسكريا ذريعة لهذا الغزو الشرس الذي لا يقل خطورة عن الغزو الاستعماري الاستيطاني» (المتساوي، ٢٠١٣ ص ٧).

ووجدت النخب المثقفة العربية والإسلامية أن العولمة الثقافية تشكل تحديا خطيرا للهوية الوطنية والقومية العربية والإسلامية وتسهم في القضاء عليها. ويظهر ذلك التأثير بشكل أساس على فئة الشباب العربي الذين تعلقوا بمظاهر العولمة نتيجة الفراغ الذي سببه سوء التخطيط في غرس الثقافة العربية في نفوسهم ، بل إن تأثيرها طال أطفال الأمة بوساطة المنتجات الثقافية المصنوعة في الغرب والموجهة إليهم مثل البرامج الكرتونية والأغاني وبرامج (البلايستيشن) وغيرها من المنتجات التي تحمل فكر الغرب وثقافته.

وبرزت نتائج هذا التأثير في طغيان اللغات الأوربية على اللغة العربية في البيت والمدرسة والجامعة، وانتشار مظاهر اللباس الغربي في البيئة العربية، وانتشار الثقافة الاستهلاكية والكسب السريع والتسلية الوقتية والإيقاع السريع. كما تتمثل آثار العولمة الثقافية في تفكك بنية الأسرة وتراجع دورها كبيئة صالحة تنشأ فيها القيم وتنمو فيها الأخلاق الإنسانية، وفقدانها القدرة على الاستمرار كمرجعية قيمية وأخلاقية للناشئة، وتخلي المرأة عن وظيفتها الأساسية في رعاية الناشئة. وعلى المستوى الإعلامي، يتضح أثر العولمة الثقافية على ما تبثه وسائل الإعلام وشبكات الإنترنت من أفلام وبرامج تروج الفاحشة والرذيلة، وشيوع الثقافة السطحية كالطرب والرقص. وعلى المستوى الاجتماعي أدت العولمة الثقافية إلى اختفاء العديد من العادات والتقاليد الاجتماعية الحميدة كصلة الرحم والنخوة والشجاعة والوفاء بالعهد، وانتشار الأمراض الاجتماعية كالخيانة والعلاقات غير الشرعية وعقوق الوالدين والاستهتار لدى فئة الشباب والاتكالية والاعتماد على الآخر، وخفوت المشاعر الدينية التي تعزز الفضيلة والمعروف (رحمانية، ٢٠١٢).

وعلى ضوء ما تم استشعاره من تلك المخاطر والتحديات، جاء مصطلح (الأمن الثقافي) ليعني توفير الحماية من أثر (العولمة الثقافية) «والحفاظ على مكتسبات الشعوب الثقافية والفنية والدينية» قبل أن تكتسحها العولمة بسلبياتها وأضرارها (جبر، ٢٠١٥ ص ١٣٦). وقد وجد مفهوم (الأمن الثقافي) عناية ملحوظة من قبل الباحثين والمفكرين العرب الذين انبروا للدفاع عن الثقافة العربية الإسلامية وبيان الكيفية التي يمكن بها تحقيق الأمن الثقافي وصمود الثقافة العربية أمام طغيان العولمة الزاحف.

الأمن الثقافي: المفهوم والدلالات:

يجيب هذا القسم على السؤال الثاني: ما هو الأمن الثقافي وما هي دلالاته؟ فالأمن مفهوم يُعبر بشكل عام عن توفر الحماية للمواد العينية المحسوسة كالوطن والأفراد والأموال والتحف، والمجردات وغير العينيات كالأفكار والقيم والأخلاق، أو صمودها في وجه الضرر وقدرتها على مقاومته. والأمن مفهوم قابل للقياس وفق مؤشرات معينة، كما أنه قابل للدراسة والبحث والتحليل للتأكد من مدى توافره، أو للتعرف على ما يحتاجه من تطوير وتحسين ليصبح أكثر فاعلية واستجابة للطموحات والغايات. وعلى ذلك؛ فإن مصطلح الأمن الثقافي يعبر، بشكل عام، عن توفر الحماية للثقافة من المخاطر التي تهددها أو تحلي الثقافة بالقدرة على الصمود في وجه المخاطر التي تستهدفها.

وتبعا لتعدد المخاطر، وتنوع الموروثات الثقافية للأمم والشعوب، وتباين اهتمامات الدول والحكومات والمنظمات الدولية والأهلية، يختلف المفهوم الدقيق للأمن الثقافي من مجتمع إلى آخر، ومن توجه فكري إلى آخر، ومن مؤسسة إلى أخرى، كما تتعدد وجهات النظر حول ما هو المقصود بالثقافة أو الأنماط الثقافية التي تحتاج إلى الأمن، ونوع الأمن المطلوب، وكيفية تحقيقه، ومصادر الخطر الذي يستهدفها. فالأمن الثقافي من وجهة نظر المختصين في شؤون السكان الأصليين (الأبأوريجنال- Aboriginal) في أستراليا، يقصد به حمايتهم من الخلل الذي سببته الحياة المعاصرة في نمط حياتهم كالمخدرات وإدمان الكحوليات، وحقهم في اختيار اللغة التي يتحدثونها، ورفع مستوى الجودة في الخدمات التي تقدمها إليهم الحكومة الأسترالية ومؤسسات المجتمع المدني (Bainbridge et al، ٢٠١٥). وبالنسبة للولايات المتحدة الأمريكية، يعني الأمن الثقافي تفوق الثقافة الأمريكية على سائر الثقافات العالمية والهيمنة عليها وتطويعها خدمة للرأسمالية وأسلوب الحياة الاستهلاكية المترفة للمجتمع الأمريكي (جبر، ٢٠١٥).

وينظر الصينيون إلى الامن الثقافي على أنه صيانة المجتمع الصيني المنفتح على تقنية المعلومات ومعطياتها من التأثيرات السلبية المتنامية والمتسارعة للثقافة العصرية المتسمة بالتنوع وسرعة الانتشار التي تأتي بها هذه التقنية والتي اصبحت تهدد الهوية الثقافية الصينية من حيث اللغة والقيم والعادات (Han، ٢٠١٤). وأما في إفريقيا، التي تتمتع قبائلها بتنوع ثقافي تخطت أهميته وجاذبيته المجتمعات المحلية إلى قارات العالم الأخرى لا سيما أوربا وأمريكا، يُعنى الأمن الثقافي بوقاية الثقافات المحلية من تأثير التنمية التي أصبحت تهدد بقائها، بل وعرضت بعضها للاندثار أو التأثر بأنماط ثقافية دخيلة جاءت بها التنمية (Bouchat، ٢٠١٠).

وبالنسبة للمهتمين بالتراث العالمي المادي كالتحف التي تركتها الأمم والحضارات السابقة كالحضارة الأشورية والفرعونية وحضارات ما بين النهرين فإن الأمن الثقافي يُعنى بالحفاظ على تلك الكنوز من العبث والتخريب والإتجار في السوق السوداء في أثناء النزاعات المسلحة أو على أيدي الجماعات الإرهابية مثل ما يسمى الدولة الإسلامية (داعش) التي دمرت الكثير من المواقع الأثرية في العراق وسوريا وعبثت بمحتويات المتاحف وسرقت بعضها وهربتها إلى خارج الحدود الإقليمية (Nemeth، ٢٠٠٧).

وفي العالم العربي، يرى المفكرون والباحثون المهتمون بموضوع الثقافة أن الأمن الثقافي أحد جوانب الأمن القومي، وبه تتحقق أنماط الأمن الأخرى لا سيما في المجالات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، بل ومقدم عليها وأكثر منها أهمية. فيُعنى الأمن الثقافي بتوفير «الثقافة الصالحة» القادرة على المقاومة والصمود والتأثير وتمكين الناس من عيش حياتهم المعاصرة بإيجابية (نزاري، ٢٠١١، ص ٥٤). كما يُعنى الأمن الثقافي بالحفاظ على الهوية والانتماء وتحقيق الأمن والاستقرار في جميع نواحي الحياة «سواء داخل الوطن الواحد أو بين الدول المتباينة المصالح والمختلفة في التوجهات» (جبر، ٢٠١٥ ص ١٣٧) .

فالثقافة بالنسبة للأمة العربية الإسلامية هي «روح الأمة وعنوان هويتها» (التويجري، ٢٠١٥، ص ١١). والثقافة في مفهومها المعاصر تشمل مركباً معقداً ومزيجاً متفاعلاً من موروثات المجتمع ومؤسساته (ورقلة، ٢٠١١). فتشمل الثقافة العربية الإسلامية الماديات والعادات والتقاليد واللغة (جبر، ٢٠١٥) والدين والعقائد والأخلاق والقيم (رحامنية، ٢٠١٢)، وأسلوب حياة الفرد في المجتمع الذي يعيش فيه والعلاقة التي تربطه ببقية أفراد المجتمع (بن نبي، ٢٠٠٢، ١٤٧)، والسمات والسلوكيات المشتركة التي يتقاسمها أبناء هذه الحضارة وتميزهم عن غيرهم من أبناء الأمم والحضارات الأخرى (العيد، ٢٠١٤). وتنطوي الثقافة كذلك على القدرات والمهارات الكامنة التي تتمتع بها الشخصية العربية لتحصيل المعارف والعلوم وربطها بالمجتمع الذي تنتمي إليه (المتساوي، ٢٠١٣). والثقافية العربية الإسلامية ثابتة ومتغيرة؛ فالثابت تستمده الثقافة من القرآن والسنة، وهي مصادر مقدسة وقطعية، وأما المتغير فتستمده من اجتهادات العلماء وابداعاتهم، وهي مصادر قابلة للتجديد والتغيير (التويجري، ٢٠١٥). كما تتمثل الثقافة في السمات المشتركة لأبناء الأمة، والتي تميز الشخصية العربية الإسلامية عن غيرها من الشخصيات الوطنية والقومية الأخرى (رحامنية، ٢٠١٢). والثابت في الثقافة العربية الإسلامية هو الذي يكون الهوية الثقافية لأفراد هذه الحضارة (العيد، ٢٠١٤).

ونظرا للأهمية البالغة للثقافة، وحجم المخاطر التي تشكلها العولمة الثقافية على الثقافة العربية الإسلامية، تتعدد الاستراتيجيات والمقترحات التي وضعها المفكرون والباحثون لتحقيق الأمن الثقافي، كما تتعدد الجهات والمؤسسات الحكومية والمدنية التي تم تحميلها المسؤولية لتعزيز الأمن الثقافي وتمكينه من الوقوف في وجه المخاطر التي تأتي بها العولمة الثقافية. فتحقيق الأمن الثقافي يحتاج إلى الاعتزاز «بالذات الثقافية الحضارية» وجعلها حاضرة في الحركة الثقافية والاجتماعية (نزاري، ٢٠١١ ص ٥٤). كما أنه من الضروري التمييز بين التغريب والتحديث، والتجذر في التراث وتجديده. فالتحديث ملكية عامة تتشارك فيها جميع حضارات العالم ولا تتنافى مع الثقافة العربية الإسلامية وطموح المسلمين لتطوير مجتمعاتهم والرقي الحضاري والتقدم التكنولوجي، إلا أن هذا لا يعني الذهاب إلى تبني الحضارة الغربية بكل معطياتها ومنتجاتها؛ لأن هذه الحضارة ليست هي الأمثل، كما أن هناك شعوبا حققت التقدم والازدهار المطلوب في الوقت نفسه الذي حافظت فيه على هويتها الحضارية والثقافية، منها على سبيل المثال الصين ودول جنوب شرق آسيا والهند التي تمسكت بالبوذية والكنفوشية وفي الوقت نفسه تمكنت من التحديث والتطوير (عزيز وحمداوي، ٢٠١١). لذا فإن الأمن الثقافي القادر على الوقوف في وجه التغريب يتحقق عندما تستمد التنمية المعاصرة «منابعها الفكرية من الحضارة العربية الإسلامية»، ويستلهم التراث أصالته من الثقافة العربية الإسلامية المتجددة والديناميكية التي تساعد المجتمع على استلهام الحلول من منطقه الداخلي والمحلي بدلا عن تبني حلول جاهزة وضعت لمجتمعات أخرى لا تتبنى ثقافته وتراثه (عزيز وحمداوي، ٢٠١١ ص٥٨٣). وفي هذا الحال لا مناص من إعادة قراءة التراث الحالي وتوظيفه ليتناسب مع متطلبات الحياة المعاصرة (العيد، ٢٠١٤)، وبناء ثقافة عصرية تتخلص من «سلبيات الثقافة السائدة حاليا مثل ثقافة العيب، والخوف، والجهل، والعنف، والعنصرية، والشلليلة، والمحسوبية، وتستبدل بالاعتدال، والتسامح، والانفتاح، والتوسط، والجرأة الأدبية، والحوار، والاطلاع» (رحامنية، ٢٠١٢ ص ١٠٥)، ونشر «ثقافة الحرية الموجهة المضبوطة» في كافة مناحي الحياة، ومحاولة توجيه العولمة العالمية والاستفادة من إيجابياتها في حياة المواطن العربي (رحامنية، ٢٠١٢ ص ١٠٦)، و«الانفتاح والحوار مع الثقافات المعاصرة» (نزاري، ٢٠١١)، وتحقيق قدرا من «التكامل الاقتصادي العربي» (ص١٤٤)، «وسن القوانين التي ترسم حدود الأمن الثقافي» (ص ١٤٥)، و«نشر روح المواطنة الصالحة في المجتمع» (١٤٣)، و«تنمية الوعي بالأخلاق ودورها في حياة الفرد والمجتمع» (ص ١٤٢)، وترسيخ العقيدة الدينية الصحيحة، ونشر الوعي بارتباط اللغة العربية بثقافة الأمة وهويتها وأساس وحدتها أمام الاستعمار الفكري والثقافي (جبر، ٢٠١٥).

والأمن الثقافي العربي المنشود لا يتحقق بجهود تقتصر على مستوى الدولة القطرية الواحدة، وإنما يتطلب جهودا مشتركة تقوم بها الدول العربية قاطبة وقدرا كبيرا من التآزر والتضامن والتعاون لوضع تصور عربي شامل للحافظ على مكونات الثقافة العربية العصرية (رحامنية، ٢٠١٢). كما يتعين أن تشترك في تحمل مسؤولية الأمن الثقافي العربي «الحكومات من خلال أجهزتها الرسمية وإمكاناتها المادية والبشرية» (المتساوي، ٢٠١٣ ص ١٢)، ومؤسسات المجتمع العربي المدني لا سيما الأسرة التي يتعين أن يتربى فيها الأبناء على ثقافة المجتمع وقيمه وأخلاقه، والهيئات والمنظمات الثقافية والفكرية التي تحمل على عاتقها دورا تثقيفيا يصب في الحفاظ على هوية المجتمع الثقافية وتراثه وموروثاته الحضارية (عزيز وحمداوي، ٢٠١١).

ومن بين أهم المؤسسات المعنية بتعزيز الأمن الثقافي المؤسسات التربوية والتعليمية؛ لأنها تتعامل مع أهم فئتين من فئات المجتمع وهما الأطفال في مرحلة التعليم العام، والشباب في مرحلة التعليم الجامعي، كما أنها تُعنى بالتعليم مدى الحياة الذي يتوقع منه تهيئة الأشخاص على التأقلم مع المستجدات والمتغيرات لا سيما تلك التي تأتي بها موجات التطور المستمرة (رحامنية، ٢٠١٢). وبهذا فإن للعولمة والأمن الثقافي أبعادا تربوية وتعليمية، وهو ما تناقشه الورقة في القسم التالي، وذلك بطرح السؤال البحثي: ما هي الأبعاد التربوية والتعليمية للعولمة الثقافية والأمن الثقافي؟ والذي ستتم الإجابة عليه في القسم التالي.

الأبعاد التربوية والتعليمية للعولمة والأمن الثقافي:

إن العلاقة بين المنظومة التربوية التعليمية وكل من الأمن الثقافي والعولمة مثار اهتمام واضعي السياسات التعليمية والباحثين والمفكرين على مستوى دول العالم أجمع المتقدمة والنامية والعربية وغير العربية. فآثار العولمة على التربية والتعليم لم تسلم منها أي دولة في العالم، وهذا ما جعل بعض الباحثين يرون أن هناك عولمة تربوية مثلما أن هناك عولمة ثقافية، وعولمة اقتصادية، وعولمة سياسية. وقد عرفت العجمي (٢٠١٤ ص٦) العولمة التربوية بأنها «هيمنة الثقافات الأقوى على ثقافات ومناهج النظم التربوية الأخرى لإزالة الفوارق والخصوصيات التي تحكم السلوك والقيم وتؤدي إلى اهتزاز المنظومة القيمية».

وإن كان للعولمة سلبيات كثيرة، إلا أن لها جوانب إيجابية خاصة عندما يتم قبول التحدي الذي تفرضه على المنظومة التعليمية ومقابلته بالتطوير والتحسين والأخذ بالمعايير العالمية والوفاء بمتطلبات التنمية الوطنية الشاملة وحاجة سوق العمل. فعلى سبيل المثال، أدى التنافس العالمي على استقطاب الموظفين المؤهلين إلى قيام المملكة المتحدة بضخ المزيد من الأموال في ميزانية التعليم لكي تجعل من المواطنين البريطانيين قادرين

على خوض التنافسية العالمية في قطاع التوظيف وذلك بتزويدهم بالمهارات والمعارف المطلوبة على مستوى العالم وعدم الاقتصار على متطلبات سوق العمل المحلية في بريطانيا.

وتتعدد أوجه التحديات والآثار التي تركتها العولمة على النظام التربوي والتعليمي العالمي، وتختلف من دولة إلى أخرى، إلا أنه يمكن تصنيفها على النحو التالي:

المصادر المالية:

أدت العولمة في مجال التعليم إلى ضغوطات على ميزانيات الدول مما تطلب جهودا كبيرة للتخطيط السليم لتوزيع الموارد المالية بشكل عادل بين قطاع التعليم وغيره من القطاعات. فالجودة في التعليم التي طالبت بها العولمة، والكلفة المرتفعة لتكنولوجيا التعليم ومواده وأدواته التي أتت بها الأنماط التعليمية المصاحبة لموجة العولمة أدت إلى ضخ المزيد من الأموال في قطاع التعليم. وأصبح التعليم في ضوء العولمة قائما على استعمال تقنية المعلومات وشبكات الإنترنت، والتدريب العملي في مؤسسات سوق العمل داخل البلد أو خارجه، والارتباط الأكاديمي مع مؤسسات تعليمية دولية؛ مما جعل التعليم يمتص موارد الدولة المالية.

تحقيق الجودة في كل مستويات التعليم:

تطلبت العولمة الجودة في كل مستويات التعليم العام، والجامعي، والمهني، والفني، والتخصصي. فلم يكن من الممكن مثلا التركيز على تطوير الجودة في مرحلة التعليم الجامعي وإهمالها في التعليم العام؛ لأن التعليم العام هو المزود للتعليم الجامعي بالطلبة والمتعلمين؛ وما لم يتمتع هؤلاء الطلبة بمستويات علمية ومهاراتية مقبولة فإنهم سيواجهون التحديات العملية والنظرية التي تعيق تقدمهم الأكاديمي؛ وبالتالي تؤثر سلبا على مستوى الجودة في مخرجات التعليم الجامعي رغم الجهود التي تبذل لتطويره وتحسينه.

هيمنة الشركات العابرة للقارات على برامج التعليم:

أدى ارتباط التعليم بمستوياته العامة والتخصصية بتقنية التعليم وشبكات الإنترنت إلى تدخل شركات تقنية المعلومات، مثل (جوجل) و(أبل) و(أنتل)، في النظم التعليمية بالدول التي تستفيد من خدمات تلك الشركات والتدخل في تحديد الأهداف الوطنية للتعليم ورسم استراتيجياته وخططه. فمثل هذه الشركات توفر برامج كمبيوترية شاملة لإدارة التعليم مثل إيديويف (eduwave) و إيكسل (edexcell) وبرامج أخرى لتوظيف التعليم الصفي أو التعليم التفاعلي والتعليم عن بعد؛ حيث يتعين أن يكتب المحتوى التعليمي

لبعض هذه البرامج من قبل خبراء بهذه الشركات وليس من قبل المختصين بالمؤسسة التعليمية التابعة للدولة المستفيدة من الخدمة.

هيمنة النظرة الاقتصادية على التعليم:

فقد أدى استثمار القطاع الخاص في التعليم، لا سيما الجامعي، لأجل الربح المادي إلى جعل التعليم سلعة عرضة لمبدأ العرض والطلب. وهذا بدوره أدى إلى خلق إشكاليات كثيرة منها على سبيل المثال تغيير نظرة الأساتذة والأكاديميين إلى دورهم في العملية التعليمية وولائهم للمؤسسة الأكاديمية التي يعملون بها. فأصبح الأكاديميون ينتقلون من مؤسسة إلى أخرى لأجل أهداف مادية بحتة تجذبهم إليها الرواتب العالية والإغراءات المادية وليس المستوى العلمي والمكانة الأكاديمية للجامعة (Menon، ٢٠٠٦).

التعليم لأجل التوظيف بدلا عن التعليم لأجل التعليم:

أدى ربط التعليم، خاصة الجامعي، بمتطلبات سوق العمل، واندفاع شركات القطاع الخاص إلى توظيف خريجي بعض الجامعات والكليات وتفضيلهم على غيرهم من الخريجين إلى جعل الطلبة الجامعيين يتعلمون لأجل التوظيف. ففقد التعليم غايته السامية عندما كان التعليم لأجل التعليم، بأن أصبح التعليم لأجل الحصول على الشهادة الجامعية التي تؤهل الشخص الحصول على الوظيفة بعد التخرج. كما فقد التعليم جاذبيته وسحره لدى طلاب التعليم العام الذين أصبحوا مجبرين على اختيار مواد تعليمية مضطرين إليها وليسوا راغبين في دراستها، وتكريس الجهود للحصول على مستويات تحصيلية تؤهلهم للالتحاق بتخصصات جامعية مقبولة في سوق العمل وتضمن لهم الحصول على الوظيفة بعد التخرج (Menon، ٢٠٠٦).

التعددية الثقافية في الدولة الواحدة:

أصبحت كثيرا من الدول، لا سيما الدول الأوربية التي تقبلت أعدادا كبيرة من المهاجرين من دول مختلفة كالدول العربية والإسلامية والدول الإفريقية ودول شرق آسيا، تعيش بها مجتمعات متعددة الثقافات؛ مما تطلب وضع برامج تعليمية وتربوية تراعي هذا التعدد الثقافي وتستجيب إلى حاجة أبناء الجاليات الى تعلم ثقافتهم الخاصة إضافة إلى ثقافة البلد الذي يعيشون فيه. ففي بعض الدول الأوربية مثل النمسا وألمانيا وبريطانيا تُدرس الديانات العالمية: الإسلام والمسيحية واليهودية والبوذية، جنبا إلى جنب، كما تُدرس بعض

اللغات العالمية التي يتحدثها أبناء هذه الجاليات. والوفاء بمتطلبات التنوع الثقافي في المنهج الدراسي يشكل عبئا على المنظومة التعليمية وتحديا للمعلمين والمخططين والتربويين وواضعي المناهج ومؤلفي الكتب المدرسية.

تحديات المنهج الوطني ودور الدولة والمواطنة:

أدى انتشار أفكار العولمة الثقافية واتساع اهتماماتها التربوية والتعليمية وانعكاساتها الاجتماعية على الفرد والمجتمع إلى تراجع دور (الدولة الوطنية) في وضع مناهج التعليم وتراجع أهمية (المنهج الوطني) وقيمته لحساب مناهج تعليمية عالمية التكوين والمحتوى والبنية. فقد برز مصطلح (المواطنة العالمية- global citizenship) في مقابل (المواطنة) وبرز مصطلح (الكفاءة الثقافية- cultural competence) التي لم تقف عند تعريف الطالب بثقافة الآخر ومطالبته باحترامها وتقديرها والتحاور بإيجابية حولها والتواصل مع أصحاب الثقافات الأخرى، بل والقدرة على نقد الشخص لثقافته وقيمه ومسلماته والالتزام بالتبادل الثقافي مع الآخر (Livingstone، ٢٠١٤).

وفي العالم العربي يعاني التعليم بمستوييه العام والجامعي من مشكلات نوعية (تعوينات، ٢٠١١) زادت من حدتها العولمة وما فرضته من تحديات وضعت المؤسسات التربوية والتعليمية أمام خيارين: إما البقاء على وضعها الحالي بخلله وضعفه؛ وهو نوع من الاستسلام والإذعان والتراجع، أو قبول التحدي بالتطوير والتحسين؛ وبالتالي الصمود والبقاء والاستمرار. وهنا تطرح الدراسة السؤال البحثي الرابع: ما هي جوانب الخلل التي تعاني منها النظم التربوية والتعليمية في العالم العربي وأضعفتها أمام تحديات العولمة الثقافية ومتطلبات الأمن الثقافي؟ والذي ستتم الإجابة عليه في القسم التالي.

إشكاليات التعليم في العالم العربي ومدى قدرته على مواجهة تحديات العولمة والوفاء بمتطلبات الأمن الثقافي:

فرضت العولمة تحدياتها على النظم التربوية والتعليمية في العالم العربي، وتشعبت الجوانب والمجالات التي وجدت المؤسسات التعليمية والتربوية العربية أنها بحاجة إلى تطويرها وتحسينها لكي تصبح قادرة على مواجهة العولمة وتأمين الأمن الثقافي للطلبة خصوصا، والمواطن بشكل عام. فالتعليم في العالم العربي يعاني إشكاليات متعددة وجوانب خلل متنوعة أضعفته أمام تحدي العولمة والوفاء بمتطلبات الأمن الثقافي. وهذا الخلل والضعف لم يقتصر على جانب واحد من جوانب العملية التعليمية أو مستوى بعينه من مستويات

التعليم بل كان شاملا لكثير من المجالات كالفلسفة التعليمية، والمناهج، والبيئة المدرسية، والمعلم، والطالب، ومستويات التعليم العام والجامعي والتخصصي والمهني. ومن أهم الإشكاليات التي يعاني منها التعليم في الوطن العربي وارتبطت بتأثير العولمة الثقافية والقدرة على تحقيق الأمن الثقافي، من وجهة نظر الباحث ما يلي:

ارتفاع نسبة الأمية: فحسب تقديرات (المرصد العربي للتربية التابع لجامعة الدول العربية) لعام ٢٠١٥، يوجد ٥٤ مليون أمي من الجنسين في الوطن العربي منهم ٦,٥ مليون شباب تتراوح أعمارهم بين (١٥-٢٤) سنة. ولا يتوقع التقرير أن ينخفض هذا رقم كثيرا بحلول عام ٢٠٢٤ حيث سيكون هناك ٤٩ مليون أمي، منهم ١٥,٥ مليون من الذكور. كما يتوقع التقرير أن تبقى نسبة الأمية بين الإناث مرتفعة أيضا. فنظام تعليمي غير قادر على تعليم مواطنيه سيكون، بلا شك، عاجزاً عن حمايتهم من الآثار السلبية للعولمة الثقافية ولا يمكنه توفير الأمن الثقافي لحماية هويتهم الثقافية والفكرية من تأثير الثقافات العالمية.

البطالة:

انعكست إشكاليات التعليم في الوطن العربي على توفر فرص العمل وارتفاع نسبة البطالة. فحسب تقرير (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة- اليونسكو) لعام ٢٠١٤، يعاني واحد من أصل أربعة من الشباب في الوطن العربي من البطالة. وفي بعض بلدان المنطقة، تفوق معدلات البطالة في صفوف خرّيجي الجامعات تلك التي بين من أنهوا مرحلة التعليم الابتدائي؛ مما يؤكد أن التعليم الجامعي غير قادر على الاستجابة لحاجة السوق الذي أصبح مشبعا بشباب متخصصين في مجالات محدودة. وكان تدني مستوى التعليم وارتفاع نسبة البطالة من الأسباب التي أدت إلى ثورات الربيع العربي، وهي الأسباب نفسها التي تؤدي إلى الهجرة غير المشروعة إلى أوربا عبر البحر الأبيض المتوسط التي يلاقي خلالها الكثير من المهاجرين حتفهم غرقا في البحر.

التعليم للجميع:

فالتعليم في الوطن العربي غير متاح لكل فئات المجتمع وفي كل المناطق الجغرافية التي يعيش بها المواطنون. فما زالت نسبة عالية من الأطفال ذوي الاحتياجات الخاصة في الوطن العربية محرومة من فرص التعليم ولا ترتاد المدرسة، وغير قادرة على القراءة والكتابة. وقد أشار تقرير (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة- اليونسكو ٢٠١٤) أنه بالرغم من التحسن الطفيف الملحوظ في حقوق ذوي الاحتياجات

الخاصة لا تزال النسبة الأكبر منهم غير قادرين على القراءة بسبب حرمانهم من التعليم، كما أنهم محرومون من العناية الصحية والعمل. ثم أن الفتيات في بعض الدول العربية يتمتعن بفرص أقل للالتحاق بالتعليم خاصة الثانوي والجامعي من تلك المتوفرة للذكور، وتقل هذه الفرص أكثر في المناطق الريفية.

التعليم النوعي وضبط الجودة:

إذ يشكل توفير التعليم النوعي هاجسا لدى الدول العربية، فلم يعد الوصول إلى التعليم هو الهدف الأسمى لدى النظم التعليمية المتقدمة، وإنما توفير التعليم النوعي الذي يحقق للطالب الحصول على نتائج معترف بها داخل وطنه وخارجه وقابلة للقياس، ويكسبه مهارات تبقى معه بعد التخرج ويستفيد منها في حياته الشخصية والوظيفية، ويكسبه مهارات التعامل مع تقنية المعلومات والحاسب الآلي، وهي مهارات ومعايير أصبحت أكثر ارتباطا بالحياة المعاصرة. ولا تزال الاختبارات المكتوبة تشكل الجزء الأكبر من أدوات القياس المطبقة في النظم التعليمية العربية، وتركز الاختبارات في الغالب على قياس قدرة الطالب على التذكر واسترجاع المعلومة ولا تقيس مستوى المهارات الأساسية كالفهم وحل المشكلات والاستنتاج والإبداع.

النظم التربوية المستوردة:

فبعض النظم والمناهج التربوية والتعليمية المطبقة في العالم العربي غير نابعة من واقع المجتمعات العربية وبيئتها الثقافية، وإنما جاءت من الغرب، ونادى بها أو وضعها، منظرون وتربويون غربيون. وهذه النظم والمناهج والنظريات إما أنها لم تطبق بتاتا في الغرب نفسه؛ فهي لم تتعرض لتجربة الصح والخطأ، أو أنها طبقت في العالم العربي بدون تقويم للتعرف على جوانب الضعف والخلل وما تحتاجه من تغيير وتبديل كي تصبح مناسبة للمتعلم والبيئة التربوية والاجتماعية في العالم العربي (تعوينات، ٢٠١١).

المعلم وإعداده وتأهيله:

فقد تأثرت جودة التعليم والمخرجات التربوية في العالم العربي بالمستوى العلمي والمهني للمعلم ونوعية البرامج المطبقة لإعداده وتأهيله. والمعلم هو حجر الزاوية في العملية التعليمية، وما لم يكن معدا بشكل جيد للقيام بمهامه التعليمية والتربوية فلا يمكن للعملية التعليمية أن تحقق أهدافها المرجوة من حيث إعداد جيل قادر على تحمل مسؤولياته الشخصية والوطنية (محافظة، ٢٠٠٧). لذا فقد طوّرت (اليونسكو) إطار عمل للسياسات الخاصة بالمعلمين في الدول العربية عني باستقطاب المعلّمين وتوفير التطوير المهني لهم، والمساواة بين الجنسين، وتطوير القيادة المدرسية، إضافة إلى معالجة الأولويات الوطنية، وتطوير نوعية التعليم والتعلّم.

العزوف عن التعليم المهني والتقني:

إذ يعزف بعض الشباب في العالم العربي عن الالتحاق بمجال التدريب التقني والمهني بالرغم من الحاجة إلى هذا النوع من التعليم لاكتساب المهارات المؤهلة لالتحاق الشباب بسوق العمل خاصة في مجال التقنية التي أصبحت تشكل جزءا مهما في واقع العولمة. ولا يزال التعليم التقني والمهني بحاجة إلى المزيد من التطوير ورفع مستوى الجودة وإنشاء المعايير المهنية والتدريسية ورفع كفاءة المعلمين والمدربين المهنيين والتقنيين ليصبح أكثر جاذبية وإقناعا للطلبة، كما أنه بحاجة إلى وضع خطط يتم بها إنشاء العلاقات التكاملية بين مؤسسات التدريب وسوق العمل.

التعليم التقليدي:

ثم إن كثيرا من النظم التعليمية والجامعات في العالم العربي لا تزال تقليدية سواء من حيث النظرة الاستراتيجية للتعليم الجامعي، أو التخصصات التي تطرحها، أو مناهج التدريس، ودور المعلم والمتعلم والمأمول منه بعد التخرج. فالتعليم الجامعي الذي أسس لإعداد فئة منتقاة من أبناء الشعب لشغل وظائف إدارية معينة أو من أجل الوجاهة الاجتماعية لا بد أن يواجه تحديات في جودة المخرجات وفي القدرة على الوفاء بمتطلبات سوق العمل ومتطلبات التنمية الوطنية الشاملة (العريني، ٢٠٠٧ والعجمي، ٢٠١٤).

ثم إن النسق التربوي الحالي لا يؤهل الطلبة ليكونوا قادرين على النقد والتحليل والقدرة على التمييز بين الجيد والرديء، كما لا يؤهلهم لأن يكونوا منتجين وفاعلين، بل يكرس لدى الطلبة ثقافة الاستهلاك غير المدروس مما يجعلهم مجرد سوقا يوفر الربحية للشركات العالمية، ويجعلهم مجرد مقلدين لما ينتجه الآخر من أفكار ومفاهيم وتصورات (محافظة، ٢٠٠٧). وبالرغم من كثرة الأصوات المنادية بضرورة مواكبة العصر والاستفادة من المعطيات المعاصرة، إلا أن التجديد التربوي لا يزال يسير ببطء شديد مقارنة بالتسارع في تطور عصر المعلومات مما يزيد الفجوة بين النظام التعليمي ومتطلبات الواقع، ويكرس عجز المنظومة التعليمية عن تعزيز الأمن الثقافي والقدرة على مواجهة التحديات المرتبطة به.

الازدواجية في التعليم:

فيرى البعض أن هناك ازدواجية في التعليم بين أبناء النخبة وأبناء العامة، وبين المواطنين والوافدين. وقد أدى هذا الوضع بدوره إلى هروب أولياء الأمور بأولادهم من مدارس التعليم الحكومية والحاقهم بالمدارس الخاصة لاسيما متعددة اللغات، أو مدارس الجاليات الأجنبية مما زاد من احتكاك هؤلاء

الأطفال بأبناء الثقافات الأخرى، لا سيما المعلمين الوافدين، وأبعدهم أكثر عن ثقافتهم الأم التي يجدونها عند أبناء وطنهم من معلمين وطلبة (محافظة، ٢٠٠٧).

الجمع بين الأصالة والمعاصرة:

تعيش المؤسسات التربوية والتعليمية في الدول العربية والإسلامية جدلية الأصالة والمعاصرة، وكيفية الحفاظ على ثقافة المجتمع وقيمه الاجتماعية في الوقت نفسه الذي يمكن فيه العمل بمتطلبات الانفتاح الفكري والثقافي والمعرفي على الآخر (تعوينات، ٢٠١١). فالنظام التعليمي العربي هش من حيث قدرته على غرس قيم المجتمع وثوابته في نفوس الناشئة والشباب وإقناعهم بعدم التخلي عن ثقافتهم والذهاب إلى تبني ثقافات أخرى لا تمت إلى مجتمعهم بصلة، ومع ذلك «لا تزال منظومات التربية والتعليم في أغلب أرجاء العالم الإسلامي تخضع إلى المراجعة تلو المراجعة حيث لم يقع الاهتداء بعد إلى صياغة منهج إسلامي أصيل يتمسك بالثوابت ويتفتح على المستجدات» (المتساوي، ٢٠١٣ ص ٩).

ويبدو أن عدم قدرة النظم التعليمية والتربوية الحالية بالعالم العربي على مواجهة الآثار التي تتركها العولمة على الهوية الثقافية للمجتمع وقيمه وثوابته الأخلاقية، من أكثر الأمور التي تثير قلق المختصين العرب وتجذب اهتمامهم. فمن وجهة نظر أحد الباحثين، سيعمل الأثر الكبير للعولمة على تفتيت المنظومة القيمية «واستبدالها بمنظومة جديدة من القيم النفعية والبراجماتية والفردية والأنانية والمادية التي تقتل الروح وتذهب بالمحتوى الأخلاقي والإنساني لسلوك الناس، وستقضي على الخصوصيات الثقافية» (محافظة، ٢٠٠٧ بتصرف ص ٢١). وتقول العجمي في هذا الشأن «إن الافتقار إلى الأخلاقيات في عصر العولمة كارثة محدقة، وإذا لم ننتبه في مدارسنا إلى ذلك فإننا نخَرج متعلمين يجيدون ممارسة كل شي إلا كل ما هو أخلاقي» (العجمي، ٢٠١٤ ص ٨). لذا من وجهة نظر هذه الباحثة «تشكل العولمة التربوية والثقافية أخطر أنواع العولمة إذ يمكن اعتبارها عملية اغتصاب ثقافي تربوي للفرد والأمة والمجتمع وقهر لهم جميعا» (العجمي، ٢٠١٤ ص ١٠). وبناء على ذلك فإن التربية والتعليم بحاجة إلى إعادة النظر في المناهج من حيث المحتوى وطرائق التدريس والتقويم والتركيز على التعليم الذاتي والنقد والتفكير لدى الطلبة (محافظة، ٢٠٠٧).

البحث العلمي:

يعاني العالم العربي من تراجع في الاهتمام بالبحث العلمي رغم الإمكانيات المادية والبشرية والموارد الطبيعية، وعدد الجامعات والأكاديميين الذين يمكن أن تسند إليهم مهمة البحث (البرغوثي وأبو سمرة، ٢٠٠٧). وعدم الاهتمام بالبحث العلمي في العالم العربي انعكس سلبا على المستوى العلمي والبحثي للجامعات والأساتذة الأكاديميين، كما أثر سلبا على مستوى الجودة في التربية والتعليم، وحد من قدرة المخططين وواضعي النظم والسياسات على اتخاذ القرار المبني على الدليل العلمي الذي من شأنه أن يسهم في حل المشكلات التربوية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية وأن يؤدي إلى التطوير والتحسين وفق رؤى مدروسة وقابلة للتقييم والمراجعة وإعادة النظر.

المنافسة من قبل المؤسسات التعليمية العالمية والخاصة:

فمن التحديات التي فرضتها العولمة على المؤسسات الجامعية العربية المنافسة الحادة التي خلقتها الجامعات العالمية التي فتحت فروعا لها في الدول العربية وعدم قدرة بعض الجامعات المحلية على التنافس مع تلك الجامعات الوافدة لا سيما مع انحسار الدعم الذي تقدمه الحكومات للجامعات المحلية والتوجه نحو التنافسية بين المؤسسات الجامعية وتنويع مصادر الدخل. كما أدت العولمة إلى دخول القطاع الخاص في الاستثمار في التعليم الجامعي وظهور الجامعات الممولة والمملوكة من قبل هذا القطاع وهذا بدوره أدى إلى تناقص دور الحكومات في صياغة الاستراتيجيات التعليمية الوطنية، وربما أدى كذلك إلى تراجع جودة التعليم وتغليب مبدأ الربحية المادية على حساب الجودة. كما أدى التوجه الذي تبنته الكثير من الجامعات الخاصة والحكومية بالتركيز في برامجها ومساقاتها الجامعية على حاجة سوق العمل من المهارات والمعارف إلى التركيز على التخصصات والمعارف العلمية والتقنية وتهميش مكانة التخصصات الإنسانية ومهارات التواصل والقيم والأخلاق (العريني، ٢٠٠٧).

فنظام تعليمي وتربوي يعاني من كل تلك المشكلات وغيرها، سيكون غير قادر على مواجهة التحديات التي أتت بها العولمة وسيواجه تحديات كثيرة في الوفاء بمتطلبات الأمن الثقافي التي يحتاج إليها المجتمع. وهذا يقودنا إلى طرح التساؤل الخامس لهذه الدراسة: كيف يمكن مواجهة التحديات التي فرضتها العولمة الثقافية على النظام التربوي والتعليمي في العالم العربي؟

الوفاء بمتطلبات الأمن الثقافي:

التحديات التي فرضتها العولمة الثقافية على المؤسسات التربوية والتعليمية في العالم العربي وما تعانيه هذه المؤسسات ونظمها التعليمية من إشكاليات تضعف من قدرتها على الوفاء بمتطلبات الأمن الثقافي للشعوب العربية، خاصة الناشئة والشباب، تستدعي إيجاد الحلول الجذرية والشاملة. فالنظام التعليمي كل متكامل؛ تتأثر مكوناته بما يعتري بعضها البعض من ضعف أو قوة، وبما تعانيه من خلل وتحديات. فلا يمكن إصلاح المنهج الدراسي مثلا، بدون إصلاح المعلم الذي ينفذ ما في هذا المنهج، أو بدون توفير المواد والأدوات وتكنولوجيا التعليم التي يتم بها تنفيذ المنهج بفاعلية. كما لا يمكن إصلاح التعليم الجامعي وترك التعليم العام يعاني من خلل يؤثر على المستوى العلمي والتعليمي لمخرجاته ويحد من قدرة الطلبة والمتعلمين على الوفاء بمتطلبات التعليم الجامعي التي تفوق قدراتهم ومهاراتهم ومعارفهم التي اكتسبوها من خلال مرحلة التعليم العام. وبما أن الأمن الثقافي يعنى بالهوية الثقافية والفكرية للأمة، فيتعين أن يتجه اهتمام التربية والتعليم في الوطن العربي إلى بناء العقول، وتنمية الشخصية المعتزة بهويتها الثقافية والفكرية، والقادرة على الإسهام الحضاري والمشاركة بإيجابية في تقدم البشرية ومواكبة العصر والاستفادة من معطياته الحضارية. لذا فإن الدراسة تخرج بالتوصيات التالية التي يؤمل أن تسهم في تعزيز قدرة النظم التربوية والتعليمية في تحقيق الأمن الثقافي في العالم العربي.

التوصيات:

تطوير التعليم بكل مستوياته ومجالاته وفق خطة شاملة ومتكاملة ورؤية عربية موحدة تأخذ في الاعتبار معطيات العصر العلمية والتكنولوجية والتربوية والموروث الحضاري والثقافي للأمة العربية ومتطلبات الانفتاح على العالم والإسهام في بناء الحضارة البشرية المعاصرة. على أن تتولى (المنظمة العربية للتربية والعلوم والثقافة) بالتعاون مع (منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة) مسؤولية التخطيط والمتابعة لهذا المشروع بالتعاون مع المؤسسات المعنية في كل الدول العربية.

أن تركز فلسفة التعليم في الوطن العربي على بناء العقلية الناقدة التحليلية المنفتحة غير التقليدية أو المقلدة من خلال المناهج التعليمية وأساليب التعليم والتعلم والممارسات الصفية والمدرسية التي توجه لا تجبر وترشد لا تلقن و تنشئ المتعلم على التفاعل والمبادرة والإبداع والتجديد بوعي وإدراك ومسؤولية.

بناء العقلية العربية التي تقر بالتعددية الثقافية وتحترم ثقافة الآخر وتقر بحقه في تبني أفكاره وثقافته الخاصة التي يرى أنها تناسبه وتوارثها عبر الأجيال، والإقرار بأن العالم العربي مكون من ثقافات متنوعة دينيا ومذهبيا واجتماعيا وأن هذا التنوع ينعكس على سلوكيات المواطن العربي ومفاهيمه وتطلعاته وآماله، فلا مجال لإنكار الآخر ومنعه من حقه في العيش وفق مقتضيات ثقافته الخاصة وممارسة عاداته وتقاليده وشعائره بحرية وعدم الخوف من الاعتداء أو التجريم.

بناء العقلية العربية القادرة على تفهم وممارسة الحوار الهادئ الهادف البناء مع الذات والآخر وتجنب القدح في الآخر وتضليله وتفسيقه وتكفيره.

مراجعة التراث العربي، خاصة التراث الديني، لتنقيحه من الموروثات والنصوص التي يمكن أن تزرع في العقلية المسلمة والعربية المفاهيم الخاطئة وغير البناءة كالانغلاق وتعظيم الذات وعدم الاعتراف بالآخر وعدم تقبله ومعاداته.

ولتعزيز التوصيات السابقة تقترح الدراسة إجراء بحوث مستقبلية على مستوى كل دولة من الدول العربية تعنى بدراسة واقع تأثير العولمة الثقافية على النظم التربوية في هذه الدول. كما تقترح الدراسة إجراء بحوث ميدانية للتعرف على جوانب القوة والضعف في المؤسسات التعليمية والتربوية العربية من مدارس وجامعات وكليات ومعاهد؛ لتعزيز جوانب القوة ومعالجة جوانب الضعف لكي تصبح هذه المؤسسات

أكثر قدرة على تحمل مسؤولياتها والوفاء بما تحتاجه المرحلة الحالية من التنمية في العالم العربي ولكي تكون مخرجات هذه المؤسسات قادرة على تحمل مسؤولياتها التنموية والحضارية بأمانة واقتدار.

المراجع:

1. برغوثي، عماد وأبوسمرة، محمود. (2007). مشكلات البحث العلمي في العالم العربي. مجلة الجامعة الإسلامية (سلسلة الدراسات الإنسانية) المجلد 15، العدد 2، ص ص 1133 - 1155 ، ISSN 1726-6807، http://www./iugaza.edu.ps/ara/research

2. بن نبي، مالك. (2002). تأملات. بيروت: دار الفكر المعاصر.

3. تعوينات، أحمد. (2011). العولمة، الهوية والمناهج الدراسية وبناء الإنسان. مجلة العلوم الإنسانية والاجتماعية، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري، ص ص 142- 152. متوافرة على الرابط التالي: https://manifest.univ-ouargla.dz/documents/Archive/Archive%20Faculte%20des%20Sciences%20Sociales%20et%20Sciences%20Humaines/Premier_seminaire_international_sur_les_champs_d-identite_et_social/Ali_Taaouinat.pdf

4. التويجري، عبدالعزيز. (2015). الثقافة العربية والثقافات الأخرى. منشورات المنظمة الإسلامية للتربية والعلوم والثقافة إيسيسكو الطبعة الثانية. متوافر على الرابط التالي: https://www.isesco.org.ma/ar/wp-content/uploads/sites/3/2015/11/%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D8%A7%D8%AA-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%AE%D8%B1%D9%89.pdf

5. الجابري، محمد. (1997). قضايا فكرية معاصرة. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

6. جبر، نهلة. (2015). الأمن الثقافي: مفهومه ودواعيه وعوامل تحقيقه. مجلة شؤون عربية، العدد 163، ص ص 134-147. متوافرة على الرابط التالي: http://www.arabaffairsonline.org/admin/uploads/nahla%20mohamed.pdf

7. رحمانية، سعيدة. (2012). العولمة وانعكاساتها على الهوية الثقافية العربية. مجلة علوم الإنسان والمجتمع، العدد 4، ص ص 89-109. متوافرة على الرابط التالي: file:///C:/Users/salhusseini/Downloads/73-1-257-1-10-20140327.pdf

8. العجمي، لبنى. (2014). امتداد تأثر العولمة على التعليم في الوطن العربي. متوافرة على الرابط التالي: https://sites.google.com/site/socioalger1/lm-alajtma/mwady-amte/tathyr-alwlmte-ly-altlym-fy-al-wtn-alrby

9. العريني، سارة. (2007). أثر العولمة على التعليم الجامعي في الوطن العربي. المؤتمر الدولي السابع لتكنولوجيا المعلومات، 2007/ 11/ 15-12. متوافرة على الرابط التالي: https://sites.google.com/site/socioalger1/lm-alajtma/mwady-amte/athr-alwlmte-ly-altlym-al-jamy-fy-alwtn-alrby

10. عزيز، سامية وحمداوي، عمر. (2011). دور المجتمع المدني في المحافظة على الهوية الثقافية في ظل العولمة. مجلة العلوم الإنسانة و الاجتماعية ، عدد خاص الملتقى الدولي الأول حول الهوية والمجالات الاجتماعية في ظل التحولات السوسيوثقافية في المجتمع الجزائري. ص ص 572-587. متوافرة على الرابط التالي: http://search.shamaa.org/arFullRecord.aspx?ID=108234

11. العيد، وارم. (2014). البعد الثقافي للعولمة وأثره على الهوية الثقافية للشباب العربي، الشباب الجامعي الجزائري نموذجا. مجلة جيل العلوم الإنسانية والاجتماعية، العدد 2، ص ص 9-26. متوافرة على الرابط التالي: http://jilrc.com/%D8%A7%D9%84%D8%A .128%D8%B9%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A-%D9%84%D9%84%D8%B9%D9%88%D9%84%D9%85

%D8%A9-%D9%88%D8%A3%D8%AB%D8%B1-%D9%87-%D8%B9%D9%84%D9%89-%D8%A7%D9%84%D9%87%D9%88%D9%8A/

13. كنعان، أحمد. (2008). الشباب الجامعي والهوية الثقافية في ظل العولمة الجديدة. مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية :عدد خاص: دمشق عاصمة الثقافة، ص ص. 439-409. متوافرة على الرابط التالي: http://www.damascusuniversity.edu.sy/mag/human/images/stories/409-439.pdf

14. المتساوي، محمد. (2013). الرؤية العالمية لمواجهة تحديات الأمن الثقافي والفكري في العالمين العربي والإسلامي. أبحاث الملتقى العلمي نحو استراتيجية للأمن الفكري والثقافي في العالم العربي والإسلامي (الرياض 23 – 25 / 12 / 1434هـ الموافق 28 – 30 / 10 / 2013م) [10]. متوافرة على الرابط التالي:

http://repository.nauss.edu.sa/bitstream/.15hadle/123456789/63770/%D8%A7%D9%84%D8%B1%D8%A4%D9%8A%D8%A9%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D8%A9%2%D9%84%D9%85%D9%88%D8%A7%D8%AC%D9%-87%D8%A9%20%D8%AA%D8%AD%D8%AF%D9%8A%D8%A7%D8%AA%2%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%85%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%82%D8%A7%D9%81%D9%8A%20%D9%88%D8%A7%D9%84%D9%8-1%D9%83%D8%B1%D9%8A%20%D9%81%D9%8A%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%8A%D9%86%20%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A%20%D9%88%D8%A7%D9%84%D8%5-%D8%B3%D9%84%D8%A7%D9%85%D9%8A.pdf?sequence=1&isAllowed=y

16. محافظة، سامح. (2007). أثر العولمة والمعلوماتية في الأنظمة التربوية العربية. متوافرة على الرابط التالي: https://sites.google.com/site/socioalger1/lm-alajtma/mwady-amte/athr-alwlmte-walmlwmatyte-fy-alanzmte-altrbwyte-alrbyte

17. منظمة الأمم المتحدة للتربية والعلوم والثقافة. (2014). التقرير الإقليمي للتعليم للجميع الخاص بالدول العربية للعام 2014. متوافر على الرابط التالي: http://www.unesco.org/fileadmin/MULTIMEDIA/HQ/ED/ED_new/pdf/GEM2014ARBRegionalRpt_ARB.PDF

18. المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم. (2016). النشرة الإحصائية للمرصد العربي للتربية. العدد 1. متوافرة على الرابط التالي: https://www.alecso.org/marsad/site/wp-content/uploads/2016/01/%D8%A7%D9%84%D9%86%D8%B4%D8%B1%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%A5%D8%AD%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D9%8A%D8%A9-%D9%84%D9%84%D9%85%D8%B1%D8%B5%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%B1%D8%A8%D9%8A-%D9%84%D9%84%D8%AA%D8%B1%D8%A8%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B9%D8%AF%D8%AF-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D9%88%D9%84-%D9%84%D8%B3%D9%86%D8%A9-2016.pdf

19. نزاري، صفية. (2011). الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي في ظل تنامي العولمة: دراسة مقارنة لحالات الجزائر- تونس- المغرب. مذكرة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في العلوم السياسية تخصص علاقات مغاربية ومتوسطية في التعاون والأمن: جامعة الحاج لخضر- باتنة، الجزائر، كلية الحقوق، قسم العلوم السياسية. متوافرة على الرابط التالي:- file:///C:/Users/salhusseini/Downloads/dr%2%D9%86%D8%B2%D8%A7%D8%B1%D9%8A%20%D8%B5%D9%81%D9%8A%D8%A9.

pdf
Bainbridge، R; McCalman، J; Clifford، A &.20 Tsey، K. (2015). Cultural competency in the delivery of health services for Indigenous people. Australian Institute of Family Studies. .www.aihw.gov.au/closingthegap
Bouchat، C. (2010). Security and stability in.21 Africa: a development approach http://www. StrategicStudiesInstitute.army.mil
Han، L. (2014). Chinese cultural security.22 in the information communication era. Focus Asia: Perspective & Analysis. Issu 6. Pp 1-6. Available on line: http://isdp.eu/content/uploads/publications/2014-lin-han-chinese-cultural-security-information-communi- .cation-era.pdf
Kaul، V. (2012). Globalisation and crisis of.23 cultural identity. Journal of Research in International Business and Management (ISSN: 2251-0028) Vol. 2(13) pp. 341-349، Special Review. Available on line: @http://www.interesjournals.org/JRIBM
Livingstone، R. (2014). What does it.24 mean to be culturally competent? Available on line: https://wehearyou.acecqa.gov.au/2014/07/10/whatdoesitmeantobecultur- /allycompetent
Menon، J. (2006). Globalisation and educa-.25 tion: an overview. Pontifical Academy of Social Sciences، Extra Series 7، Vatican City 2006. Available on line: www.pass.va/content/dam/ scienzesociali/pdf/es7/es7-menon.pdf
Nemeth، Erik (2007). Cultural Security:.26 The Evolving Role of Art in International Security. Terrorism and Political Violence Vol. 19 ، .Issue. 1، pp . 19-42

جدلية الأمن الثقافي وهوية الأوطان . . .
التحدي والاستجابة

Controversiality of Cultural Security and Home Identities:Challenge and Response

أ.م.د قاسم الشيخ بلحاج
الجزائر/ جامعة الجزائر / كلية العلوم الإسلامية /
قسم أصول الدين والعقيدة
Prof.Dr. Qassim Al-Sheikh Balhaj, Algeria

ملخص البحث:

إن الأحداث المتسارعة التي تشهدها الحياة البشرية في القرن الواحد والعشرين على مختلف الأصعدة جعلت الكثير من الدعائم الاجتماعية للشعوب في محك حقيقي وفي معركة وجود أو عدم، وإن هذا العالم المتفتح اليوم يدفع بالبشرية أن تعيش فيما يشبه المجتمع الواحد والقرية الواحدة، التي يحاول أن تذاب فيها كل الخصوصيات، وتمحى كل المميزات والفوارق بين الأفراد؛ ليتحول الإنسان إلى صورة نمطية لفلسفات ورؤى غربية، وليتحول إلى إنسان شبيه بالآلة وبالحيوان المستهلك، أو الإنسان المخدر الفاقد للوعي، المستسلم لكل الإملاءات والخطط التي ترسم له.

تحاول القوى العالمية الكبرى في معركة صراعها على الوجود والبقاء والهيمنة والحفاظ على مصالحها أن تنال من المجتمعات والشعوب الأقل منها قوة، والمخالفة لإديولوجياتها أن تستهدفها فكريا وثقافيا واجتماعيا؛ حتى تتمكن بعد ذلك من استهدافها سياسيا وعسكريا واقتصاديا. في أجواء هذا الصراع العالمي المرير والحامي الوطيس تتعرض هويات الشعوب ـ التي تريد أن يكون لها كيان خاص وتميز حضاري، والتي على رأسها الشعوب العربية الإسلامية ـ لضربات شديدة وهزات عنيفة تستهدف أبعاد الهوية لديها المتمثلة أساسا في دينها وقيمها وأخلاقها وأعرافها وتقاليدها وعمرانها ورصيدها الحضاري. في ظل هذا التطور الإعلامي والتكنولوجي الهائل الذي يطبع الحياة البشرية اليوم يصبح طرح موضوع الأمن الثقافي بالغ الأهمية، بل هو يدق ناقوس الخطر منبها على خطورة انهيار المجتمعات وتدهور الثقافات وانتهاء الحضارات، ويفرض نفسه على الدول والحكومات والشعوب والمجتمعات المدنية لتلتفت إليه وتولي له كل الاهتمام ويكون عامل قوة في سياسات الدول التي تحترم نفسها وتعرف قدر أوطانها وتريد أن يكون لها قدم في مستقبل أيامها. في ظل هذه الأجواء يصبح التخطيط للأمن الثقافي في مقام التخطيط للأمن السياسي والأمن الغذائي، وينبغي أن ينظر إليه باعتباره سلاحا متطورا وجدارا متقدما في مواجهة المخاطر الخارجية المحدقة بالأوطان. وإن أي تهاون أو عدم مبالاة به يمكن أن يصنف في خانة العمل على هدم الأوطان وتفتيت الشعوب.هكذا أضحى الأمن الثقافي أحد الميادين التي تدار فيه المعارك الحضارية الكبرى، وتتصارع فيه القوى العالمية من أجل البقاء.

تحاول هذه الورقة البحثية تحليل ومناقشة جدلية الأمن الثقافي والحفاظ على هوية الأوطان، والتجاذبات الفكرية الموجودة حول هذا الموضوع، ثم كيف يجب أن تعمل الشعوب العربية والإسلامية من خلال نخبها لتأمين أمنها الثقافي والحفاظ على هويتها في أبعادها المختلفة، وبذلك التصدي لمؤامرات العولمة والتغريب والمسخ الحضاري.

Abstract:

Great international powers , in pursuance with their resistance to dominate , to monopolize and maintain their benefits , endeavour to defeat less armored communities and nations than them and having a different ideology ,target them intellectually , educationally and socially and take seizure of them politically , militarily and economically . In the welter of this malignant human international conflict the identity of the nations , desiring to have entity and civilization ; the Islamic Arabic nations , confront seismic strokes to denude them of the identity of religion, values, ethics , norms, traditions, architecture and civilizational accumulative experience. However the cultural security is considered to be a field of these civilizational battles .The current paper dissects the controversiality of the cultural security into its mere bones to preserve the home identities and tackles the present intellectual struggle concerning this issue , how the Islamic Arabic nations maintain their identity through the vanguards confronting the conspiracy of globalization, Westernization and civilizational effacement with delimiting controversies and suggesting remedies.

إشكالية البحث:

تطرح هذه الورقة البحثية الإشكالية الآتية:

في ظل هذا العالم المتغير الذي أصبح فضاء مفتوحا وقرية واحدة لحركة الأفكار وصراعها، وفي ظل الانفجار الإعلامي الغربي من طريق قنوات الإعلام والنت وشبكات التواصل الاجتماعي يطرح التساؤل الآتي:

ـ ما أثر هذه المستجدات على تهديد الأمن الثقافي للشعوب العربية الإسلامية ؟

ـ كيف السبيل للحفاظ على هويات الشعوب العربية الإسلامية وحماية موروثها الثقافي وقيمها الدينية لتحقيق أمنها الثقافي؟

ـ ما وسائل وآليات التصدي والمجابهة ورفع التحدي أمام هذه الهجمات الفكرية الشرسة على المرجعيات الوطنية ؟

ـ محاور البحث:

للإجابة عن هذه الإشكاليات والتساؤلات تتناول الورقة البحثية المحاور الآتية:

١ ـ مفاهيم الأمن الثقافي ومصطلحاته:

٢ ـ ركائز الأمن الثقافي

٣ ـ التحديات المعاصرة للأمن الثقافي للأوطان العربية الإسلامية

٤ ـ رفع التحدي وآليات الاستجابة

١ ـ مفاهيم ومصطلحات الأمن الثقافي:

أ ـ مفهوم الأمن الثقافي:

تعد الحياة الثقافية لدى الشعوب والأمم مظهرا حيويا مهماً من مظاهر الحضارة لديها، وانعكاسًا لمعنى الحياة في مراحلها المختلفة وشكلها المتغير من مكان لآخر، ويمكن اعتبارها قوة فعالة في شؤون الأمم وعلاقات الشعوب فيما بينها، فهي المفهوم الأوسع لأنماط من الحياة وممارساتها اليومية وسلوكاتها الاعتيادية، فهي تتضمن أعمالا وفنونا وحرفا ومهارات تعكس وجه الحضارات وفكر الشعوب المبدع، وتميز بعضها من بعض، وترسم خصوصياتها وبصمتها في مجالات الحياة المختلفة[١].

نلاحظ هذا التميز وهذه البصمة الحضارية في متاحف هذه الشعوب وآثارها ومساجدها ومعابدها وفنونها وأعرافها وتقاليدها.

وتتجلى أوجه هذه الثقافة في وسائل الإعلام المختلفة التي تعد رافدا مهماً في إبراز أوجه الثقافة، وتعد مؤثرا قويا في رسم سياسات الشعوب وتخطيط مستقبلها، لذا حق للثقافة أن تسمى السجل الأول الذي تدون فيه الأمم تاريخها وتحفظ فيه الشعوب هويتها.

فكيف يتسنى صيانة هذا الموروث الحضاري للأمم الذي يسمى الثقافة، إنه الأمن الثقافي، الذي نريد أن نعرف مفهومه ومعناه:

الأمن الثقافي مصطلح مركب مكون من كلمتين الأمن والثقافة، مما يقتضي توضيح كل معنى على حدة ثم توضيح المعنى المركب للمصطلح.

ـ مفهوم الأمن: هو حالة نفسية يشعر فيها الإنسان بالطمأنينة والاستقرار والسلامة على ضروريات الحياة لديه المتمثلة أساسا في الأمن على نفسه ودينه وعرضه وماله ووطنه.

وعرف كذلك بكونه: الحال التي يكون فيها الإنسان مطمئنا على نفسه، مستقرًا في وطنه، سالمًا من كل ما ينتقص دينه، أو عقله، أو عرضه، أو ماله[٢].

ـ مفهوم الثقافة: عرفت الثقافة تعريفات عديدة نذكر منها ما يلي:

الثقافة هي ذلك النشاط الفكري والإبداعي في مجالات العلم المختلفة من دين ومعتقدات وفنون وآثار.

والثقافة هي النشاط الفكري والفني للأعمال المنتجة من جهة المعتقدات والفنون والعادات والآثار لمجموعة من الناس في وقت ما عبر مراحل التاريخ.

ولنا أن نعود إلى المفكر العربي المسلم الباحث في شؤون الحضارة لننظر في تعريفه للثقافة.

يرى الأستاذ مالك بن نبي أن مفاهيم الثقافية يمكن لها أن تتعدد وتختلف باختلاف الإيديولوجيات السياسية والاجتماعية والاقتصادية للجهة المعرفة للثقافة.

ففي الغرب الرأسمالي عرفت الثقافة بأنها فلسفة الإنسان وتراثه، فهي مربوطة بوظيفته في الوجود.

أما في الغرب الاشتراكي فعرفت الثقافة لديهم بأنها فلسفة المجتمع، فربطت بعلاقتها الأولى بالمجتمع باعتباره هو الذي يحدد سياسات الفرد ووظيفته في الوجود.

ثم لاحظ الأستاذ مالك بن نبي أن التعريفات الغربية للثقافة أتت على شكل نظريات في المعرفة أكثر من كونها سلوكا ملزما لحياة الفرد وأداء المجتمع. مما جعله يتولى نقدها، وينص على أن تعريف الثقافة ينبغي أن يكون دالا على الفرد وعلى شخصيته أكثر من فكره[٣]. فاهتدى إلى وضع مقترحه في الثقافة بكونها:

« مجموعة من الصفات الخلقية والقيم الاجتماعية التي تؤثر في الفرد منذ ولادته وتصبح لا شعورياً العلاقة التي تربط سلوكه بأسلوب الحياة في الوسط الذي ولد فيه»[٤]

والثقافة على هذا الأساس هي ذلك المحيط الذي يشكل فيه الفرد طباعه وشخصيته.

ثم يرى الأستاذ مالك بن نبي أن الثقافة تنبني على أربعة عناصر أساسية بإمكانها العمل على إنشاء الصلات الثقافية في أي مجتمع، وتكوين الفرد الفعال، وعلى المجتمع أن يسعى جاهدا لتكريس هذه القيم الجوهرية في الواقع وتحويلها إلى سلوك ويلتزم بها سائر الأفراد في حياتهم[٥]، وهي متمثلة فيما يلي:

المبدأ الأخلاقي الذي به يتم تكوين الصلات الاجتماعية

المبدأ الجمالي الذي به يتم تكوين الذوق العام للمجتمع

المنطق العملي الذي به يتم تحديد أشكال النشاط العام في المجتمع

الصناعة التي بها يتم تكوين الفنون التطبيقية الملائمة لكل فرد في المجتمع، ويقصد بها الحرف والصنائع والفنون والعلوم التي ترسم المشهد الاجتماعي العملي العام(٦).

هذه هي خلاصة نظرية الأستاذ مالك بن نبي حول الثقافة، ولا تزال مفعمة بالحيوية والجدة ومواكبة العصر في المجال الجغرافي للبلاد العربية والإسلامية لكونها نابعة من عمق هذا الفضاء.

هذا عن مفاهيم الثقافة، فماذا عن مفاهيم المصطلح المركب: الأمن الثقافي ؟

لنا أن نقر أن طرح هذا المصطلح وتناول هذا المفهوم وتداوله في الأوساط العلمية والإعلامية والسياسية هو أمر حادث لم يكن معهودا من ذي قبل، وهو نتاج الانفجار الإعلامي وظاهرة العولمة التي عرفتها المعمورة مع نهايات القرن العشرين وبدايات القرن الواحد والعشرين.

لقد كان قبل ذلك لكل وطن ثقافته وهويته وموروثه الحضاري الذي يختص به ولا ينازعه فيه أحد، وتعيش هذه الهويات في نطاق حدود الأوطان، ولم يكن المشكل مطروحا بصورة يتهدد به المكتسب حتى يحتاج إلى تأمينه أو حمايته.

حتى شعر أصحاب الأوطان وقياداتها السياسية والفكرية بالمخاطر الداهمة لأمنهم الثقافي مما يشاهدونه من تغيرات متعددة على أنماط الحياة لديهم ولدى أجيال الشباب لديهم في كل مجالات الحياة المختلفة.

فكان ظهور هذا المصطلح وتداوله ومحاولة وضع تعاريف ومفاهيم له:

الأمن الثقافي هو قدرة المجتمعات والدول على تحقيق الإشباع الذاتي الداخلي من الحاجات الفردية والجماعية الثقافية وقدرتها على صيانة الموروث الثقافي الوطني وحمايته، وقدرتها على تفعيله وتجديده وتنقيحه مع بقية الثقافات بما يحقق الأصالة والثبات على الأصول، والتفتح على العصر في مجال الدين والأخلاق والقيم والعادات والتقاليد والتراث والعمران، وكل ما يمكن أن يمثل هوية المجتمع وحضارته وخصوصيته(٧).

ومما يمكن أن يلاحظ على هذا التعريف ويوحي به ظاهره أن البحث والتنظير للأمن الثقافي محاولة للجمع بين أمرين متناقضين أو متضادين، مما لا يتسنى الجمع بينهما.

ذلك لكون الثقافة تستند في أصولها إلى الإبداع والحرية والانفتاح والتفاعل مع الآخر، في حين أن مصطلح الأمن يوحي بعكس ذلك؛ فهو يحاول الحماية والانكماش والانغلاق والانكفاء على الذات ودفع الغريب ومحاربته والتوجس منه.

من الواضح أن هذا الملحظ في تعريف المصطلح المركب للأمن الثقافي مراد ومقصود ومتضمن، فيكون توضيح المسألة ورفع إيهام التعارض من خلال بيان أن الثقافة فعلا بحاجة إلى حماية حتى تكون موروثا حضاريا إيجابيا نافعا، ولا تتحول إلى سرطان في جسم الأمة تضره وتنخر قواه من الداخل وتهدم كيانه إن هي تركت دون صيانة وحماية.

إذن : نسجل بكل وضوح وتأكيد أنه لا بد من أمن لثقافتنا في هذا العالم القرية المتلاطم الأمواج.

ويحق لنا مقارنة حماية ثقافتنا والعمل على تأمينها بما هو منتهج في سياسات الدول التي تحترم نفسها من حماية لأمنها الجغرافي والاقتصادي والغذائي وثرواتها الطبيعية.

فكل الدول تتخذ استراتيجيات لحماية حدودها وغذائها ومائها وثرواتها ومواردها، وتحسن استغلالها والتصرف فيها يعود بالنفع عليها وعلى مواطنيها وأفراد شعبها.

لا أحد يتهم دولة بالانكفاء على نفسها حين ترسم سياساتها على مقتضى استراتيجية الأمن الاقتصادي والغذائي؛ فدعوتها إلى الأمن على هذا المستوى مشروعة، ولأن الأمن الاقتصادي والغذائي يحميها من التبعية ورهن قراراتها السياسية، أو الحد منها، ويعزز استقلالها الوطني واستقلال إرادتها. فقياسا على هذا الحرص في توفيق أمن الشعوب السياسية والاقتصادية يشرع الحرص في توفيق الأمن الثقافي والسعي فيه؛ مما يحمي الشعوب من التبعية والارتهان لجهات خارجية.

إن مفهوم التبعية لا يعني بالضرورة عدم الانفتاح على الآخر والانتهال منه والتثاقف معه، كما أنه لا يعد التعاون مع الآخر في مجال الاقتصاد والغذاء وتبادل المنافع ارتهاناً للآخر والعيش على منتوجه، والتوقف عن إنتاج ما يشبع الحاجات الوطنية والضروريات العصرية. وإنما تحكم في زمام الأمور وتوجيه للقرار الثقافي والقرار الاقتصادي إلى ما يخدم مصالح الدولة والشعب، ويحفظ هويتها ومواردها ومكاسبها الحضارية[٨].

ب ـ هوية الأوطان:

بلا شك أن هذا العالم البشري يتكون من شعوب وأجناس وعرقيات وأديان وهذه سنة الله تعالى في الخلق عندما خلقهم شعوبا وقبائل، وجعل من آياته الدالة على وجوده اختلاف ألسنة البشر وألوانهم.

يقول الله تعالى : (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِير) [الحجرات: ١٣]

ويقول تعالى أيضا: وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِلْعَالِمِينَ [الروم: ٢٢]

مع مرور الأزمان وتفاعل التاريخ مع الجغرافيا أصبح لكل وطن بصمته وخصوصيته ومميزاته، تتشكل منها هويته وأصالته وبطاقة تعريفه؛ هذا الذي يمكن أن يسمى معالم الهوية الوطنية أو بطاقة تعريف الشخصية القومية.

يمكن لنا أن نعرف هوية الأوطان بما يلي:

هي تلك الخصائص والمميزات الحضارية القائمة على الدين واللغة والعرق والموروث الثقافي من الأعراف والعادات والفنون، التي تطبع حياة الناس في وطن من الأوطان ومجتمع من المجتمعات.

٢ ـ ركائز الأمن الثقافي:

نستطيع القول إن الأمن الثقافي لا بد له من مناخ ملائم ومن جو مناسب يحيا ويعيش فيه ويتفاعل؛ تكون مكوناته أصيلة داخلية وطنية أو إقليمية نابعة من عمق خبرات وتجارب أولئك الناس المتراكمة عبر قرون من الزمن، مما يشكل منظومة ثقافية متكاملة محددة المعالم.

تتشكل هوية الشعوب في أوطانها من عناصر وثوابت أساسية مستمدة في تفاعل التاريخ مع الجغرافيا مع حركية الإنسان فيهما. وحينما نتحدث عن الشعوب والمجتمعات العربية الإسلامية التي هي محل دراستنا فإننا نستطيع تحديد مرتكزات هويتها في العناصر الآتية:

ـ الدين الإسلامي بالمعنى الشامل لكل مناحي الحياة الإنسانية، فهو ذو بعد إيماني عقدي، وبعد عملي شرائعي، وبعد أخلاقي سلوكي[٩].

ـ الوطن: وهو هذه الجغرافيا التي عاش فوقها هذا الإنسان وتفاعل مع مناخها وبيئتها وفلسفتها في الوجود فصنع مظاهر الحياة لديه[١٠].

ـ اللغة العربية التي تعد مقوما أساسيا ثانيا لهذه الأمة فهي لسان حضارتها عربيا، امتزجت فيها اللغة بكل مناحي الحياة وأنتجت مظاهرها بالارتباط بهذا اللسان.

ـ الحضارة بالمعنى الواسع التي تعني كل ما أنتجه هذا الإنسان الذي يعيش فوق هذه الأرض من فنون وعلوم وتراث وثقافات وأعراف وتقاليد.

لعل هذه أبرز دعائم هذه الأمة وركائزها في تشكيل هويتها وشخصيتها وتحقيق أمن ثقافي لها. وإن صيانة هويات الشعوب العربية الإسلامية تتمثل في حفظ كياناتها وحفظ مرجعياتها الدينية والاجتماعية والسياسية، وحفظ مقدراتها وثرواتها وفضائها الجغرافي.

تتشكل الحضارة الإنسانية التي تميز الشعوب بعضها من بعض من تراكم هذه الأجزاء من الهوية ومن تفاعلها عبر التاريخ مع الجغرافيا مع حركية الإنسان فوق هذه الأوطان.

لقد عرف العلماء الحضارة الإنسانية تعريفات متعددة، بحسب المرجعيات الفكرية والخلفيات المعرفية لكل واحد منهم، ومدارها على أنها كل ما ينتجه عقل الإنسان من فنون وعلوم وآداب وفلسفة وتشريع، مع القدرة على الاستفادة منها وتحويلها إلى سلوك وثقافة.

ولنا أن نقف مع تعريف الأستاذ مالك بن نبي باعتباره مفكرا عربيا مسلما معاصرا ينتمي إلى هذه الأمة ويعبر عن حضارتها.

يرى أن «الحضارة هي نتاج فكرة جوهرية تطبع على مجتمع في مرحلة ما قبل التحضر الدفعة التي تدخل به التاريخ» ومن هذا المنطلق فإن معنى التحضر هو أن يتعلم الإنسان كيف يعيش في جماعة، وأن يدرك شبكة العلاقات الاجتماعية في تنظيم الحياة الإنسانية من أجل وظيفتها التاريخية، كما أنها جملة العوامل المعنوية والمادية التي تنتج لمجتمع ما أن يوفر لكل عضو فيه جميع الضمانات الاجتماعية اللازمة لتطوره.

ويرى أن «قيام أي حضارة لا يكون إلا بتوفر مجموع الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقسم لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار وجوده منذ الطفولة إلى الشيخوخة المساعدة الضرورية له في هذا الطور أو ذاك من أطوار نموه»[١١].

٣ ـ التحديات المعاصرة للأمن الثقافي للأوطان العربية الإسلامية

ما استعرضناه سالفا من المظاهر الإيجابيات والمفاهيم العميقة التي تزخر بها أمتنا مما يمكن أن نسميه بالقوى الناعمة للأمن الثقافي الفكري هو الركن الركين الذي نأوي إليه في أوقات المخاطر والليالي الحالكات. إلا أننا نسجل ـ بكل أسف ـ الاختراقات القوية والتشققات العميقة التي بدأت تطرأ على هذه المنظومة الفكرية المتراصة، وهذه القاعدة الحضارية الصلبة، ذلك بالتهديدات الداخلية والخارجية الحادثة.

مما يلزمنا أن نواجه حقيقتنا ونطرح التساؤل الصريح على أنفسنا :

فيم تكمن تهديدات وتحديات أمننا الثقافي وما السبل لمعالجتها قبل فوات الأوان ؟

ولنا أن نسجل ايضاً أن هذه المنظومة الثقافية للأوطان العربية الإسلامية ما تزال مجسدة على أرض الواقع ملتزماً بها ومحافظاً عليها بنسب متفاوت من بلدة إلى أخرى ومن موطن إلى آخر، وهي مرهونة بعوامل أخرى يأتي على رأسها الاستقرار السياسي للأوطان وتشبث الشعوب بهويتها وقناعتها بمكامن القوة الحضارية لديها.

في حقيقة الأمر لقد عاشت الشعوب العربية الإسلامية في الفترة الاستعمارية في القرن العشرين محاولات كثيرة جادة وخطيرة لخرق أمنها لثقافي وتشويه هويتها وشرخ شخصيتها والقضاء على مكامن القوى الناعمة لديها[١٢]، لكنها ثبتت وتصدت وتحملت وتأقلمت ثم انتصرت في الأخير على هذه المستعمرات سياسيا وعسكريا وحضاريا، فطردتها من أوطانها ونالت استقلالها وعززت وحدتها وبنت أوطانها، وعملت على مسح الآثار السلبية لتلك السياسات الاستعمارية البائسة[١٣].

إلا أن المعركة مع هذه القوى الغربية العالمية الكبرى لم تنته ولن تنتهي حسب ما يبدو لأن الصراع والتدافع بين الأمم والشعوب والحضارات سنة إلهية كونية في عالم البشرية.

يقول الله تعالى: « وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ» سورة هود، ١١٨ ـ ١١٩. ويقول تعالى أيضا: «وَلَوْلَا دَفْعُ اللهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَكِنَّ اللهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ» سورة البقرة، ٢٥١

فما التحديات التي تهدد الأمن الثقافي للشعوب العربية الإسلامية ؟

أ ـ العولمة والغزو الإعلامي:

إن ما أضحت عليه حياة البشرية اليوم من مشهد التدفق الإعلامي الهائل عبر وسائل الإعلام المختلفة المقروءة والمسموعة والمرئية ووسائل التواصل الاجتماعي و«النت» أصبح مظهرا معاصرا لحياة الأفراد لا يستطيعون الانفكاك عنه ولا الاستغناء، وأصبح أمرا حتميا لا مفر منه تتوقف عليه حياة البشر ويؤثر فيها بأشكال وصور مختلفة.

ويبدو من الواضح أن العالم الغربي المتفوق والمتحكم في زمام هذا المجال والمهيمن عليه استطاع أن يسخره لخدمة مصالحه وتحقيق مآربه، فأصبح شكلا معاصرا لغزو أوطاننا واختراق حدودنا، والدخول إلى عقر ديارنا والتأثير في المنظومات الثقافية لشعوبنا ومجتمعاتنا. حتى وجدنا أنفسنا أمام تحد عظيم وخطر داهم متمثل في فرض منظومة قيم وثقافات مخالفة لما لدينا بل معاكسة لها وهادمة لها[١٤]، هذه أهم معالمها:

ـ ازدراء الأديان ودعوات الإلحاد والتنصل من أي ارتباط بخالق الوجود

ـ نصرة القيم المادية والسعي إليها بكل الوسائل بقاعدة: الغاية تبرر الوسيلة.

ـ الانفلات الأخلاقي والانحلال القيمي بلا أي ضوابط أو حدود.

ـ العبودية للشهوات والملذات والرغبات الجامحة من دون أي ضوابط أو حدود

ـ دعوات الحرية بلا ضوابط أو حدود، على حساب حريات الآخرين وحقوقهم.

ـ تحويل الإنسان إلى شبيه آلة، وإلى مثيل حيوان، همه إشباع الرغبات واللهث وراء الماديات.

عندما جابهنا الإعلام الغربي بهذه المفاهيم والقيم المخالفة لموروثنا الحضاري ومنظومتنا الثقافية شعرنا بأننا أصبحنا مستهدفين في هويتنا ومهددين في شخصيتنا.

وفي ظل الترهل الموجود على مستوى مؤسساتنا الاجتماعية المختلفة من أسرة ومدرسة ومسجد حصل ما يمكن أن يسمى بالاختراق الثقافي والحضاري لشعوبنا وكانت مظاهره على أرض الواقع ذلك التقليد الأعمى لهذه الدول في ثقافاتها وتصوراتها وسلوكاتها المشينة، فظهر في أوساطنا من يتبنى تلك الطروحات ويدافع عليها ويعمل على تكريسها في المجتمع وفي المقابل يهدم الموروث الحضاري الأصيل لأمتنا.

ب ـ الغزو الفكري :

يعد الغزو الفكري وجها آخر من التحديات والاختراقات التي تشهدها البلاد العربية الإسلامية، ويعد تهديدا لأمنها الثقافي، ومفاده صراع الأفكار الذي هو مظهر معاصر من مظاهر الحياة توظف فيه وسائل الإعلام المختلفة السالفة الذكر. حيث هنالك مخابر ومنتديات غربية شغلها الشاغل إدارة معارك فكرية حامية الوطيس تهدد كيان حضارتنا في أبعادها المختلفة من أهم مظاهرها ما يلي:

ـ طرح قضايا الدين وأصوله في العقيدة والشريعة والأخلاق في المزاد الثقافي المفتوح بلا ضوابط ولا تخصص علمي، وإثارة الشبهات حولها بأساليب التشكيك والتسفيه. مثل قضية وجود الله تعالى[١٥]، والنبوات والوحي والمقدسات، وقضايا الإلحاد والحريات والجنس والزواج، والأخلاق والضوابط الاجتماعية[١٦].

ـ طرح قضايا الأوطان والمرجعيات ونظم الحكم والسياسات والديمقراطية. دون مراعاة طبائع الشعوب وخصوصياتها وأوضاعها المعيشية والاقتصادية وتركيباته الاجتماعية.

ـ طرح قضايا المجتمع والحقوق الفردية والجماعية من المواطنة والتعايش والحريات والمسؤوليات والحقوق والواجبات المتبادلة. دون مراعاة المنظومات الثقافية والمرجعيات الدينية التي تضبط هذه الجوانب من حياة المجتمعات[١٧].

إن التناول غير المنضبط لمثل هذه القضايا هدد أمننا الثقافي من جانبين:

ـ عدم استعداد مجتمعاتنا وعدم تأهيلها لمسايرة هذا الخطاب الإعلامي، وإدراك الفوارق بين المجتمعات والثقافات.

ـ تبني أطروحات لا تستند إلى مرجعياتنا وتراثنا وحضارتنا وديننا وثقافتنا.

ج ـ الاستلاب الحضاري أو القابلية للاستعمار:

نقصد بالاستلاب الحضاري هي تلك الحالة التي تشعر بها شريحة هائلة من أفراد شعوبنا العربية الإسلامية من الدونية والنقص والانبهار أمام كل ما هو قادم من بلاد الغرب من منتوجات حضارية، والشعور بقوتها وتفوقها علينا في مجالات الحياة المختلفة؛ دون البحث أو الإدراك للأسباب الحقيقية وراء

ذلك، ودون التمييز بين ما هو خصوصية حضارية يجب الحفاظ عليها وتثمينها وبين ما هو تطور أو تقدم يحمل نفعا وفائدة لأصحابها.

إن تدني مستوى الوعي العام في أفراد الأمة لعوامل مختلفة كان وراء هذا الاستلاب الحضاري والقابلية للاستعمار ووراء الاختراق الثقافي الذي نعيشه يوميا من خلال وسائل الإعلام المختلفة، ومن خلال المنتوجات الاقتصادية والصناعية والتكنولوجية التي غزت ديارنا واحتلت أوطاننا ورسمت صورة التفاوت البين بيننا وبين الحضارة الغربية.

إن للأسفار والرحلات والعلاقات والتواصل الافتراضي دورا مهماً في رسم هذه الصورة من الاستلاب الحضاري والغزو الفكري والانبهار بهذا الغرب، والذي ولد بالمقابل توجيه أصابع الاتهام إلى الموروث الحضاري الداخلي المتمثل في القيم والدين والأعراف والتقاليد على أنه هو السبب فيما نحن عليه من هوان وتخلف وركود؛ فرمي بالتهميش والازدراء والاحتقار، خاصة من الفئات الشبابية المتحررة لدينا. فراحت تقلد الغرب في كل جوانب حياتها دون إدراك أبعاد ذلك التقليد ومخاطره ، فأنتج حالة اجتماعية ونفسية وفكرية تسمى عند المفكر مالك بن نبي بالقابلية للاستعمار[١٨].

مفادها هو وجود الاستعداد الداخلي لتقمص شخصية هذا الغرب والذوبان في منظومته المعرفية والثقافية والتحلي بقيمه السلوكية، والانصياع لسياساته وقبول استعماره وتسليم مقاليد الأمور له في كل جوانب الحياة المختلفة. ويعد هذا الأمر حالة نفسية واجتماعية خطيرة تعاني منه شرائح من الشعوب العربية وهي القابلية للاستعمار ، وهو أمر مهدد للأمن الثقافي.

د ـ تكالب القوى العالمية الكبرى:

أضحى عالمنا اليوم حلبة صراع شديدة تستعمل فيها كل الآليات والوسائل من أجل اختراق الأوطان وتهديد ثقافات الشعوب وهدم الحضارات وتخريب الهويات مما يسمى بالأمن الفكري والثقافي.

من مظاهر التكالب المعاصر عودة الاستعمارات القديمة في أثواب جديدة؛ من ذلك إسقاط الأنظمة وتغييرها بالقوة واحتلال الأوطان ونهب خيراتها وإرساء أنظمة جديدة موالية لها، وبث أفكار الإرهاب والتكفير، وصناعتها في مخابر وتمويل الجماعات الإرهابية ورعايتها والعمل على وجودها على أرض الواقع،

ونشر السموم الأخلاقية والانحرافات السلوكية، وإدخال الأوطان في صراعات داخلية اثنية تهدد كياناتها ولا تسمح لها بالنهوض مرة أخرى. فأصبحت هذه القوى تحارب كل بلد أراد لنفسه نهضة، وتعرقل كل بلد أراد إقامة تنمية حقيقة لأجل اللحاق بركب الحضارة[١٩].

لنا أن نقول إن العالم العربي والإسلامي يعيش فعلا تحديات عظيمة تهدد أمنه الثقافي وقد ظهرت جملة مصطلحات متداولة في الإعلام تؤشر على ذلك وذات علاقة بما نحن فيه كمصطلح: الاختراق الثقافي، والغزو الثقافي، والدفاع عن الثقافة الوطنية، والكلام عن الأمن الثقافي.

إن التأمل في ما ذكر من مصطلحات يوحي بتلك العلاقة المتأزمة والمتصارعة بين الثقافة الغربية والثقافة العربية الإسلامية، كما يوحي بوجود ثقافة في حالة دفاع عن النفس وثقافة في حالة هجوم كاسح مستمر، وأن بينهما حالة شديدة من المواجهة والعراك، وهذا الذي نطلق عليه حماية الأمن الثقافي ونبحث عن سبله ووسائله، وبلا شك أنه أصبح يمثل لونا من ألوان الأمن القومي للأوطان لا يقل أهمية عن الأمن الاقتصادي والأمن السياسي والأمن العسكري.

٤ ـ رفع التحدي وآليات الاستجابة في الحفاظ على الأمن الثقافي للأوطان

إن ما بات يهدد الأوطان في اختراق أمنها الثقافي وهدم كيانها الحضاري أمور عظيمة ومخاطر مستعصية لم يعد من السهل التصدي لها ولا الوقوف في وجهها وإيقاف زحفها، الذي تستعمل فيها وسائل وأسلحة غير متكافئة وتدار بوسائل ومخابر متخصصة.

وهذا يؤدي الى ضرورة طرح انشغال كبير وعميق ينبغي أن تحمل همه كل النخب والقيادات الفكرية والسياسية في الأوطان العربية، وتصرف الأموال والأوقات في سبيل إيجاد الحلول والعلاج له مفاده ما يلي:

ـ كيف السبيل لرفع التحدي، والتصدي لمحاولات خرق الأمن الثقافي للأوطان العربية الإسلامية، وما الآليات التي تحد من مخاطر هذا الزحف ؟

لعل الإجابة عن هذا التساؤل تكمن في عناصر كثيرة أهمها ما يلي:

أ ـ العودة إلى الذات والاعتصام بهوية الأوطان:

لا بد من التأكيد ونحن نستعرض هذا الوضع المؤلم والحالة المتأزمة لتحديات الأمن الثقافي في أوطاننا أن نذكر أنفسنا بما تنطوي عليه شعوبنا من إرث حضاري وثقافي عريق وأصيل وغني، يعد بلا منازع الدعامة الأقوى والركيزة الصلبة والجبهة المتقدمة في الوقوف أمام موجة هذا الصراع الثقافي والحضاري الشرس.

يتمثل هذا الموروث في ذلك الخزين من القيم الحضارية التي تعود إلى آلاف السنين من تراكم للحضارات وانصهار لتجارب الشعوب وتمازج للديانات السماوية واختتامها بديانة سيد المرسلين محمد صلى الله عليه واله وسلم[٢٠].

ويتمثل هذا الموروث في ديننا الإسلامي الحنيف وما يملكه من منظومة فكرية أصيلة عميقة شاملة لكل مناحي الحياة ، تعنى بالفرد في عقيدته ومبادئه وروحه، وتعنى بالفرد في بعده الاجتماعي وتشريعات جوانب الحياة لديه[٢١]، وتعنى بالفرد في بعده التواصلي مع غيره في المجال الأخلاقي وشبكة العلاقات الاجتماعية[٢٢].

لقد عبر عن هذا المجتمع الأنموذجي[٢٣] رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام بقوله: «مثل المسلمين في

توادهم وتراحمهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»، وبقوله عليه الصلاة والسلام كذلك: «المسلم للمسلم كالبنيان المرصوص يشد بعضه بعضا»

وقبل ذلك وصف الله تعالى هذا المجتمع في كتابه العزيز قائلا: «كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ» سورة آل عمران، ١١٠. ودعاها بقوله تعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ» سورة المائدة، ٢.

ويتمثل هذا الموروث في الخزين من العطاء المعرفي والعلمي لهذه الأمة في كل مجالات الحياة من أدب وشعر وحكمة وفلسفة وفقه وأصول ومقاصد وفلك وعلوم تجريبية مختلفة. فشكل هذا الموروث قمة الحضارة الإنسانية عبر قرون من الزمن. وما يزال وقعه في الحضارة المعاصرة واضحا وجليا.

في حقيقة الأمر هذا هو أقوى سلاح وأهم وسيلة تملكها أمتنا في الحفاظ على حضارتها وحماية أمنها الثقافي الفكري ومجابهة كل المخاطر المحدقة به ودفع أي ضرر مرتقب عليه وأنه الحصن الحصين لها؛ هذا الموروث الذي تتشكل منه عناصر الهوية العربية الإسلامية بمختلف أطيافها وألوانها واجتهاداتها ورؤاها القديمة والحديثة تنصهر فيما بينها وفي بعضها البعض لترسم لنا مجتمع التنوع والثراء المعاصر[٢٤].

إن من علامات قوة هذه المرجعية ومتانة هذه الهوية في هذا العصر على الرغم مما تعانيه من اختراقات أنها لا تزال تشكل البعبع المخيف للغرب وحضارته، فهو يتوجس منها خيفة، بل هو يحاربنا كرد فعل عن شعوره بتهديد هذه المرجعية له في عقر داره.

نحن نشاهد ونعاين كيف أن هذه الهوية في أبعادها المختلفة تستطيع أن تخترق منظومات فكرية أخرى وعلى رأسها الغربية، فتتموقع في أوساطها وتؤثر في أفرادها وتصنع مشاهد من مجريات الحياة اليومية وتغير من سلوكيات الأفراد وصور المجتمعات، ويحسب لها ألف حساب في الأحداث السياسية والاجتماعية الكبيرة.

إذن المطلوب منا أمام هذه التحديات العود إلى أنفسنا وإلى تراثنا وحضارتنا لاستلهام مكامن القوة فيها والاعتصام بثوابتها والعمل على الاجتهاد في متغيراتها حتى تقدم في ثوب جديد لشبابنا وللأجيال الصاعدة في الأمة.

ب ـ الانفتاح الواعي على الثقافات الأخرى:

إن تأكيدنا العودة إلى الذات والاعتصام بالهوية لا يعني أبدا الانكفاء عليها وغلق الباب على الوافد والرافد، لأن من سنن الله في الخلق التجدد والتطور في كل مجالات الحياة

إنّ الثقافة في حقيقتها وفي معناها الشامل أشبه ما تكون بالصرح الشامخ الذي يحتاج الى صيانة وتشغيل مستمرين حتى يحافظ على نقاوته ووضاءته، وهي كائن حيوي معقد يتألف من أجزاء عديدة متكاملة ومرتبطة ومتشابكة ويؤثر بعضها في بعض، والثقافة عبارة عن عملية مستمرة لا تتوقف عند حد أدنى تكتفي بتوفيره للناس، وإنما تعمل على تهيئة الأرضية لعملية انطلاق ثقافي جديد، تأخذ من الموروث الثقافي الماضي والحاضر، ثم تنفتح على الثقافة المعاصرة للاستفادة منها والتفاعل معها[٢٥].

فالأمن الثقافي لا يعني بأي شكل من الأشكال الانغلاق الداخلي والانطواء والتقوقع وعدم التكيف مع المستجدات والمتغيرات ومنجزات العصر، والاحتماء تحت متاريس الماضي وغلق الأبواب والنوافذ أمام مشاهد ومظاهر الثقافة المعاصرة، بل يعني الاعتزاز بالذات الحضارية والاعتصام بالموروث الأصيل مع التفتح على الآخر الجديد والاستفادة من منجزات العصر[٢٦].

ومن ثم فإن تحقيق الأمن الثقافي وصيانته واستمرارية الفعل الاجتماعي يتأتى بالثقة في النفس والتفاعل الإيجابي الواعي مع منجزات العصر .

من صور هذا التفتح الواعي على الثقافات والأفكار الاستفادة من نتائج البحوث والدراسات والتطبيقات والقوانين ونشاط المجتمع المدني الغربي وما وصل إليه في مجالات حقوق الإنسان ورعاية الطفولة وصون الأمومة، وتصحيح التصورات حول المرأة، والمساواة والعدل بين المواطنين في حقوقهم الاجتماعية، ونشر ثقافة السلم والأمن والتعايش ومحاربة ثقافة القهر والظلم والتعدي والهيمنة والإقصاء والمحسوبية والجهوية والعرقية والطائفية[٢٧].

وجعل الإنسان يشعر بكرامته، ويشعر بإنسانيته باعتبار ما يقدمه من أعمال للصالح العام، ونشر ثقافة حب العمل والعطاء والعيش بجوار الآخر على الرغم من الاختلاف معه سياسيا أو دينينا أو عرقيا أو مذهبيا.

كل هذه القيم الثقافية أصبحت واقع حال في المجتمعات الغربية، وتحولت إلى سلوكيات يومية في حياة

هؤلاء الناس؛ وهي في حقيقة الأمر كانت موجودة في ثقافتها وتراثنا، ثم اندثرت ونحن مطالبون بإحيائها من جديد، وغرسها في الأجيال الصاعدة؛ والاستفادة مما عليه الثقافة الغربية في جوانبها الإيجابية، ومن مظاهر الانفتاح الواعي على هذه الثقافة وحضارتها.

ج ـ دور النخب والقيادات:

تتصدر النخب والقيادات في المجتمعات التي تحترم نفسها المشهد الحضاري العام سياسيا واجتماعيا وثقافيا، فتقود القاطرة إلى الأمام فيما فيه خير وفلاح شعوبها، وما يعود عليها بالنفع في حاضرها ومستقبلها، وتعمل على تنبيهها على ما يمكن أن يضرها أو يشكل خطراً عليها في هويتنا وثقافتها ومقدساتها ومقدراتها.

إن الشعوب العربية الإسلامية تمتلك قيادات ونخبا نوعية راقية في كل مجالات الحياة الفكرية والدينية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من المجالات الحيوية.

إن هذه الأدمغة الجبارة والكفاءات العالية التي تخرج الكثير منها في الجامعات العربية، وتخرج بعضها في معاهد وجامعات غربية تملك كل المؤهلات والقدرات لتقود هذه الأمة إلى بر الفلاح وساحل النجاة[٢٨].

يتمثل دورها أساسا في هذا العصر الذي يشهد كل تلك الرهانات التي أشرنا إليها سالفا في الاستجابة لتحديات الأمن الثقافي من جوانب عديدة نذكر أهمها:

ـ التمثيل الحقيقي الواعي لضمير الأمة وقلبها النابض وهويتها المتميزة، بحمل همومها والتعبير عن آلامها وآمالها.

ـ مناهضة الفكر الغربي الدخيل المنحرف الذي يعمل على اختراق الأمن الثقافي للأوطان.

ـ حماية الأمة من كل المخاطر الفكرية والحضارية التي تهدد كيانها الحضاري

ـ حمل راية تكوين الجيل الناشئ من الشباب وتثقيفه وتعليمه

ـ رفع مستوى الوعي العام في الأمة بتحدياتها وتوجيهها إلى الطريق الصحيح للنهوض بأوضاعها.

ـ وضع الخطط والبرامج والمقررات والسياسات والاستشرافات المستقبلية لهذه الأمة في مجالات الحياة المختلفة.

د ـ دور المؤسسات والهيئات الرسمية:

إن الأمن الثقافي الذي يتشكل من منظومة قيم وأفكار وتصورات وسلوكيات لا بد له من مؤسسات وهيئات تجسده على أرض الواقع وتعمل على حمايته من الدخيل والخطير، وتعمل على تطويره وتنميته وإذكائه بروح العصر؛ هذا الأمن الثقافي الذي يمثل هوية الشعوب وذاتها وشخصيتها وكيانها الحقيقي.

لقد أضحت الحياة البشرية اليوم أكثر تعقيدا مما كانت عليه، وأصبح كل شيء فيها يصنع في مخابر وهيئات، وبسياسات تخطط وترسم في غرف مغلقة لتنزل بعد ذلك إلى حياة الشعوب فتؤثر في عقولهم ونفوسهم ومعتقداتهم وثقافاتهم، كل ذلك عبر وسائل مختلفة بعضها بيِّنٌ وبعضها خفي، تعمل على تحقيق أهداف أصحاب الخطط والسياسات المسطرة[٢٩].

فبالمقابل تكون مسألة حفظ الأوطان في أمنها الثقافي والفكري وصون حضارتها وهويتها من الاختراق والتهديد تحتاج إلى ترسانة من المؤسسات والهيئات والقوانين، التي تصدر من إرادة سياسية مدركة وواعية بأن الأمن الثقافي من أمن البلد السياسي والعسكري والاقتصادي.

إذا أردنا تعداد أهم هذه المؤسسات نقول:

ـ مؤسسات الدولة: تأتي على رأس المؤسسات من حيث الأهمية في حفظ الأمن الثقافي للأوطان في المصالح الرسمية من وزارات ومحافظات وبلدات وولايات، اذ يجب أن يعمل جميعها على صون مكونات الهوية الوطنية بتشريع القوانين والنظم التي تدعم تلك المبادئ، ومحاربة كل ما يمكن أن يمس استقرارها وثباتها وتمكنها في أفراد المجتمع ومؤسسات الدولة.

فعلى سبيل المثال يحترم الدين الإسلامي وشعائره وتنشر الفضيلة والأخلاق في المجتمع وتبجل اللغة العربية ويعمل على التمكين لها استعمالا وتعلما وتطويرا.

وتسهم مؤسسات الدولة الإعلامية في هذه المهمة ببث البرامج والحصص والتقارير التي تخدم هذه الأبعاد والمبادئ وتحارب وتتصدى لكل ما يهدمها أو ينال منها. وتعمل على رفع الوعي لدى أفراد الشعب بأهمية هذه الهوية ومكامنها وطرق الحفاظ عليها.

ويتجسد الأمر نفسه في مؤسسة المدرسة والجامعة بكل مراحلها التكوينية، اذ تعمل كل المقررات والبرامج

الدراسية للتلاميذ والطلبة على تكريس مبادئ الهوية وحفظ الأمن الثقافي والفكري للأوطان[٣٠].

وتعمل مؤسسة المسجد المهمة- التي لها وقع في حياة الناس وارتباط قلوبهم بها - من خلال تعليمات وزارة الشؤون الدينية والأوقاف على نشر الفكر الأصيل المعتدل الوسطي الواعي المتعايش مع الآخر والمتفتح على العصر، وتحارب كل مظاهر العصبية والطائفية والمذهبية التي تمس الوحدة الوطنية وتهدد الأمن الثقافي للأوطان.

هـ - دور هيئات المجتمع المدني:

أصبح المجتمع المدني في الوقت المعاصر جهازا موازيا متكاملا يعمل أعمالا مكملة لعمل مؤسسات الدولة القائمة؛ ذلك للعمل الحواري التواصلي الفعال والمباشر مع أفراد الشعب، الذي له آلياته ووسائله في الوصول إلى قلب المواطن والتفاعل الإيجابي معه والتأثير في سلوكه وإشراكه في صناعة مشهد الحياة العامة.

فنجد في المجتمع المدني جمعيات خيرية وأهلية تعنى بمجالات الصحة والثقافة ورعاية الفئات الضعيفة والمعوزة وذوي الاحتياجات الخاصة، وتنشط في مجالات الفنون والعلوم والثقافات والحرف والمهارات[٣١].

ونجدها في تواصل وتفاعل مستمرين مع أفراد المجتمع وتقوم بأدوار مهمة في حماية الوطن في أمنه الثقافي والفكري وتدعيم جوانب الهوية فيه، ورفع مستوى الوعي لدى أفراد الشعب وإشراكهم في عملية التنمية والبناء لأوطانهم.

من خلال تضافر جهود هذه المؤسسات والهيئات وتفعيل آلياتها ووسائلها نستطيع الكلام على حفظ أمننا الثقافي والقدرة على التصدي للمخاطر المحدقة به.

خاتمة ونتائج البحث:

ختاما وبعد هذه الجولة في مفاهيم ومصطلحات الأمن الثقافي ثم الوقوف مع التحديات وعرض سبل الاستجابة لها يمكن أن نخلص إلى مايلي:

- إن الشعوب العربية الإسلامية بما تمتلكه من إرث حضاري عميق وتجربة متراكمة غزيرة هي قادرة على مجابهة محاولات اختراق أمنها الثقافي، كما أنها قادرة على تجديد نفسها وتقديم صورتها للعالم في ثوب معاصر يقف أمام كل القوى العالمية الكبرى.

- إن الأمن الثقافي لهذه الشعوب يمكن أن يتقوى ويحمى من خلال الاعتزاز بالهويات والاقتناع بالانتماءات الحضارية لهذه الأوطان، ثم بالانفتاح على الثقافات الأخرى والاستفادة منها دون أي عقدة نقص، وبوعي ومسؤولية.

- إن الصراع العالمي على أساس الهويات والثقافات هو ظاهرة إنسانية وجدت لتبقى، لذا يجب دائما الحذر منها والتفاعل الإيجابي معها بأخذ فوائدها والكف عن سلبياتها.

- إن للنخب والكفاءات التي تزخر بها أمتنا مسؤولية عظيمة في قيادة شعوبها وتوجيه أوطانها وحماية أمنها الثقافي وصون موروثها الحضاري المتكالب عليه.

- إن للإرادات السياسية في الأوطان العربية الإسلامية دورا مركزيا رئيسا في حماية هويات الشعوب، وتوفير الأمن الثقافي لها كما تحرص على أمنها السياسي والاقتصادي.

- إن للمؤسسات والهيئات والمجتمع المدني دورا محوريا في التخندق مع المواطنين لإيصال الرسالة الواضحة البسيطة المفهومة حول الأمن الثقافي للأوطان، والعمل على تحويل ذلك إلى قيم وسلوكيات يومية تطبع مظاهر الحياة المختلفة.

الهوامش

١): عبد الكريم بكار: من أجل انطلاقة حضارية شاملة، دار القلم، دمشق، سورية، ٢٠٠٥، ص١١٣ ـ ١٣٤

٢): عبد الإله بلقزيز: مقال بعنوان: في مفهوم الأمن الثقافي، منشور ضمن موقع: مركز الخليج للدراسات

٣): مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٥م، ص٧١ ـ ٧٥

٤): مالك بن نبي: مشكلة الثقافة ، ص٧١ ـ ٧٥

٥): قاسم الشيخ بلحاج: نظرية الحضارة عند المفكر مالك بن نبي، الجاحظية، الجزائر، ١٩٩٨، ص٣٩

٦): مالك بن نبي: شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٥م، ص٧٥- ١٠٥

٧): إبراهيم الزهراني: مقال بعنوان: الأمن الفكري، مفهومه، ضرورته، مجالاته، منشور في موقع السكينة.

٨): عبد الكريم بكار: نحو فهم أعمق للعالم الإسلامي، دار القلم، دمشق، سورية، ٢٠٠٥، ص١٣٠- ١٣٩

٩): سعيد حوى: الإسلام، شركة الشهاب، الجزائر، ١٩٩٨، ص٤٣- ٩٥.

١٠): عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ط٤، دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٠هـ\ ١٩٨٠م.

١١) : مـــــالك بن نبي: في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٥ ، ص .٣٣

١٢): سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ١٨٣٠ – ١٩٠٠م، ج١، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م، ص٨١ ـ ١٥٧.

١٣): أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ١٩٩٠م، ص٤٢ – ٨٣.

١٤): غازي التوبة: الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقويم، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م، ص٧٨ ـ ١٢٤

١٥): عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله، دار النفائس، الأردن، ٢٠٠٥، ٧٧- ١٠٣

١٦): محمد الغزالي: عقيدة المسلم، دار الهناء، برج الكيفان، الجزائر، ص١٨٥ – ١٩٦.

١٧): غازي التوبة: الفكر الإسلامي المعاصر، ص٧٨ ـ ١٢٤

١٨): قاسم الشيخ بلحاج: نظرية الحضارة عند المفكر مالك بن نبي، ص١٥ـ٢٢

١٩): غازي التوبة: الفكر الإسلامي المعاصر، ص٧٨ ـ ١٢٤

٢٠): غازي التوبة: الفكر الإسلامي المعاصر، ص٧٨ ـ ١٢٤

٢١): سعيد حوى: الإسلام، ص٤٣- ٩٥.

٢٢): مالك بن نبي: ميلاد مجتمع ـ شبكة العلاقات الاجتماعية، دار الفكر، الجزائر، ١٩٨٦ ص٢٥- ٦٤.

٢٣): قاسم الشيخ بلحاج: القيم الإنسانية في مجتمع الصحابة، دار العالمية، الجزائر، ٢٠١٦، ص٢٩- ٥٤

٢٤): مالك بن نبي: ميلاد مجتمع ـ شبكة العلاقات الاجتماعية، ص٢٥- ٦٤.

٢٥) :عبد الكريم بكار: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دار القلم، دمشق، سورية، ٢٠٠٥، ص٥٣ ـ٧١

٢٦): أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ١٩٩٠م، ص٤٢ – ٨٣.

٢٧): منير شفيق: الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات، ط١، دار قرطبة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ٢٠٠٥م، ص٤١ ـ ٧٥

٢٨): منير شفيق: الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات، ص٤١ ـ ٧٥

٢٩): غازي التوبة: الفكر الإسلامي المعاصر، ص٧٨ ـ ١٢٤

٣٠) :عبد الكريم بكار: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي،ص٥٣ ـ٧١

٣١): منير شفيق: الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات، ص٤١ ـ ٧٥

ـ قائمة المصادر والمراجع:

١. إبراهيم الزهراني: مقال بعنوان: الأمن الفكري، مفهومه، ضرورته، مجالاته، منشور في موقع السكينة.

٢. أحمد أمين: زعماء الإصلاح في العصر الحديث، المؤسسة الوطنية للفنون المطبعية، الرغاية، الجزائر، ١٩٩٠م

٣. سعد الله أبو القاسم: الحركة الوطنية الجزائرية، ١٨٣٠ – ١٩٠٠م، ج١، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، لبنان، ١٩٩٢م

٤. سعيد حوى: الإسلام، شركة الشهاب، الجزائر، ١٩٩٨

٥. عبد الإله بلقزيز: مقال بعنوان: في مفهوم الأمن الثقافي، منشور ضمن موقع: مركز الخليج للدراسات.

٦. عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ط٤، دار الثقافة، بيروت، ١٤٠٠هـ\١٩٨٠م.

٧. عبد الكريم بكار: مقدمات للنهوض بالعمل الدعوي، دار القلم، دمشق، سورية، ٢٠٠٥

٨. عبد الكريم بكار: من أجل انطلاقة حضارية شاملة، دار القلم، دمشق، سورية، ٢٠٠٥

٩. عبد الكريم بكار: نحو فهم أعمق للعالم الإسلامي، دار القلم، دمشق، سورية، ٢٠٠٥

١٠. عمر سليمان الأشقر: العقيدة في الله، دار النفائس، الأردن، ٢٠٠٥

١١. غازي التوبة: الفكر الإسلامي المعاصر، دراسة وتقويم، دار القلم، بيروت، لبنان، ١٩٧٧م

١٢. قاسم الشيخ بلحاج: القيم الإنسانية في مجتمع الصحابة، دار العالمية، الجزائر، ٢٠١٦

١٣. قاسم الشيخ بلحاج: نظرية الحضارة عند المفكر مالك بن نبي، الجاحظية، الجزائر، ١٩٩٨

١٤. مالك بن نبي: في مهب المعركة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٥

١٥. مالك بن نبي: شروط النهضة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٥م

١٦. مالك بن نبي: مشكلة الثقافة، دار الفكر، دمشق، سوريا، ٢٠٠٥م

١٧. مالك بن نبي: ميلاد مجتمع ـ شبكة العلاقات الاجتماعية، دار الفكر، الجزائر، ١٩٨٦

١٨. محمد الغزالي: عقيدة المسلم، دار الهناء، برج الكيفان، الجزائر

١٩. منير شفيق: الفكر الإسلامي المعاصر والتحديات، ط١، دار قرطبة للنشر والتوزيع، المحمدية، الجزائر، ٢٠٠٥

الأمن الثقافي ركيزة أساسية لتحقيق الأمن الإنساني

Cultural Security as Essential Buttress in Implementing Human Security

ا.م.د.حسين عليوي ناصر الزيادي
جامعة ذي قار / كلية الاداب

Asst. Prof. Dr. Hussein `Aleiwi Nasr Al-Zeidi,
College of Arts, University of Thqar

ملخص البحث :

أصبح الأمن بمفهومه العام ضرورة ملحة للمجتمع الإسلامي لان من خلاله تتحقق رفاهية الفرد ويعم الخير جميع أفراده ويرتقي بالمجتمع إلى مصاف الأمم المتحضرة ، لذا نجد أن الإسلام قد أولاه اهتماماً بالغاً ونوه عنه في تشريعاته . لقد جاءت النصوص الصريحة من الكتاب واحاديث النبي المصطفى وآل بيته سلام الله عليهم لتعزز هذا المبدأ ، فقد قال تعالى : (الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون) سورة الأنعام، آية (٨٢).وقال الله تعالى : (فليعبدوا ربّ هذا البيت الذي أطعمهم من جوعٍ وآمنهم من خوف) سورة قريش، آية (٤).صدق الله العلي العظيم.

ولاشك ان الاجواء التي يسودها انعدام الامن الثقافي تعد حاضنة لاستقبال تيارات الارهاب والتطرف والغلو ، لانها تمهد الارضية الملائمة للانحراف الفكري والعقائدي ، وهذا مابتلت به الامة الاسلامية في عصرها الحديث ، فجميع الحركات الضالة تتبنى افكاراً وفلسفات مغلوطة تجعل من التعدد الفكري خطراً يهدد كيانها ويلغي وجودها .ويعد الهوس الدفاعي الذي يضع تحديدا نهائيا ومغلقا للهوية ويجعلها قالبا جامدا في منأى عن احتمالات التغير والتكيف مع محيطها وعصرها ومجتمعها ، من أبرز التحديات التي تواجه الأمن الثقافي وهو الطريق الاقصر لتهديد هذه الهوية بالأفول والاضمحلال .

يمكن صياغة مشكلة الدراسة بجملة من اسئلة يحاول الباحث الاجابة عليها بمنهج علمي اكاديمي تتعلق الاسئلة باهمية ودور الامن الثقافي في تحقيق الامن الانساني .ويمكن طرح الاسئلة الاتية :

١. ماهو الاطار المفاهيمي للأمن الثقافي؟ وماعلاقته بالأمن الانساني والاجتماعي ؟

٢. ما دور المنظمات في تحقيق الأمن الثقافي؟

٣. ماهي التطبيقات العملية لانعدام الامن الثقافي ؟

٤. ماهي التحديات التي تواجه تحقيق الامن الثقافي ؟

وتبين من خلال البحث ان تحقيق الامن الثقافي ضرورة بد منها لانها تتعلق بالأمن الاجتماعي والانساني ، وأن تحقيقها مسؤولية مشتركة تقع بالدرجة الأولى على أجهزة الاعلام المطبوع منها ، والمسموع والمرئي والتي تساهم بشكل فاعل في خلق الرأي العام، والتوجيه بما لديها من حضور ، وقدرة على الانتشار

Abstract

For the Islamic countries the concept of security grows momentum and essential as it could achieve welfare and prosperity in a country. That is why Islam gives great focus on such a conjecture and mentions it in its legislations. There are sheer texts and documents: Quran, speeches of the prophet and his progeny as mentioned the Glorious Quran:

"It is those who believe and confuse not their beliefs with wrong - that are [truly] in security, for they are on [right] guidance." Anam, 82.

Also in sura Quraish, 4:

Who provides them with food against hunger, and with security against fear [of danger].

Quite definitely, the milieu that thrives with insecurity could be regarded as custody for terrorism, extremism and fanaticism to pave the ground to intellectual deviation. The current study deals with the problem in certain questions:

1- What the concept of the cultural security?

2- What a role do the societies play in implementing the cultural security?

3- What are the scientific applications of insecurity?

4- What are the challenges the cultural security implementation confronts?

The current research study is to focus on these points; there are conclusions to meet the requirements a family or laypeople need in life.

المقدمة

هناك تداخل واضح بين مفاهيم الأمن الوطني والاجتماعي والانساني لكنها عموماً تلتقي بالمسبب الرئيسي وهو انعدام الأمن الثقافي وسناتي تباعاً لعرض تلك المفاهيم وتاثرها بمفهوم الأمن الثقافي الذي باتت الامة في عصرها الحاضر احوج ماتكون اليه، وفضلاً عما تقدم فان مصطلحات الأمن بانواعها كافة تلتقي عند مبدأ الحاجة او الاهمية فديمومة الحياة تستدعي توفر هذه المبادئ بنسب مختلفة .

يهدف البحث الى بيان اهمية الأمن الثقافي بوصفه ركيزة أساسية لتحقيق الأمن الانساني والتعايش المجتمعي وفق الاطر الصحيحة للتوافق الحياتي القائم على تقبل الاخرين واحترام معتقداتهم وآرائهم وجعل الوطنية معياراً رئيساً لتقويم الاشخاص بعيدا عن الجوانب الاخرى المتعلقة بالدين والمذهب والجنس والقومية والمعتقد .

حاول الباحث ان يبين مفاهيم ومصطلحات متعددة ذات علاقة بالموضوع وحاول قدر الامكان الربط بين تلك الجوانب بما يخدم فرضية البحث ومشكلته والمنهجية المتبعة .

وقد تبين في الدراسة ان الامن الثقافي ركيزة اساسية لتحقيق الامن بانواعه المختلفة ، فضلاً عن اهمية الامن الثقافي في تحيق التنمية بانواعها المتعددة، وان وجود التعايش السلمي القائم على اساس تحقيق الأمن الثقافي ركيزة أساسية لتحقيق الأمن الانساني وعندما يفقد الأمن الثقافي فان ذلك مدعاة للوهن والخراب وانعدام الأمن .

تأتي أهمية الأمن الثقافي من كونه يرتبط بكل أشكال الأمن، وهذا الارتباط يجعل من الامن الثقافي ذا اهمية كبيرة لدرجة أن عدم تحقيقه يخلق زعزعة وأنحلالاً بكل أشكال الأمن، وهذا المصطلح لا يقف عند حد تسليح العقول في مواجهة الغزو الثقافي الذي بات هاجسا بعد حصول ثورة المعلوماتية و تدفق المعلومات، ومصطلح الأمن الثقافي لا يقف عند حد المحافظة على الثقافة المحلية من التشويه و التداخل مع ثقافات الشعوب الأخرى، إذ إن انتقال الثقافات و انتشارها و تأثير بعضها في بعضها الآخر أمر أكده التاريخ، ولا يمكن نكرانه، فلا يمكن بأي حال من الأحوال إغلاق ثقافة ما عن نفسها.

مفهوم الأمن :

الأمن لغة هو الأمان والأمانة بحسب ابن منظور. والأمن عكس الخوف، واصطلاحا هو الحالة التي تناسب السكينة والسلامة والاستقرار. وهو بذلك اطمئنان النفس و[1]زوال الخوف و منه الإيمان و الأمانة، وقد ورد هذا المعنى في القرآن الكريم ((آمنهم من خوف)) قريش ٣ ،و منه "ألا إن أولياء الله لاخوف عليهم ولاهم يحزنون" يونس ٦٢

الأمن الاجتماعي

المقصود هنا السلامة من كل الاخطار الداخلية والخارجية كالقتل والاختطاف والاعتداء على الممتلكات بمعنى آخر انه التراجع في معدلات الجريمة ، وأن تفشى الجرائم وزيادة عددها يعني حالة غياب الأمن الاجتماعي ، فمعيار الأمن منوط بقدرة المؤسسات الحكومية والأهلية في الحد من الجريمة والتصدي لها وأن حماية الافراد والجماعات من مسؤوليات السلطة من خلال فرض النظام ، وبسط سيادة القانون بواسطة اجهزة السلطة ، واستخدام القوة إن تطلب الأمر ، ذلك لتحقيق الأمن والسلامة التي تعزز الانتماء إلى الدولة بصفتها الحامي والأمين لحياة الناس وممتلكاتهم وآمالهم بالعيش الكريم .

الأمن القومي

ان مصطلح الأمن القومي من المصطلحات الحديثة الشائعة في العلوم الانسانية وتفرعت من هذا المصطلح مفاهيم اخرى كالأمن الاستراتيجي واللوجستي ونظريات التوازن والاحتواء والدرع الصاروخي. بمعنى اخر انها قدرة الدولة على توجيه قوتها باتجاه تحقيق سلامة افرادها .

وهو مصطلح كثير التداول في الجغرافية السياسية التي تؤكد قوة الدولة وفق قواعد جغرافية متعددة منها الموقع الجغرافي والشكل والاتجاه والموارد ودول الجوار الاخرى. ويعرف هنري كيسنجر الأمن على أنه :أي تصرفات يسعى المجتمع فيها إلى حفظ حقه في البقاء.

مفهوم الأمن المجتمعي

الأمن الثقافي أو المجتمعي:- يتعلق بحماية الفرد في معتقده وحريته في التفكير والاعتقاد وحماية روابطه الاجتماعية التقليدية التي يحرص عليها كونها تمثل جزء من كيانه وموروثه الثقافي والجماعات

الإرهابية اعتادت على قمع الممارسات الفردية أو الجمعية للأقليات الدينية ما يغيب أحد أهم جوانب الأمن الإنساني.

ويعد الأمن الثقافي مفهوم إيجابي وتفاعلي لتأسيس رؤية جديدة للأمن حين يترا دف مع الثقافة، ويُستخدم بالشكل المطلوب لتوفير احتياجات المجتمع ويكفل حرية الرأي والرأي الآخر ويحفظ حقوق الدول والأفراد على حدٍ سواء فيما يمتلكون من ثقافات وآثار وفنون وأعمال فنية ، هو إرساء لمفهوم مختلف من التفاعل الإنساني والعلاقات المستمرة والمتبادلة بين أنواع مختلفة من البشر، ومفهوم جديد للتعامل الحضاري الناضج القائم على الاحترا م والتقدير بين الأمم وبعضها، فهو عنصر مهم من عناصر النهضة المجتمعية ومظهر من مظاهر القدرة على التحرر واسترداد هويتنا البشرية والإنسانية المفقودة. والأمن الثقافي هو البيئة الصالحة والحاضنة للتعايش السلمي والقضاء على الإرهاب والجريمة بكل أشكالها، ومن ثم فهو مجموعة من الإجراءات والأفكار والقواعد والقوانين التي يجب اتخاذها وتحقيقها للوصول إلى التنمية البشرية بمفهومها الشامل، وتحقيق السلامة والاستقرار والحماية والحرية لخدمة أهداف وغايات المجتمعات، والتقدم إلى الأمام دون خوف أو رهبة بكل ثبات وثقة.

الأمن الانساني

يركز مفهوم الأمن الانساني على الانسان فقط وليس على الدولة ، بمعنى اخر ان الهدف الأساسي من الأمن الانساني هو تحقيق أمن الفرد فضلا عن أمن الدولة ؛ فقد تكون الدولة آمنة الا ان بعض مواطنيها يفتقر إلى الأمن لظروف عِدة ابرزها الجريمة والارهاب والحروب والقمع

وقد حدد التقرير الصادر عن برنامج الأمم المتحدة الانمائي عام ١٩٩٩ بعنوان عولمة ذات وجه انساني Globalization With a Human Face سبعة تحديات أساسية تهدد الأمن الانساني في عصر العولمة . هي :- غياب الأمن الوظيفي وقلة الدخل ، وغياب الأمن الصحي وانتشار الأوبئة وغياب الأمن الثقافي المتمثل بسيادة الثقافة الغالبة وغياب الأمن الشخصي وغياب الأمن البيئي بإنتشار التلوث البيئي ومايتبعه من تحديات. ويتفرع مفهوم الأمن الإنساني إلى فروع عدة أبرزها:

الأمن إلانساني الاقتصادي و الاجتماعي:

ويشمل الأمن الغذائي والمائي و جميع أشكال الحماية من الجوع والبطالة والمرض.

الأمن الإنساني المدني و السياسي:

يشمل جميع حقوق الإنسان المدنية و السياسية التي تضمن له الشعور بالأمن.

الأمن الإنساني الحيوي:

ويضمن البيئة النظيفة الخالية من التلوث

الأمن الإنساني الثقافي:

ويشمل حماية الثقافات المتعددة وحق كل مواطن في التعليم والصحة والترفيه.

الجريمة إحدى مهددات الأمن الثقافي

الجريمة ظاهرة اجتماعية تاريخية موغلة في القدم وهي سلوك لايمكن استيعابه ، فضلا عن كونها سلوكاً يحظره القانون ويحدد جزاءً لمن يقوم به ، لأنها إشباع للغريزة بطريقة شاذة ، لذا أصبحت الجريمة وعواملها ونتائجها مجالاً خصباً للبحوث والدراسات. ومصطلح الجريمة(*) ينطوي على وصف لكثير من أشكال السلوك غير القانوني ، وتحظر قوانين البلدان بعض الأفعال بدرجات متفاوتة ، أي ان النظرة للجريمة تختلف من مجتمع إلى آخر . فالفعل الذى يعدّ سلوكاً إجرامياً في مجتمع ما قد لايكون كذلك في مجتمع آخر.

وتعتبرمسألة النسبية في الظاهرة الإجرامية على درجة عالية من الأهمية ، لأن الجريمة تختلف من مكان لآخر ومن زمان لآخر،سواء نظر إليها من الناحية القانونية أو من الناحية الاجتماعية. فالقانون الجنائي لايظل ثابتا على مر الزمن في المجتمع الواحد. ففي القرن الثامن عشر كان في بريطانيا على سبيل المثال مخالفات متنوعة يمكن أن يؤدي بعضها إلى عقوبة الإعدام ، ومن بينها مخالفات بسيطة مثل سرقة مبلغ بسيط من المال.

أما مصطلح المجرم فقد اختلف في تعريفه هو الآخر بحسب اختصاص الباحث ومنظوره ، ففي المفهوم القانوني يعرف المجرم على أنه الشخص الذي ينتهك القانون الجنائي السائد في بيئته ولايعدّ الشخص مجرماً إلا بعد صدور حكم بحقه وإلا فهو متهم . أما من المنظور الاجتماعي فالمجرم هو الشخص الذي لايخضع ولا يلتزم بالمنظومة الاجتماعية السائدة في مجتمعه ، ويذهب أصحاب المدرسة النفسية إلى أن المجرم هو الشخص الذي لايستطيع التوفيق بين طلباته وميوله الغريزية وبين متطلبات البيئة الخارجية التي يعيش فيها وقواعدها العامة.

والجدير بالذكر أن العصور الحديثة تميزت بظهور أنواع جديدة من الجرائم واكبت التكنولوجيا الحديثة ووسائل الاتصال المتقدمة، ولعل من أخطر ما استجد في العصر الحديث هو بروز ظاهرة الإرهاب (Terrorism) ، وتنامي الجرائم الإرهابية (Terrorist crimes) التي تزعزع الأمن وتعصف بجهود التنمية والعمران ، وظهرت أنواع أخرى من الجرائم استفادت من وسائل الاتصال الثقافي (Cultural Contact) والتقنيات المتوافرة ، وتعمل ضمن آليات ولوائح خاصة ومنها الجريمة المنظمة(*) ، وشهدت المجتمعات تحولات اجتماعية واقتصادية وسياسية كبيرة أدت إلى ظهور تغيرات واسعة في أسباب الجريمة وأبعادها ، وحدثت تغيرات في مفاهيم الأمن وآليات التعامل مع الجريمة والمجرمين وسبل الوقاية من الجريمة وطرق مكافحتها.

التعريف الديني

الجريمة من الناحية الدينية سلوك إنساني غير سوي يمثل تعدياً على حق أو مصلحة من حقوق أو مصالح العباد التي يحميها الشرع أو القانون الصادر بناء عليه ، وهي كل سلوك إنساني غير مشروع عمداً كان أم غير عمد يرتب له الشرع أو القانون الصادر عنه جزاءً جنائياً لأن هناك ضابطاً دينياً يحكم سلوك الفرد، ووفقا لذلك فان الجريمة تعدّ سلوكاً إنسانياً منحرفاً عن الطريق المستقيم كونها فعلاً غير مشروع لأنه يمثل اعتداءً على حق من الحقوق أو مصلحة من المصالح التي يحميها الشرع الحنيف أو النظام (القانون) الناتج عنه الذي سنّه ولي الأمر. والجريمة بهذا التعريف معرفة تعريفاً جامعاً مانعاً على عكس المفهوم الوضعي للجريمة الذي تعددت مفاهيمه وتنوعت أبعاده باختلاف العلوم البشرية.

وتأسيساً على ما تقدم فإن الجريمة في الفقه الشرعي الإسلامي تكاد تتفق مع تعريف فقه القانون الوضعي ،إلا انها في إطارها الديني تنحصر في الخروج عن التعاليم والمحظورات التي نهى الله تعالى عنها في كتبه المقدسة وعلى لسان أنبيائه ورسله. وقد نص الفقهاء على أن الجريمة سلوك فردي أو جماعي مخالف للقوانين والتعاليم الإلهية والشرعية وأحكام الكتب المقدسة. وتفسير الفقه الإسلامي للسلوك الإجرامي يتضح من خلال وضعه مبادئ واضحة وثابتة لتفسير ظاهرة السلوك الإجرامي وأسباب الجريمة ومبررات التجريم والعقاب، ومن تلك المبادئ مايأتي :

الإنسان أفضل المخلوقات ويتفوق عليها بكمال العقل وتحمل الأمانة ، وهذا ماصرحت به الآية الكريمة ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ

خَلَقْنَا تَفْضِيلاً﴾ (الإسراء ٧٠). وليس لتكوين الإنسان البدني وطريقة خلقه علاقة بالسلوك الإجرامي الذي ينافي الفطرة السليمة ، لأن السلوك الإجرامي جاء بسبب بعده عن الإيمان.

ينطلق المسلم من قاعدة صلبة هي الإيمان بالله وكتبه ورسله وبعلمه الكامل على جميع مايجري في الكون بما في ذلك سلوك الفرد الخارجي منها والباطني. واستناداً لهذه العقيدة يفترض في المسلم الصحيح الذي تشربت نفسه بالعقيدة وتمكن الإيمان من قلبه أن يصبح مؤهلاً للصمود أمام عوامل الفتنة وإغراءات الدنيا ، لأن المسؤولية الملقاة على عاتقه هي تعمير الأرض وتحسين علاقته مع أبناء جلدته، ومن ثم فهو محصن من الوقوع بالجريمة ، وهي إذن منزلة عظيمة، منزلة الإنسان في نظام الوجود على هذه الأرض ، وهو التكريم الذي شاءه له خالقه العظيم، وهذا كله ايحاء التعبير القرآني المقدس﴿وَإذ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلاَئِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأرض خَلِيفَةً﴾ البقرة(٣٠).

٧- ضعف وازع الدين والمعتقد: يعدّ الدين من وسائل الضبط الاجتماعي الداخلية وأحد الموانع المهمة التي تقي من الاضطرابات الاجتماعية ، وكلما كان هذا الوازع قويا ازدادت حصانة الفرد وأصبح أكثر مقاومة لما يواجهه من مشاكل وأكثر بعداً عن السلوك الإجرامي ، لذا فإن الأشخاص الأكثر تمسكا بالدين أقل ميلاً من غيرهم نحو ارتكاب المخالفات ومنها الجريمة ، أما الأشخاص المتحررون من الاعتقاد الديني فإن وسائل الضبط الاجتماعي الرسمية هي المحدد الرئيس لتصرفاتهم، ومن ثم يقع عبء كبير على تلك المؤسسات ، ولا تقتصر وظائف الدين على الصعيد الفردي بل تشمل الصعيد الجماعي أيضاً ، فعلى الصعيد الفردي يعطي للفرد شعوراً بالأمن والطمأنينة. وللدين وظيفة اجتماعية تتجلى بمشاركة الفرد في العبادات والشعائر والطقوس الدينية التي تسهم في تهذيب السلوك البشري .

ويعدّ الدين الإسلامي منظومة اجتماعية وقيمية تنظم سلوك الفرد والجماعة وتحدد مبادئ مهمة في الثواب والعقاب فهي تعالج عوامل الجريمة ودوافعها وفق صيغ غاية في الدقة مما يجعل فرص الجريمة محدودة جداً ، وعند مقارنة معدلات الجريمة بين الدول الإسلامية وغيرها يتضح الفارق الكبير ، اذ تنخفض مستويات الجريمة في المجتمعات الاسلامية ، فبالنسبة للدول العربية التي يدين غالبية سكانها بالديانة الإسلامية أشارت الإحصاءات إلى أن عدد المودعين في السجون للدول العربية كافة يقل عن نظيره في دول العالم كلها ، أما معدلات القتل فقد تراوحت في الدول العربية بين (٨,٥ – ٠,٨) لكل ١٠٠ الف نسمة) مقابل (٩,٧) في الولايات المتحدة و(٢,٢٣) في بريطانيا و(٥,٤) في المانيا.

التأثيرات التنموية لانعدام الأمن

أصبحت جغرافية التنمية(*) فرعاً مهماً من فروع الجغرافية البشرية ، لأنها تسهم في إيجاد الطريقة المثلى لتوزيع ثمار التنمية بين أرجاء الدولة أو الإقليم ، وهي تعني ببيان الاختلافات التنموية المكانية بين المناطق المختلفة من خلال الأساليب والوسائل الاحصائية. وتحاول الجغرافية إيجاد العلاقات المكانية التي تهيئ الفرصة الأكبر لإيجاد واقع تنموي في منطقة ما وتشخيص الأسباب الموجبة للتلكؤ التنموي في منطقة أخرى ، فالجريمة ظاهرة اجتماعيةً متعددةُ الجوانب ومتشعبة الاتجاهات وتُعدُّ من المشاكل التي تعاني منها المجتمعات على امتداد المراحل الزمنية وتعد سلوكاً هداماً غير بناء ، وقد تضافرت على دراستها العديد من العلوم بسبب انعكاساتها على العلاقات الاجتماعية والسلوك الإنساني بنواحيه المتعددة. والعلاقة بين انعدام الأمن والتنمية علاقة مترابطة ومعقدة فكلاهما يؤثر في الآخر.

يعد انعدام الأمن من أهم معوقات التنمية لأسباب وعوامل متعددة ففي غياب الأمن تتلاشى التنمية ، والجريمة سبب مهم في فقدان الأرواح والأموال والتيتم والترمل وظهور الخسائر المادية والبشرية والكلفة الأمنية والإجراءات الحكومية ، ومكافحة الجريمة تتطلب كلفاً مادية وبشرية من الممكن أن توظف في مجال التنمية.

إن الواقع الأمني للدولة أو الإقليم ذو تأثير كبير في الجوانب الإنتاجية والاقتصادية والسياحية والتنموية ، لذا أصبحت دراسة الجريمة على مستوى كبير من الأهمية، لأنها تتعلق بمستوى تنمية المجتمع وتطوير قدراته ومرافقه التنموية ، فالمستثمر على سبيل المثال لا يقدم على الاستثمار في منطقة تكثر فيها نسبة الجريمة أو ينعدم فيها الأمان ، ولا يمكن إنشاء مشاريع تنموية في مناطق العجز الأمني ، وتمثل تلك المناطق مناطق طرد لأصحاب رؤوس الأموال ، ومن هنا بقيت المناطق غير الأمنه مناطق فقيرة تعاني من الحرمان وتردي الخدمات[1]. وان مكافحة الجريمة والحد منها تعد من الأمور التي تستنزف اقتصاديات بعض الدول التي تمتاز بخصائص جغرافية معينة ، لاسيما الدول التي تتعقد فيها مظاهر السطح أو شاسعة المساحة ، «إذ تستهلك الجريمة ما يقارب ٤-٧٪ من الدخل القومي المحلي للدول الصناعية في سبيل مكافحتها والوقاية منها. أما الدول النامية فتستهلك حوالي ١٠ــ ٢٠٪ من دخلها لهذا الغرض»[2]. وللتدليل على ذلك يمكن متابعة الجدول [1] الذي يوضح مقدار المبالغ التي تنفق في الولايات المتحدة لأسباب تتعلق بالجريمة.

ويعدُّ انعدام الأمن من أهم العوامل السلبية التي تعرقل التنمية الاجتماعية والاقتصادية والسياسية

لأن الدول توجه جُلّ طاقاتها وإمكانياتها لمحاربتها والقضاء عليها ومن هنا يجب أن تعد سياسة منع الجريمة ضمن أهداف خطط التنمية لأن الجريمة تهدد الاستقرار الاجتماعي والنفسي لأنها تقترن بهاجس الخوف وتعرض الكيان المادي والمعنوي للخطر ، وتنعكس هذه الاضطرابات على علاقة الأفراد ببعضهم فضلاً عما تولده من انحلال للمبادئ الأخلاقية ، وارتفاع معدلات التسرب من المدارس وكثرة التغيبات وانخفاض مستوى الانتاجية ، وهي تسهم ببروز ظواهر اجتماعية متعددة كالتسول والانحراف والبغاء وتشرد الأحداث والانتحار وعمالة الأطفال.

الجدول (١)

الخسائر المادية بسبب انتشار الجريمة في المجتمع الأمريكي

المبلغ / بليون دولار	الخسائر المتعلقة بأنواع الجرائم
٧٨	تصرف على النظام الجنائي
٢٠٢	فقدان الأرواح والعمل
١٢٠	خسائر بسبب الجرائم ضد المحلات والشركات
٦٠	سرقة البضائع والسلع
٤٠	خسائر الإدمان
١١٠	القيادة تحت تأثير المسكر
	مجموع الخسائر الأمريكية

المصدر: أكرم المشهداني ، الجريمة في الولايات المتحدة حقائق وأرقام

http / /www.algardeniq.com /maqalat

إن العلاقة بين التنمية وانعدام الأمن علاقة متبادلة ، فالتوزيع غير المتكافئ لثمار التنمية يؤدي إلى حرمان أطياف واسعة من المجتمع ، ومن ثم فإن تأثير الحرمان والشعور بالغبن يهيئان الأرضية الملائمة للإجرام ، وعلى العكس تماماً يلاحظ أن التوزيع المتكافئ لثمار التنمية والاستقرار الاقتصادي يؤدي إلى خفض معدلات الجريمة ، فالتنمية تشكل تحصيناً اجتماعياً ناجماً عن تمكين الفرد من استثمار إمكانياته.

أشارت الإحصاءات العالمية إلى أن القضايا المرفوعة أمام الجهات المختصة المتعلقة بجرائم الاعتداء

على النساء منذ عام ١٩٦٠ ولغاية ٢٠٠١ بلغت ٢,٨٣٦,٤٤٢ قضية ، أي بمعدل ١٩٠ عملية اغتصاب أو تحرشاً جبرياً يبلغ عنها يوميا ، علماً ان هذا الرقم لا يأخذ بالحسبان حالات الاعتداء التي لا يبلغ عنها والتي تصل إلى أكثر من ٥٠٪.

لقد شهد العالم تنامياً وارتفاعاً مطرداً في معدلات الجريمة ، وقد أظهر استقصاء الأمم المتحدة السادس عن اتجاهات الجريمة وعمليات نظم العدالة الجنائية للمدة ١٩٩٠-١٩٩٥ إن هناك ارتفاعاً بمعدلات الجريمة بنسبة ١١٪ مقارنة بالمدة ١٩٨٥-١٩٩٠[٣] ، الأمر الذي يتطلب مزيداً من الدراسات الموضوعية وتشخيص الأسباب ووضع الحلول المناسبة.

الجدول (٢)

التجمعات الحضرية الكبرى في العالم لعام ٢٠١١

المدينة	السكان مليون نسمة
طوكيو	٣٦,٧
دلهي	٢٢
ساو باولو	٢٠
مومباي	٢٠
مكسيكو	١٩,٥
نيويورك	١٩,٤
شنغهاي	١٦,٦
كلكتا	١٥,٥
دكا	١٤,٧
كراتشي	١٣

المصدر : الأمم المتحدة ، صندوق الأمم المتحدة للسكان ، حالة سكان العالم ٢٠١١ ، ص٧٧.

يمكن ملاحظة الفرق بين معدلات الجريمة من المقارنة بين الدول النامية والمتقدمة في الجدول (٣) الذي يتعرض لجريمتي القتل والسرقة (لكل ١٠٠٠٠٠ نسمة) لدول مختارة من العالم في المدة ٢٠٠٣-٢٠٠٨ وقد اعتمدت هاتان الجريمتان مقياساً لأن جريمة القتل تعد من أبشع الجرائم التي عرفتها البشرية منذ الأزل

وهي مع جريمة السرقة تعطيان صورة واضحة عن الواقع الأمني لأي دولة، ويظهر التباين في معدلات الجرائم بين الدول إذ يُلاحظ ارتفاع النسب في الدول النامية لاسيما الأفريقية منها أ وفضلاً عن جرائم القتل والسرقة فهناك الجرائم التي تقوم بها عصابات الجريمة المنظمة والسطو المسلح وحيازة المخدرات والاتجار بالبشر وغير ذلك من الجرائم التي أخذت تستنزف اقتصاديات بعض الدول وتشكل حجر عثرة أمام خططها التنموية.

تعريف الأمن الثقافي

إن مصطلح الأمن الثقافي مرتبط بجملة أشكال من الأمن العام، إنه امتداد للأمن الاقتصادي و الأمن السياسي و الأمن العسكري و الامن الغذائي ، فالعلاقة مترابطة بين جميع أنواع الأمن المذكورة، بل لا يمكن الفصل بينها إلا في البحث و الدراسة ، ذلك لأن توفر أحدهما مرتبط بتوفر الآخر، و في كل جانب ترد فيه كلمة الأمن إنما يراد منها تحقيق قدر ما من المنفعة و القوة لتحقيق نوع من الطمأنينة، فالعلاقة ترابطية بين كل أشكال الأمن المطلوبة السالفة الذكر، لأن تحقيق الأمن الاقتصادي يتطلب تحقيق التنمية الاقتصادية و التكامل الاقتصادي، و هذا يحتاج مجتمعاً مستقراً يعيش الأمن السياسي، و إن تحقيق الأمن السياسي مقرون بمجتمع تتحقق فيه حرية الرأي و حرية التفكير و حرية التعبير، شريطة أن تمارس هذه الحرية وفق الأسس القومية والوطنية، وأن يكون مرام تلك الممارسة لخدمة المصلحة العامة، و هذا التمتع يجب أن يخلو من الاتجاهات العنيفة و المتطرفة المزعزعة للاستقرار. الأمن العسكري يتطلب تحقيق التوازن الاستراتيجي و البحث عن سبل مواجهة الآلة العسكرية المعادية، و نقول إن الأمن العسكري محقق عندما ينام المواطن قرير العين، وحدود بلاده آمنة، ويكون ذلك بتحقيق توازن عسكري لمواجهة كل أنواع التهديد.وأمن المياه أمر متعلق باستمرار التدفق الحر للمياه النابعة من مناطق مجاورة، و يكون هذا الأمن متحققا عندما لا يكون هناك احتكار لهذه الثروة

مستلزمات الأمن الثقافي

ان الأمن الثقافي يستوجب التعامل مع الثقافات الأجنبية بالشكل الذي لا نقف في خندق الدفاع ضد الغزو الثقافي فننحصر اهدافنا في بئر العزلة الضيقة و العداء للثقافات الإنسانية، فالأمن الثقافي لايعني صد الابواب على الثقافات الأخرى، ولا يعني الاحتفاظ بجميع القيم السائدة، وإنما يعني المحافظة على الهوية الاسلامية وحمايتها من عوامل ضعف الشعور بالانتماء ، فضلاً عن تحصين الفرد من المؤثرات الأجنبية

الضـارة، وتأمـين خبرتـه الثقافيـة الأصليـة مـن التشـويش و التضليـل.

إن الأمـن الثقـافي يعنـي توفـير الثقافـة الصالحـة للنـاس حتـى يتمكنـوا أن يعيشـوا حياتهـم المعـاصرة بشـكل سـليم و إيجـابي ويتفاعلـوا مـع الاخريـن وفـق مبـدا احـترام الاخـر وتقبـل آرائـه و هـو يعنـي بنـاء قـوة الوجـود الثقـافي ، التـي تقـوى عـلى المقاومـة و الصمـود والاندفـاع و الملاحقـة و الفعـل المؤثـر، و لكـي يتحقـق هـذا يجـب أن يعتمـد الأمـن الثقـافي عـلى عنصريـن أساسـيين همـا :

أ – الاعتـزاز بالـذات الثقافيـة الحضاريـة : لأن الـذات الثقافيـة الإطـار أو الوعـاء الـذي يسـتوعب منتـوج المثقـف، لذلـك فـإن منتـوج المثقـف ينبغـي أن ينطلـق مـن الخطـوط العريضـة و روح الثقافـة الذاتيـة، بـما تمثلـه هـذه الثقافـة الذاتيـة مـن رمـوز و أفـكار و قيـم .و الاعتـزاز بالثقافـة الذاتيـة لا يعنـي الغـاء الثقافـات الاخـرى بـل يجـب التفاعـل معهـا واحـترام شـخوصها .

ب – التفاعـل وتقبـل الثقافـات الاخـر: يجـب عـلى الثقافـة الذاتيـة والمعـاصرة ان تهـيء الارضيـة المناسـبة لاسـتقبال وتقبـل الثقافـات الاخـرى وان لم تسـتطع الثقافـة الحاليـة فعـل ذلـك فـذاك مـؤشر عـلى وجـود خلـل في الثقافـة الحاليـة لاي مجتمـع .كـما ان الأمـن الثقـافي لا يعنـي عـزل المـاضي عـن الثقافـة المعـاصرة لأن الانطـواء و الانغـلاق عـن العـصر و ثقافتـه و منجزاتـه هـو إفقـار للوجـود الـذاتي بحيـث نضحـي و كأننـا نعيـش في القـرون الوسـطى السـالفة، بعيديـن كل البعـد عـن إنجـازات الإنسـان المعـاصر و آثـار العلـم و حسـناته.لذا فـإن أي مجتمـع لا يتمكـن مـن صيانـة أمنـه الثقـافي و اسـتمرارية فعلـه الجماعـي إلا بالاعتـزاز بالـذات الموصـول بالانفتـاح عـلى منجـزات العـصر وهـذه الأمـور مدعـاة للتحفيـز والتقـصي عـن الـذات الثقافيـة و إبـراز مضامينهـا ، والاعتـزاز بالـذات الحضاريـة مـع هضـم معطيـات الآخرواحـترام آرائـه مهـما تعارضـت مـع رغباتنـا وتطلعاتنـا .

تطبيقات عملية على انعدام الامن الثقافي

لقـد نبتـت تلـك التنظيـمات افـكاراً مشـبوهة اثـرت في عقـول الجهلـة وهـي بذلـك تقـدم انموذجـاً واضحـاً لرفـض الاخـر وعـدم تقبـل حضارتـه بـكل ماتحتويـه مـن ابعـاد وجوانـب ، فـكان مـن الطبيعـي أن تقـوم بهـدم الحضـارا ت القديمـة الموجـودة في المنطقـة كتدمـير متحـف الموصـل الـذي يرجـع تاريخـه إلى الدولـة الأشـورية في القـرن التاسـع قبـل الميـلاد، وكذلـك سـور نينـوى في الموصـل الـذي يعـود تاريخـه إلى عـصر الآشـوريين، والكنيسـة الخـضراء في تكريـت التـي تعـود إلى القـرن السـابع .

داعش وتدمير الاضرحة والمقامات

ان اكبر عملية تفجير وهي عملية تفجير ضريح العسكريين في سامراء وهي عملية منظمة حدثت عام ٢٠٠٦ استهدفت ضريح الإمامين علي الهادي والحسن العسكري وتوالت بعد ذلك عملية تدمير وهدم مراقد الاولياء والصالحين ومقاماتهم. وفي عام ٢٠١٦ جرت محاولات مسعورة لتدمير مرقد الامام محمد بن علي الهادي في الدجيل لكنها فشلت وعموما فان هذه الاعمال وغيرها تشير الى وجود ازمة أمن ثقافي بكل ماتعنيه الكلمة، لأن هناك رفضاً للآخر بل قتال للطرف المخالف .

ولم يقتصر الحال على مزارات ومقامات طائفة دون اخرى فقد كشف تنظيم داعش»، عن ٢٠ صورة تظهر قيام مسلحي التنظيم بتدمير عدد من الأضرحة والمزارات الدينية التي يقصدها السُنة والشيعة في محافظة «نينوى»، وتظهر تدمير عدد من المساجد الشيعية.

وفجر تنظيم داعش ضريح مرقد عمر بن الخطاب، الإمام السلطان عبد الله بن عاصم بن عمر، في منطقة مخمور جنوب شرق الموصل، وقام بهدم الأضرحة و المزارات الدينية فى مدينة تلعفر، ومنها ضريح أرناؤوط وضريح ومزار أحمد الرفاعى وضريح الشيخ إبراهيم فى ناحية المحلبية، بالإضافة إلى هدم مرقد قبر البنت فى مدينة الموصل. وأُزيلت المآذن التابعة لكل مزار ونُسِفت مبنى حسينية قدو ومبنى حسينية عسكر ملا ومبنى حسينية سعد بن عقيل ومبنى حسينية جواد، ومبنى حسينية القبة فى مدينة الموصل.

تدمير حسينية جواد في الموصل

تدمير حسينية سعد بن عقيل في تلعفر

تدمير مرقد قبر البنت فى مدينة الموصل

تدمير الاثار السورية

تعد آثار تدمر من مواقع التراث العالمي لليونسكو، المليئة بالكنوز التاريخية التي لا يمكن تعويضها، مثل المباني الرومانية التي يتجاوز عمرها الألفي سنة، وتماثيل ما قبل الإسلام الرائعة.

وعندما غزت داعش تدمر ، رفض الأسعد الفرار، وفضل البقاء؛ بهدف محاولة حماية الموقع من نهب داعش. ويقال إنه تُوفي بعد استجواب داعش له، على أمل الحصول منه على معلومات توصلها إلى المكان السري لبعض الأشياء الثمينة في تدمر. وبالنسبة لعالم مثل الأسعد، تعد حماية هذه الأسرار قضية تستحق الموت من أجلها. وقد قامت داعش بتدمير التحف التاريخية، التي لا تُقدر بثمن في العراق وسوريا. وتتطلب أيديولوجيتها فعل ذلك.

البعد الفلسفي لتدمير التاريخ

لفهم سبب تدمير داعش كل مايشير الى التاريخ ، نحتاج إلى فهم البعد الفلسفي لهذه الجماعة. إذ تشترك داعش في عدائها تجاه التحف التاريخية مع جماعات إسلامية سنية مسلحة أخرى، يعود تاريخها على الأقل إلى القرن ١٨ - ولادة المملكة العربية السعودية الحديثة. إذ دُمرّ في ذلك الوقت العديد من المقامات والشواهد الاسلامية ويعد تحطيم قبور ائمة البقيع من اكبر تلك الاعمال واكثرها جرأة على الله ورسوله ، وفي عام ١٩٢٦تم دمرت مقبرة الباقي، وهي جزء من مقبرة البقيع في المدينة المنورة، ويعود تاريخ الضريح إلى القرن السابع الميلادي، ويعتقد أنه يحتوي على رفات بعض أصحاب النبي محمد. ويأتي التزام السعوديين بهذه الأفعال بما يتواءم مع تعاليم المدرسة الدينية التي يُطلق عليها اسم الوهابية ، وما تزال وجهات نظر الوهابيين حول عبادة الرموز تؤثر في الجماعات السنية المتشددة في جميع أنحاء العالم الإسلامي اليوم.

وفي عام ٢٠٠١ قامت حركة طالبان بتفجر تماثيل بوذا باميان في أفغانستان التي يبلغ عمرهما ١٧٠٠ سنة وهما منحوتتان في منحدر في وادي باميان، وسط أفغانستان، مما أثار انتقادات دولية ضخمة. وكان التمثالان أطول تماثيل بوذا في العالم، إذ بلغ ارتفاع أحدهما حوالي ١٦٥ قدمًا..

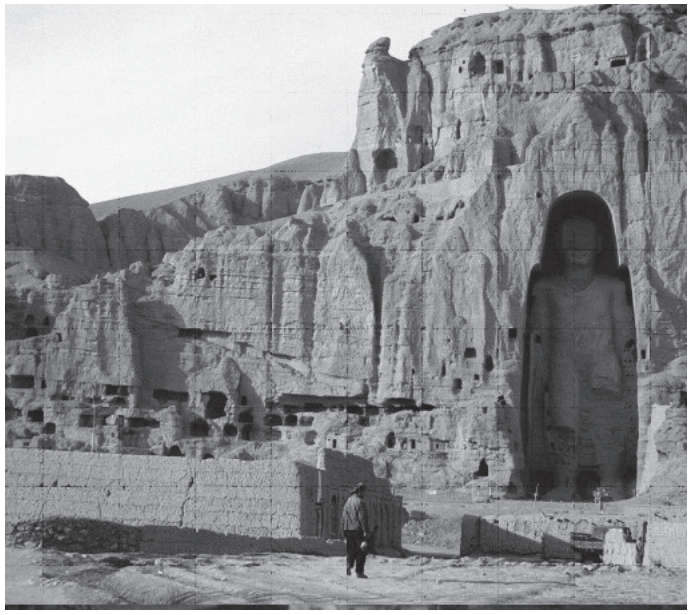

تماثيل بوذا

خاتمة :

أصبحت قضية الإرهاب وزعزعة الأمن هاجس الجميع ومسؤولية المجتمع بأسره لذلك وجب على الجميع أن يعملوا على استئصال هذا الفكر من جذوره وذلك باتباع الوسائل الناجحة ومعالجة الأمور بروية . وإن المخرج من مخاطر الإرهاب وآلامه يتمثل في أمور، أهمها ما يأتي:

ينبغي العمل الجاد - وفق خطط مدروسة – على افشاء روح الاعتدال والتعايش السلمي، وتلبية المطالب الضرورية للمواطنين ، وعلاج مشكلاتهم. ٢- سن القوانين التي ترسم حدود الأمن الثقافي بين الأفراد فيما بينها وبين الحضارات المختلفة وخاصة تلك القوانين التي تحمي الآثار والفنون والملكية الفكرية والإبداعية وحقوق الإنسان في الحفاظ على هويته الثقافية على مدى أجيال متعددة.

نشر العلم الشرعي الصحيح المستمد من نصوص الكتاب وسيرة ال بيت النبوة، والتابعين وأئمة المسلمين، والإعانة عليه، وتسهيل سبله.

يجب ان تأخذ وسائل الاعلام بأنواعها دور التوعية الدينية وابعاد الشباب عن اسباب التطرف والداعين له.

يجب أن تأخذ الدول الإسلامية بأسباب القوة المادية، بما يحقق لها السيادة والعزة، ويمنحها القدرة على الاستقلال في سياساتها، وقراراتها وتوجهاتها.

تبين لنا ان حالة الأمن الثقافي اصبحت مهددة في ظل تنامي ظاهرة العولمة فضلا عن تلاشي الثقافة الإسلامية لاغلب الدول العربية ، إذ لم يبقى منها إلا المعالم، والحق أن الغزو الثقافي الخارجي قد نجح إلى حد ما في جعل الثقافة تأتي في المرتبة الثانية بعد ثقافة الغرب التي أتاحتها العولمة.

ان للامن الثقافي أهمية كبيرة في تحيق التنمية بأنواعها المتعددة وان وجود التعايش السلمي القائم على اساس تحقيق الأمن الثقافي ركيزة أساسية لتحقيق الأمن الانساني وعندما يفقد الأمن الثقافي فان ذلك مدعاة للوهن والخراب وانعدام الأمن .

الهوامش

(١) ابن منظور، لسان العرب، المجلد الأول، الطبعة الأولى، القاهرة، دار الحديث، ٢٠٠٣

*) الجريمة من الجرم أي التعدي ، وتدل كلمة (Crime) على الجريمة وأصلها (Crimen) ، وهي كلمة لاتينية اشتقت من(Cernere) ذات الأصل اليوناني التي تعني التمييز والشذوذ عن السلوك الاعتيادي وتفيد كلمة الجريمة والجرم لغة: الذنب، تقول منه (جرم و أجرم و اجترم) والجِرم بالكسر للجسد وقولة تعالى﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم ﴾ أي لايحملنكم و (تجرم) عليه أي ادعى عليه ذنباً لم يفعله كما يطلق لفظ الجريمة على المخالفة القانونية التي يقرر القانون لها عقاباً بدنياً أو معنوياً (محمد أبو بكر الرازي: مختار الصحاح ، مكتبة لبنان ١٩٨٩، ص٨٩).

*) عرفت الجريمة المنظمة بأنها فعل أو أفعال غير مشروعة ترتكبها جماعة إجرامية ذات تنظيم هيكلي متدرج ، وتتمتع بصفة الاستمرارية ويعمل أعضاؤها وفق نظام داخلي صارم ويحدد دور كل شخص في المنظمة، ويكفل ولاءهم وإطاعتهم للأوامر الصادرة من رؤسائهم وغالبا ما يكون الهدف من هذه الأفعال الحصول على الربح ، وتستخدم الجماعة الإجرامية التهديد أو العنف أو الرشوة لتحقيق أهدافها ويمكن أن يمتد نشاطها الإجرامي عبر عدَة دول .

(*)جغرافية التنمية فرع معرفي تكاملي لأنه يتعامل مع مجالات متنوعة من النشاط الإنساني ــ المجالات الاقتصادية والثقافية والسياسية والبيئية ــ في سياق فهم أنماط مختلفة من الرفاه وتأويلها وتحليلها . للمزيد يراجع:د. وريك موراي ، جغرافيات العولمة ــ قراءة في تحديات العولمة الاقتصادية والسياسية والثقافية ، ترجمة سعيد منتاق ، سلسلة عالم المعرفة ، العدد(٣٩٧)، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب ، الكويت ، ٢٠١٣.

(٢) للمزيد حول العلاقة بين الجريمة وخطط التنمية ينظر :

سيد شوربجي عبد المولى ، تأثير الجريمة على خطط التنمية الاجتماعية والاقتصادية في الوطن العربي ، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب ، الرياض ، ١٩٩٤

(٣) ذياب موسى البداينة ، واقع وآفاق الجريمة في الوطن العربي ، أكاديمية نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، ٢٠٠٣ ، ص٤٩.

(٤)أكرم عبد الرزاق الهاشمي ، واقع الجريمة واتجاهاتها في الوطن العربي ، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية ، الرياض ، ٢٠٠٥ ، ص٢٦.

الأمن الثقافي في نهج البلاغة
قراءة في استراتيجيات وقايته من
منظور الإمام علي (عليه السلام)

Cultural Security in the Road of Eloquence
Reading on Strategies from Imam)
(Ali Perspectives

أ.م. سمية حسنعليان
أستاذة مساعدة في اللغة العربية وآدابها بجامعة أصفهان
Asst. Prof. Sumeia Haasan`alyan, Iran

ملخص البحث:

لا يخامرنا شك أن الإنسان موجود اجتماعي ولا بد من القدوة ليقتدي بها في حياته وقد اكد النص القرآني الأمر بصراحة والتراث ليس مما انقضى ومضى وخاصة إذا كان هذا التراث يتعلق بالأئمة الأطهار (عليهم السلام)؛ وهذا هو الذي يبعث آمال الأمة ويلهم و مشاعرهم، والانقطاع عنه يؤدي إلى هدم الأساس الذي تقوم عليه الحضارة الإسلامية وفي زماننا هذا إذا أردنا أن نستعيد أمجادنا وحضارتنا ما علينا إلا أن نتوجه إلى ما ترك هؤلاء الطيبون لنا بما يناسب وحاجات مجتمعنا الإسلامي؛ فضلا أن عدم الاهتمام بهذا التراث أو ضعف الاهتمام به يؤدي إلى أزمة فكرية في تربيتنا المعاصرة تتمثل في تجاهلنا لقيمته وأهميته في بناء شخصية الأمة وإعطائها الهوية الثقافية المميزة. ويجد المتأمل في التراث الإسلامي كثيرا من المصادر والشخصيات التي تصلح أن تكون أسوة أو برنامجا مناسبا للتقدم في طريق السعادة، ومنها نهج البلاغة الذي يضم بين دفتيه كثيرا من خطب الإمام علي (عليه السلام) ورسائله وحكمه التي قد جمعها الشريف الرضي (رحمه الله تعالى).

ومن جهة أخرى فمن أهم الأصول في الحياة الفردية والاجتماعية هي الأمن بجوانبه المختلفة (السياسية والاقتصادية والمعنوية والاجتماعية والثقافية) وهو الذي يمهد الأرضية لوصول الإنسان إلى كماله ورشده وسعادته فضلا عن أنه من أقدس القيم الإنسانية وأعظم المنح الإلهية. ولا يمكن لنا أن نفرق بين أنواع الأمن في المجتمع فبينهما علاقة وطيدة تجعل كلا منها جزءا لا يتجزأ عن الآخر على الإنسان أن يتعرف اليها والى أسسها والعوامل المؤثرة في تقويتها وتطويرها وضعفها و.. وخاصة في العصر الحالي الذي يتميز بالغزو الثقافي وتشويه القيم الثقافية ومسخها.

وانسياقا من هذا يستهدف البحث إلى دراسة قضية الأمن الثقافي في أحد المصادر التراثية المهمة (نهج البلاغة) ومن منظور الإمام علي (عليه السلام)، مشيرا إلى أهم الاستراتيجيات التي قد ذكرها الإمام (عليه السلام) لوقاية الأمن الثقافي وتعزيزه، مستخدما المنهج الوصفي والتحليلي.

من أهم ما حصل البحث عليه أن الإمام (عليه السلام) لم ينس قضية الأمن الثقافي وضرورته في المجتمع كما أنه قد أشار إلى أهم الموانع في الأمن الثقافي وهي إشاعة الشبهات في النظام الثقافي، والغزو الثقافي، والاهتمام بالدنيا ونسيان الآخرة، وعدم صلاحيه القادة والحكومة. وهناك من منظور الإمام (عليه السلام) عوامل لها دور مهم في حفظ الأمن الثقافي وتطويره وهي: الإيمان بالله تعالى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والعلم والبصيرة، وقيام العدل، واختيار القدوات الصالحة، والمحافظة على العلاقات الأسرية وتوطيدها، وتقوية الثقة في النفس وتعزيزها.

الكلمات الأساسية: نهج البلاغة، الأمن الثقافي، الاستراتيجية

Abstract:

One of the main principles of the individual and social life is security with its angles political, economic, spiritual, social and cultural paving the way for man to perfection, sapience and felicity. However it is one of the most sacred human values and the greatest divine bless. In time there is no way to distinguish between the types of the security in the society as there is a tight bond between them casting them as appurtenances; man is to perceive them all, their foundations and factors to solidify, to develop them and so forth, in particular the present time steeped in the cultural invasion, distortion and disfigurement to the cultural values. As such the research study tackles the cultural security in one of the most important sources; the Road of Eloquence from the imam Ali perspective and refers to the most essential strategies the imam mentions (Peace be upon him) to shield and to buttress the cultural security adopting the analytic and descriptive approach. The research study finds that imam Ali never misses the cultural security and its necessity in the society, and mentions the obstacles to having the cultural security: scattering rumours in the cultural security, cultural invasion, more attention to life than doomsday and deficiency of leaders and government . From the perspectives of the imam there are certain factors to maintain the cultural security and its development : faith in Allah, biding virtue and forbidding vice , science and insight, doing justice, good vanguards selection , preserving and buttressing the familial bonds, solidifying and reinforcing self-confidence

١ـ المقدمة:

من القضايا التي لا بد من توفرها لبناء مجتمع متين قضية الأمن، وهي من المعايير المهمة في معرفة الدولة أو الحكومة الموفقة من غيرها وهذه القضية هي التي لها جوانب وأبعاد متعددة وكلها يستحق العناية. ولعلنا عندما نذكر الأمن، أول ما يتبادر إلى الذهن هو الأمن النظامي والعسكري؛ لأنه لا شك أن في ظله ستتحقق الجوانب الأخرى للأمن كالأمن الاقتصادي، والمعنوي والسياسي والاجتماعي والثقافي .

والعصر الذي نعيشه يمتاز بكثرة المعلومات وسرعة انتقالها والصراع الفكري حتى سمي عصر التكنولوجيا؛ والاستعمار الذي يبحث دائما عن طرق جديدة للسيطرة على الشعوب الأخرى فما زال يحرص على السيطرة على الفكر والثقافة مغيّرا جلده، مطورا وسائله، مستخدما طرقا أكثر مكرا وفتكا. وقد اعترف بهذا الأمر أحد علماء الغرب قائلا إن الاستعمار الثقافي يتغير في الشكل والمضمون طبقا لمراحل الغزو، التوسع الاستعماري في العالم الثالث كما أنه يتكيف طبقا للواقع الوطني وطبيعته في كل منطقة واستراتيجية التدخل السياسي غير المباشر من جانب القوة الاستعمارية تعتمد إلى حد كبير على الحرب الإيديولوجية والثقافية (عبدالرحمن، ١٩٨٤م، ٤٩).

ومن جهة أخرى فإن للمسلمين تراثا ضخما مليئا بالقيم والمفاهيم العالية، فما على المسلم إلا أن يرتبط بأصوله وتراثه ليتخلص من مخاطر تهدد هويته وانتمائه وثقافته. ولا بد من استعادة المسلمين هويتهم الضائعة وثقافتهم الأصيلة ليبنوا أو يحيوا حضارتهم من جديد ويتحصنون بالأمن الثقافي.

ومن هذا التراث الخالد للمسلمين نهج البلاغة الذي يعرض لنا مجموعة من الخطب والرسائل والحكم للإمام علي (عليه السلام)، بأسلوب أدبي رائع يبهر الألباب ويجذب الأسماع. وفيه من الدروس والمواعظ التي جعلته كنزا لا ينفد، إذ هو يضم المفاهيم والمضامين العالية في الموضوعات المتنوعة السياسية والاقتصادية والثقافية والدينية، إذ اقتحم الإمام لجة هذه الجوانب كلها ونثر على قارئه الدرر الثمينة التي استخرجها من أغوارها وهذا الكتاب في الحقيقة نتاج المدة القصيرة لحكومة إنسان إلهي على الأرض والذي صادف كثيرا من الأزمات الداخلية فخرج منها مرفوع الرأس. وبإمكان المتأمل فيه أن يأخذها ويخطط على أساسها لحياته أو للمجتمع، وينظر إلى الحياة من منظور الإمام عليه السلام.

ونظرا لأهمية هذا الكتاب الذي يكون تاليا للقرآن الكريم فإحياء هذا التراث أمر ضروري للغاية ولن يكون على عاتق الشيعة فقط، بل على المسلمين كلهم أجمعين أن يهتموا به كاهتمامهم بالقرآن، شرحا، وتفسيرا، وفهما، و....

ولعله تكفينا الإشارة إلى أقوال بعض العلماء لبيان أهمية نهج البلاغة وضرورة الاهتمام به:

قال ابن أبي الحديد في مقدمة شرحه على «نهج البلاغة» :«علي (عليه السلام) إمام الفصحاء وسيد البلغاء، وعن كلامه قيل دون كلام الخالق وفوق كلام المخلوقين ومنه تعلم الناس الخطابة والكتابة» (ابن أبي الحديد، مقدمة الشرح، ١ : ٨). وقال الشيخ محمد عبده (مفتي مصر الأسبق) في مقدمة شرحه: «وبعد، فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب «نهج البلاغة» مصادفة بلا تعمّل أصبته على تغيّر حال، وتبلبل بال، وتزاحم أشغال، وعطلة من أعمال، فحسبته تسلية، وحيلة للتخلية، فتصفحت بعض صفحات، وتأملت جملاً من عباراته، من مواضع مختلفات، ومواضيع متفرقات. فكان يخيّل لي في كل مقام أن حروباً شبّت، وغارات شنّت، وللبلاغة دولة، وللفصاحة صولة ... بل كنت كلما انتقلت من موضع إلى موضع، أحس بتغيّر المشاهد، وتحوّل المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يعمره من المعاني أرواح عالية في حلل من العبرات الزاهية، تطوف على النفوس الزاكية ... وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً لايشبه خلقاً جسدانياً، فصل عن الموكب الالهي، واتصل بالروح الانساني ... وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة، وأولياء أمر الأمة، يعرفهم مواقع الصواب، ويبصّرهم مواضع الارتياب، ويحذرهم مزالق الاضطراب، ويرشدهم إلى دقائق السياسة، ويهديهم طريق الكياسة ... وليس في وسعي أن أصف هذا الكتاب بأزيد ممّا دلّ عليه اسمه، ولا أن آتي بشيء في البيان مزيّته فوق ما أتي به صاحب الاختيار» (عبده، مقدمة الشرح، ٣).

هذا والآن أمام هذا الواقع الذي نعيشه ويشهد الأزمة والصراع فلا بد من المواجهة بسياسة تخطيطية ثقافية لنتجاوز المخاطر التي تهدد هوية المسلم المعاصر وانتماءه وفكره وثقافته و... وذلك لن يتحقق إلا بنهضة ثقافية شاملة ترتكز على التراث والمقومات الروحية وأصول الثقافة الأصلية.

وانسياقا من هذا انطلق البحث هذا لتحديد مشكلة البحث بالسؤال الرئيس الآتي:

ما الاستراتيجيات التي سيحصل عليها المتأمل في نهج البلاغة للاحتفاظ بالأمن الثقافي في المجتمع؟

ولعل أهمية دراسة هذا الموضوع وضرورة البحث عن هذه الاستراتيجيات تكمن في التعرف الى مدى محاولة الاستعمار للسيطرة على الشعوب والإضرار بأمنها وسعيها لوضع الاستراتيجيات التي تمكنه من الهيمنة على أفكارها وقطعها عن أصولها التاريخية وتحويل مسارات الثقافة لديها إذ يجعل الشعوب تبتعد عن أصالتها وتخضع له وتساق في إطار من التبعية.

وللإجابة عن هذا السؤال استخدم البحث المنهج الوصفي، ولقد حرص على الدقة في تنظيم الفكرة وتقسيم الموضوع إلى أفكار والترابط الوثيق بين أجزائها، فلم يكن بد من الخوض في غمار موضوع الأمن الثقافي وعرض تعريف له، وأهميته وضرورته وكذلك هناك إشارة موجزة إلى نهج البلاغة بوصفه تراثا نفيسا إسلاميا يضم بين دفتيه كثيرا من المعارف العالية والمعاني القيّمة التي تفيد المجتمعات في كل عصر وزمان.

أما بالنسبة إلى خلفية البحث فيجدر بأن نشير إلى أن عدد الدراسات والبحوث التي أجريت في نهج البلاغة هي كثيرة تكاد لا تعدّ ولا تحصى ومرد ذلك أهمية نهج البلاغة لا من الجهة الأدبية فقط، بل للمضامين العالية التي يحتويها وتكفي أن تكون نهجا كاملا لتخطيط برنامج شامل لمختلف أبعاد الإنسانية ليحصل الإنسان على سعادته ورشده وهدايته. وكذلك هناك دراسات في قضية الأمن والهوية و... ولكن بالنسبه إلى الأمن الثقافي في نهج البلاغة وإستراتيجيات الإمام في حفظه فلا نكاد نحصل على بحث كامل واف يؤدي حق الموضوع.

ومن أهم مصطلحات البحث هي:

نهج البلاغة: الكتاب الذي جمع فيه الشريف الرضي بأسلوب وحيد روايات منتقاة من خطب ورسائل وحكم للإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) ويحتوي على ٢٤٢ خطبة وكلاما، و٧٨ رسالة وكتابا، و٤٩٨ حكمة. وقد حظي هذا الكتاب الشريف عبر القرون باهتمام بالغ من أعلام البلاغة والأدب والشرح والتعليق و.. وتداوله علماء أهل البيت ﷺ جيلا بعد جيل. وفي الكتاب مجموعة من الإرشادات التي تعدّ في الحقيقة مواصلة الدستور الإلهي المنزل في الكتب السماوية لسلوك الإنسان في حياته الدنيوية لتوفير سعادة الدارين والوصول إلى الكمال الذي خُلق من أجله وإتماما للحجة.

الأمن الثقافي: أحد أنواع الأمن الذي يستحق الاهتمام والدراسة وهو ضرورة استراتيجية ملحة لضمان بقاء كل أمة مستقلة قوية إذ يُعدّ أحد جوانب الأمن القومي الذي يشمل أيضا الأمن الاجتماعي والعسكري والسياسي والاقتصادي. ويُعنى بالأمن الثقافي «الحفاظ على المكونات الثقافية الأصلية في مواجهة التيارات الثقافية الوافدة أو الأجنبية المشبوهة وهو بهذا المعنى حماية وتحصين للهوية الثقافية من الاختراق والاحتواء من الخارج كما يعني الأمن الثقافي حماية المؤسسات والأدوات الثقافية من الانحراف والارتفاع بها عن العجز والقصور وتعزيز التوجهات السليمة وانتقاد التوجهات الشاذة والمتطرفة» (محمود النجيري، ١٩٩١م، ١٥).

الاستراتيجية: لفظة استراتيجية مشتقة من الكلمة اليونانية «Stratégos» التي تعني القائد العسكري والتي تتكون من كلمتين «Stratos et Agein» الأولى تعني الجيش والثانية تعني القيادة.

وإصطلاحا: وجدت عدة تعاريف للاستراتيجية إذ يحاول كل واحد من رواد الفكر الاستراتيجي تعريف الاستراتيجية من الزاوية التي رآها منها. منها «هي الأفق التصوري أو الكيفية التي تجعل المؤسسة تجيب على التساؤلات التالية: ما هي مؤسستنا؟ ما مهمة المؤسسة؟ ما الذي يجب أن يكون أهدافاً للمؤسسة مقارنة بالسوق، الموارد، القدرات الإبداعية، الأرباح، تكوين الأفراد والمسؤولية الإجتماعية؟ وقيل كذلك إنها: «خطة متجانسة مدمجة أهدا ف وسياسات المؤسسة، وأيضا على أنها الكل أو هي المجموع المكون من تصورات، قرارات، تصرفات بهدف تحديد الغايات العامة والأهداف، الوسائل التي تسمح بتحقيق هذه الغايات وبتقييمها ومراقبة الأداء الناتج عن هذا التنفيذ» وتُعرّف ايضا بأنها «عملية تحديد الأهداف والخطط والسياسات المناسبة للظروف البيئية التي تعمل في ظلها المنظمة، والتي تتضمن عملية تحديد وتقويم البدائل المتوفرة أو هي مجموعة السياسات والأساليب والخطط والمناهج المتبعة من أجل تحقيق الأهداف المسطرة في أقل وقت ممكن وبأقل جهد مبذول» (الدوري، ٢٠٠٥م، ٢٤ـ٣٦ نقلا عن العلماء في هذا المجال).

٢ـ نهج البلاغة؛ نهج الحياة السعيدة:

جَمَع هذا الكتاب من قِبل الشريف الرضي أواخر القرن الثالث الهجري، واختاره وانتخبه من كلام أمير المؤمنين علي بن أبي طالب، ويدور على ثلاثة أقطاب، أولها: الخطب والأوامر، ثانيها: الكتب والرسائل، ثالثها: الحِكَم والمواعظ.

الشهيد مرتضى المطهري في كتابه القيم «سيرى در نهج البلاغة»، اعترف بأن الموضوعات التي اشتمل عليها نهج البلاغة كثيرة، بحيث كأنه لا يمكن إحصاؤه إلا أنه قسمها إلى العناوين العامة الاتية: الإلهيات وماوراء الطبيعة، والسلوك و العبادة،و الحكومة و العدالة، الدنيا وحب الدنيا، الايثار و الشجاعة، والملاحم والغيبيات الدعاء و المناجاة، الشكوى من أهل زمانه، والأصول الاقتصادية، والإسلام والقرآن، والأخلاق وتهذيب النفس، والشخصيات (المطهري، ١٩٩٢م). ويبدو أن ثمّة علـلاً متعددة ومتضافرة أُجدت «لنهج البلاغة» الخلود والبقاء منها:

١- إن السبب المهم يتمحور حول شخصية أمير المؤمنين (عليه السلام) الفذّة، وجامعيته للصفات والخصال التي تجلّت في كلامه.

٢- إن فصاحة كلام أمير المؤمنين (عليه السلام) وبلاغتها التي اعترف بها الأدباء والفصحاء والخطباء، تأتي بعد القرآن في المرتبة.

٣- تنوع المفاهيم وجامعية الكلمات التي لايحسّ المرء معها أنه أمام كتاب سياسي، أخلاقي، عقائدي، وتاريخي، و.. فقط.

٤- نهج البلاغة يعكس تاريخ التطورات السياسية التي مرت على المجتمع الإسلامي بعد الجاهلية، وخاصة بعد رحيل النبي (صلى الله عليه وآله).

٥- انطوى نهج البلاغة على تصوير دقيق لنفسيات الناس المختلفة، وبتعبير آخر انه اشتمل على نوع من علم النفس الاجتماعي.

٦- هذا الكتاب كلما ولج ميداناً خاض فيه إلى اوجه وكماله، فخطبة همّام والقاصعة، فيهما ترسيم دقيق لملامح المتقين .وعهده إلى مالك الاشتر مشحون بصفات من يتصدّي للحكم وإدارة البلاد. ووصيته إلى الامام الحسن (عليه السلام) حفلت بأنواع الوصايا والسلوك الاجتماعي والفردي. وخطبته الأولى فيها التذكير بعظمة الخالق وعجائب خلقه .وخطبة الشقشقية، فيها تلميح إلى الحوادث المريرة التي أعقبت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، والمحن التي تعرض لها أهل البيت (عليه السلام). والخطبة (١٧٦) فيها تمجيد القرآن الكريم، وحثٌ على استجلاء عجائبه وغرائبه (المصدر نفسه).

٣ـ الأمن الثقافي؛ الضرورة والأهمية:

علاقة الأمن بالثقافة أمر واضح وبدهي ولعل الأمن الثقافي من المصطلحات التي يصعب عرض تعريف محدد له. ولتحديد معنى الأمن الثقافي والحصول على تعريف محدد فمن الضروري أن نعرض التعريف لكلا المصطلحين الأمن والثقافة.

وكما أن الإنسان يحتاج إلى الماء والهواء لاستمرار حياته فيحتاج إلى الأمن في كل الأبعاد ليكمل حياته المعنوية. وقد ذكر القرآن الكريم مستعينا بتمثيل لبيان الدور الفعال للأمن في نمو المجتمع: «وَضَرَبَ الله مَثَلًا قَرْيةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ الله فَأَذَاقَهَا الله لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يصْنَعُونَ» [النحل ١٦: ١١٢] بحيث أن الأمن كأرض لا بد من زرع بذور الاقتصاد والثقافة والسياسة و... لكي نستطيع أن تقطف الأثمار الشهية. وذكر الله تعالى في هذه الآية الأمن ضمن الخصائص الثلاث للقرية المعمورة: الأمن والإطمئنان والرزق الواسع.

أما الثقافة فعرّفها إدوارد تايلور في كتابه الثقافة البدائية إذ اهتم بدراسة الثقافة في كل أنماط المجتمعات وفي أوجهها المتعددة، قائلا: «الثقافة أو الحضارة بمعناها الإناسي الأوسع، هي ذلك الكل المركب الذي يشمل المعرفة والمعتقدات والفن والأخلاق والقانون والأعراف والقدرات والعادات الأخرى التي يكتسبها الإنسان باعتباره عضواً في المجتمع» (آشوري، ١٣٩٣.ش، ٣٩).

نلاحظ أن تايلور في تعريفه الوصفي والموضوعي للثقافة يرى أنها مكتسبة ولا تنشأ عن الوراثة وتعبر عن شمولية الحياة الاجتماعية للإنسان.

وقد ورد في تعريف آخر للثقافة بأنها: «مجموعة معقدة من الخصائص الفكرية، والمادية والمعنوية وهي تعتبر ميزة لمجتمع أو مجموعة اجتماعية ما، ولا تشمل الفنون والآثار الفنية بل تحتوي على الأبعاد المختلفة للحياة الإنسانية، حقوقهم، ونظمهم العقائدية وقيمهم» (گزارش سمينار آموزشى، د. ت، ٩٤).

فالثقافة تصنع الهوية الإنسانية ومن الميزات التي يتميز بها الإنسان عن الحيوان فالإنسان ليس موجدا ثقافيا فحسب بل بإمكانه أن يولّد الثقافة ويصنعها. وهي حصيلة حياة الإنسان الاجتماعية والوجه المعنوي والفكري للحضارة الإنسانية وكأنها مرآة تعكس كل النتاج العلمي والعقلي لقوم ما.

وذهب أحد العلماء المعاصرين إلى أن تهديد الهوية الوطنية بؤبؤ التهديدات الأمنية الثقافية في المجتمع إذ

يسعى لفصل الهويات الثقافية والقومية بين المجموعات في البلد وأن قابلية حفظ القدوات التقليدية: للغة، والثقافة والمذهب، والهوية ستتحقق في أرضية مناسبة للأمن الثقافي (بوزان، ١٣٧٨، ٣٤). وقيل إن الأمن الثقافي هو ظرفية المجتمع للاحتفاظ بميزاته الخاصة أمام التغيرات في الظروف والتهديدات المادية والمعنوية، حيث يحتفظ المجتمع على الثقافة واللغة والآداب والطقوس الوطنية أو الدينية مع أنه يسمح بحدوث بعض التغييرات المقبولة (فرست، ٢٠٠٤م، ٢).

فالجدير بالذكر أن إدارة الصراع الحضاري والثقافي الذي ما زال بين المسلم والغربي، تتطلب الوعي العميق والانتماء العظيم لمكونات الأصالة في الثقافة الإسلامية كما أن على الغرب ألا ينكر الثقافة الشرقية وأثرها على الحضارة الغربية: «هناك نظرية جدلية عند سوردل تشير إلى العلاقة بين الشرق والغرب في إطار الاستعمار الثقافي وفحواها أن على الغربي ألا ينكر ثقافة الشرقي وتاريخه وشخصيته لأنه حينئذ يتخذ موقف الدفاع بل عليه أن يقوم بعمل يجعله يعتقد أنه مرفوض ويعتقد أنه عرق من الدرجة الثانية وأن الغربي عقلا يفكر ويصنع وعلى الشرقي فقط أن ينظم الشعر وأن ينسخ نظريات العرفان والتصوف، ومن هنا فإن أغلب مستشرقينا يوجهون كل اهتمامهم لمخطوطات الصوفية عندنا ويحققون الواحدة منها عشرات المرات، ومخطوطاتنا العلمية تتحلل في المكتبات وتأكلها الفئران ولا يعلم عنها أحد شيئا» (شريعتي، ١٩٨٦م، ٤١).

ولا يفوتنا أن نذكر أن لتقنيات الاتصال والإعلام في زماننا الحالي دورا بارزا في تأثير الثقافات بعضها في بعض وتأثرها بها حتى أن كثيرا من التغييرات الثقافية في كل بلد قد يحصل جراء هذه التواصلات بحيث ظهرت عوامل مختلفة قد تؤدي إلى بقاء الهوية الثقافية أو هدمها والأمن الثقافي من أنعم أقسام الدراسات الأمنية (فرست، ٢٠٠٤م، ١).

ويمكننا هنا أن نشير إلى بعض الدوافع الأصلية في اهتمام الحكومات بالأمن الثقافي وجعلها إياه ضمن الخطوط العريضة لسياساتهم. الدافع الأول هو دور الهوية الثقافية في النظم الحكومية وبنائها. ويعتقد أحد العلماء في هذا المجال أن القضايا الثقافية تؤثر في نظرة الناس ورؤيتهم إلى الحكومة وإذا لم يحصل الأمن الثقافي بمعناه الدقيق وضعُفت الثقافة الوطنية الأصلية لدى الناس، فستظهر الآثار السيئة للهجمة الثقافية في الأبعاد المختلفة وخاصة السياسية (بوزان، ١٣٧٨، ١٤٧). ولعل الدافع الثاني يكمن في استجابة الحكومات لحاجة الناس وطلبهم للحفاظ على قيم المجتمع ولذلك تستعين الحكومات بالأمن الثقافي والاهتمام بالهوية الثقافية التي تضمن بقاءها.

٤ـ الإستراتيجيات للمحافظة على الأمن الثقافي من منظور الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة:

في هذا القسم من البحث وبعد الإشارة إلى أهمية نهج البلاغة ومنزلته الرفيعة وعرض تعريف للأمن الثقافي، سنشير إلى أهم الاستراتيجيات التي وردت في نهج البلاغة لحفظ الأمن الثقافي في المجتمع، متأملين نص هذا الكتاب القيّم مشيرين إلى شواهد من نصه. وأهم هذه الخطوات التي تساعد الحكومات ضمن اهتمامهم بالأمن الثقافي لتلفت انتباه الناس ورضاهم:

٤ـ ١ـ الإيمان بالله تعالى وإقامة الحكومة الإلهية:

الحكومة الإلهية هي التي تحكم على المجتمع الإسلامي بالقانون الإلهي ولها ميزات خاصة وأهمها أن قطب الرحى فيها الإيمان بالله تعالى وصفاء العقيدة وفي ظلها تنسى البشرية خلافاتها وتضرب صفحا عن كل الحدود والفواصل الموهومة بينها وتتحد تحت لواء الوحدة. وهذه الحكومة تراعي مصالح الجميع وتحفظ كرامتهم وتصون أمن المجتمع في مختلف أبعاده ومنها الأمن الثقافي؛ إذ يدعو الجميع إلى عبادة الله تعالى والإيمان به وتصديق ما أوحى به إلى نبيه الخاتم (صلى الله عليه وآله) وكأن الدين يهب الناس نوعا من الأصالة وإذا راجع المسلمون في العصر الحالي إلى الدين الإسلامي وتراثهم فيه لاستعادوا أصالتهم ولن يشعروا بالضعف والدونية أمام الزخرفة الغربية.

ولا نبالغ إذا ادعينا أن المحور الأساس لموضوعات نهج البلاغة هو الدعوة إلى الإيمان بالله وتصديق نبيه إذ نلاحظ أنه مهتم بالأمر في كل خطبة ورسالة ويدعو إلى تقوى الله تعالى. إليك بعض النماذج من هذه الدعوات إلى الإيمان بالله وأهميته في نهج البلاغة:

يعتبر الإمام الإيمان بالله من أركان الدين الإسلامي قائلا: «إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ وَ تَعَالَى الْإِيمَانُ بِهِ وَ بِرَسُولِهِ» (نهج البلاغة، الخطبة ١١٠). وقال يصف الإيمان: «سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ أَنْوَرُ السِّرَاجِ فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ وَ بِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ وَ بِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٥٦).

وقال في خطبته بعد صفين: «فَالْهُدَى خَامِلٌ وَ الْعَمَى شَامِلٌ عُصِيَ الرَّحْمَنُ وَ نُصِرَ الشَّيْطَانُ وَ خُذِلَ الْإِيمَانُ فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ وَ تَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ» (نهج البلاغة، الخطبة ٢) فالواضح أن خذلان الإيمان يؤدي إلى نتائج سيئة إذ تنهار أعمدته وتندرس معالمه وآثاره، وهذا ما حدث في وقعة صفين، إذ نسي الناس موضوع الإيمان

بالله تعالى، ولو كانوا مؤمنين حقيقة لما تركوا الإمام ولأطاعوه وسمعوا منه.

وقال عندما سئل عن الإيمان مشيرا إلى أركانه الأربع: «الْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ عَلَى الصَّبْرِ وَ الْيَقِينِ وَ الْعَدْلِ وَ الْجِهَادِ» (نهج البلاغة، الحكمة ٣١).

ومن البدهي ألا حياة إلا بالأمن ولا أمن إلا بالإيمان، وسيتحقق الأمن في المجتمع من الإيمان وهو من ثمراته وقد ترسي الحكومة الإسلامية بعد استقرارها في المجتمع قاعدتين أساسيتين للأمن وهما الإيمان والعمل الصالح. إذ قال تعالى: «الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ» [الأنعام ٦/ ٨٢].

وتوضيح أن الأمن الثقافي يتحقق في ظل الإيمان بالله هو أن الدين الإسلامي قد أولى بالعقل والفكر عناية بالغة لأنه هو المدير المدبر لشؤون الإنسان وستتحقق حمايته وحفظه في ظل العقيدة الإسلامية والإيمان بالله تعالى إذ الدين يدعونا إلى تجنب الأفكار المشوهة والشركيات والانحرافات و.. وإذا تأملنا في فلسفة الأحكام الإسلامية سندرك أن الشارع الحكيم قصد وراء وضعها حماية الإنسان والعقل الإنساني، وحفظ كرامته وعرضه.

٤ـ ٢ـ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

حسبنا الإشارة إلى كلام الإمام هذا: «مَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَ الْجِهَادُ فِي سَبِيلِ اللهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَ النَّهْيِ عَنْ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ» (نهج البلاغة، الحكمة ٣٧٤) لبيان منزلة هاتين الفريضتين من منظور الإمام (عليه السلام). للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر دور فعال في تأمين الأمن وخاصة الثقافي والفكري منه، وذلك أنه عندما يرى المسلم في المجتمع الذي يعيش فيه أخاه الذي ارتكب سوءا لا يجدر به أو جنى جناية جعلت عرضه وحرمته وكرامته في خطر و.. فذكّر أخاه بالأمر ونهاه عن المنكر ودعاه إلى المعروف وأمره بالخير، فذلك لن يكون في صالح الشخص فقط، بل في صالح المجتمع كله، ومن جراء ذلك سيتحقق الأمن في المجتمع.

وفي العصر الحالي نحن المسلمين بأمس الحاجة إلى هاتين الفريضتين، لكثرة الشبهات والفتن، وصراع الإيديولوجيات والحرب الثقافية التي شنها المستعمرون والمستكبرون ضد العالم الإسلامي. وبإمكان المسلم مستخدما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أن يقي أخاه المسلم، وأهله من الاستئناس بالحضارة الغربية

المستوردة وثقافتهم التي تستهدف تحطيم إرادة الأمة الإسلامية في استعادة مجدها وعزتها وتهدّم معنوياتها بإغراقها في بحر من التحلل والانهيار.

قال الإمام عليه السلام: « ممن كن فيه ثلاث سلمت له الدنيا و الاخره: يأمر بالمعروف و يأتمر به و نهى عن المنكر و ينتهى عنه و يحافظ على حدود الله جل وعلا» (الآمدي، ١٩٨٧م، ٢: ٢٣٦). وهل توجد عبارة أدل على وجود الأمن في ظل الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر من هذا الكلام، إذ عدّ الإمام الشخص الذي فيه هذه الصفات من الذين يسلمون من شر الدنيا والآخرة، فهل سلامة الدنيا والآخرة تعني غير مفهوم الأمن؟!!

وهنا يلفت انتباهنا عبارة «يأتمر به .. وينتهي عنه» إذ تشير إلى لزوم تحلي الآمر بالمعروف والناهي عن المنكر ببعض خصال وتميّزه بميزات منها أنه يعمل بما يأمر ولا يفعل ما ينهى عنه، وذلك لأنه إذا كان كذلك فيتمتع بسلامة النفس أولا؛ إذ قلبه نقيّ ويخلو من كل غلّ وحسد وحقد على إخوته المسلمين، ويتبادر إلى إرشادهم وأن لكلامه أثرا ووقعا كبيرَين في المخاطب والمتلقي ثانيا.

قال الإمام علي (عليه السلام)، مبينا الهدف الرئيس للدين الإسلامي: «غاية الدين الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وإقامة الحدود» (الآمدي، ١٩٨٧م، ٢: ٤٥). وذلك لو دل على شيء ليدلّ على مكانة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في العقيدة الإسلامية، لأنه ما دام يحيى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر في المجتمع ولن يشعر أحد باللامبالاة تجاه أفعال أخيه في الدين فلن يرضى أبناء الأمة الإسلامية بالهوان ولن يستمرئوا المذلة ولن يستعذبوا الواقع بلا طموح.

كما أنه ثمة ملحظا نفيسا هو أن قسما من فريضتي الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على عاتق الحكومة الإسلامية، إذ تستطيع بهما أن تحيي الهوية الدينية والإسلامية لدى أبناء الشعب كما أشارت الآية الكريمة: «الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ» [الحج ٢٢: ٤١]. وتمهيد الأرضية لذلك يتحقق باهتمامها بأمر الصلاة والزكاة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولا شك أن كل هذه الأصول الأربع لها دور في ضمان جانب من الأمن، مثلا الصلاة وإقامتها تؤثر في الأمن النفسي لدي كل مسلم، إذ بعلاقته بخالقه رب العالمين يستعيد قواه ويعود إلى فطرته السليمة، وبالزكاة سيتحقق الأمن الاقتصادي وأن كل مسلم يهمه وضع أخيه المسلم الاقتصادي، ومن خلال ذلك يُستأصل الفقر في المجتمع. الفقر الذي إذا اتسع رقعته عند الشعب ستترتب عليه مشاكل كثيرة لا بد منها ولا مهرب منها بسهولة.

وفي ظل هذه الفريضة يتمكن المجتمع الإسلامي أن يكشف نفسه وقدراته ويعود إلى أصالته والقيم الإسلامية الأصيلة وينهض ويستيقظ من سباته، وإذا حصل ذلك فلن يستطيع أحد أن يقاومه، وهذا ما لاحظناه في العالم الإسلامي والعربي بعد الثورة الإسلامية في إيران، إذ تأسى بها كثير من البلدان واستدركوا أن طريق الصحوة هي العودة إلى أصولهم، وتراثهم، ومعرفة تاريخهم والاعتماد على عقيدتهم. ولم تكن الثورة الإسلامية إلا استمرارية للنهضة الحسينية (عليه السلام) لمحاربة الظلم والطغيان والفساد الاجتماعي والتدهور الاقتصادي، وفي الحقيقة حدثت هذه الثورة بعودة الشعب الإيراني إلى التراث الإسلامي وما وجدوا في التاريخ الحسيني من العبر والدروس لمحاربة الظلم، فتأسوا به فلم يساوموا الاستكبار.

٤ـ٣ـ إشاعة العلم والبصيرة:

يؤمن الإسلام بالعلم وبقدرته الفائقة على الخلق والإبداع. ولقد رفع الله في كتابه من شأن الذين آمنوا وعملوا، فقال: «يَرْفَعِ اللهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجاتٍ» [المجادلة ٥٨: ١١] وميز بين الذين يعلمون والذين لا يعلمون فقال سبحانه: «قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ» [الزمر ٣٩: ٩]. ولذلك دعا الإمام علي عليه السلام إلى تعلم القرآن والتفقه فيه أكثر من مرة في نهج البلاغة: «وَ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَداً بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ فَإِنَّهُ حَبْلُ اللهِ الْمَتِينُ وَ سَبَبُهُ الْأَمِينُ وَ فِيهِ رَبِيعُ الْقَلْبِ وَ يَنَابِيعُ الْعِلْمِ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٧٦).

ولعل تأكيد الإمام الذي يُعتبر القرآن الناطق بين الناس هو يهدينا إلى أن الإمام كان يفكر في مشروع الثقافة القرآنية، علما بأن المجتمع الإنساني دائب الحركة والتطور ولكن لا بد من ضوابط أساسية ثابتة تنظم حركته وتحكم اتجاهه وهذه الضوابط تشبه العمد في البناء، وهي ثابتة متينة لا تتحرك ولا تتزلزل وكلما رأى الناس أنفسهم في مشاكل وفقدوا أنفسهم في خضم الشبهات والفتن فيكفيهم أن يعودوا إلى هذا القرآن وثقافته الثابتة العزيزة الدعائم، ليستعيدوا مجدهم وعزهم وأصالتهم.

وفي ضمن هذا المشروع القرآني فعلى الشباب المسلمين ألا يتوانوا في تحصيل العلم والمعرفة في جميع مجالات الحياة الدنيوية والمعنوية، وليعرفوا أن سر انتصارهم على الأعداء يكمن في هذه المعرفة والعلم، وإذا كان سعيهم في طلب كلا العلمين فتكون النتيجة عظيمة لهم، إذ سيسيرون في طريق الرقي والسعادة، وسيتحقق الأمن للثقافة الإسلامية الأصيلة في المجتمع.

فقد كثر كلام الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة عن العلم حتى يقتضي الموضوع دراسة مستقلة؛

إذ يتحدث الإمام عن أنواع العلم، وطرق اكتساب العلم، وعلم أهل البيت (عليهم السلام)، وفضل العلماء، وآفة العلم.

وعدّ الإمام عليه السلام قلوب البشرية مستودع العواطف والمشاعر، وإما تتفاضل بمدى وعيها قيم الحق، وقسّم الناس على ثلاثة أقسام: «إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ النَّاسُ ثَلَاثَةٌ فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ وَ مُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ وَ هَمَجٌ رَعَاعٌ أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ» (نهج البلاغة، الحكمة ١٤٧).

ولعل مصطلح (همج رعاع) في زمننا الحاضر مناسب للفئة التي يتركون كل ما عندهم من التراث والقيم والمفاهيم ويتبعون أصحاب الدعوات الوهمية لأنهم لم يحصلوا العلم والبصيرة، ليروا الحقيقة وقد مالت عيونهم إلى هذه الزخرفة والحياة الدنيوية.

وقال مبينا ضرورة عمل العالم بالعلم الذي عنده، وهذا أمر مهم وخطير جدا، لأن الناس إذا شاهدوا العالم لا يعمل بعلمه ويدعو الناس إليه فلعلهم يكرهون العالم والعلم: «فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ عَمَلَهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ إِلَّا بُعْداً مِنْ حَاجَتِهِ وَ الْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَ سَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ» (نهج البلاغة، الخطبة ١٥٤).

وأما البصيرة وهي تكليفنا وخاصة في الظروف التي نعيش فيها إذ نشهد اليوم مواجهة مشروع السلفية التكفيرية الدموية، فهي أن نجمع المعلومات ونتعرف التراث الغني عندنا ونقوم بتحليلها في الدائرة الأوسع؛ مستعينا ببصيرة الولي البصير ونعمة الإيمان والولاء. قال الإمام علي (عليه السلام): «فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ، وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي» (نهج البلاغة، الخطبة ١٠٥).

وفي ظل هذا الاهتمام بالعلم والبصيرة فينبغي أن «يصلح روح التعليم ويصاغ صوغا جديدا يلائم عقائد الأمة ومقومات حياتها وأهدافها وحاجاتها ويخرج من جميع موارده روح المادية والتمرد على الله والثورة على اليم الأخلاقية والرووحية وعادة الجسم والمادة وينفخ فيه روح التقوى والإنابة إلى الله وتقدير الآخرة والعطف على الإنسانية كلها فمن اللغة والآداب إلى الفلسفلة وعلم النفس ومن العلوم العمرانية إلى علوم الاقتصاد والسياسة والاجتماع لا تسيطر على كل ذلك إلا روح واحدة ويقصي استيلاء الغرب العقلي

ويفكر بإمامته وسيادته ونجعل علومه ونظرياته موضع الفحص والدراسة الجريئة نأخذ منه ما يوافق حاجاتنا ورغباتنا وعقيدتنا وثقافتنا» (الحسيني الندوي، ١٩٨٠م، ١٢٦).

٤ـ٤ـ الاهتمام بالعدالة:

قد أولى الإسلام أهمية بالغة للعدل وإجرائه ونهى عن اتخاذ المسلم موقف الحياد أمام الظلم بل فرض عليه أن يقوم بالصلح بين طائفتين من المؤمنين اقتتلا: «وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا» [الحجرات ٤٩: ٩] ولقد وعد الله تعالى بالنصر تثبيتا لموقع العدالة وإظهارا لمدى اهتمامه به: «أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا وَإِنَّ اللهَ عَلَى نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ» [الحج ٢٢: ٣٩] ويتمثل العدل في النظام الإسلامي في الأحكام والقوانين فلا شيء في هذا النظام إلا وينطلق من منطلق العدل ولا شيء إلا وهو يهدف تحقيق العدل في الحياة البشرية. والإمام عليّ عليه السلام يرى أنّ من أهمّ واجبات الحاكم هو إقامة العدل: «وايم الله لأنصفنّ المظلوم من ظالمه ولأقودنّ الظالم بخزامته حتّى أورده منهل الحقّ وإن كان كارهاً» (نهج البلاغة، الخطبة ١٣٢).

وللإمام بيانات كثيرة قيمة في العدل وضرورة إقامته في المجتمع وأبعاده المختلفة و... قال موصيا الأشتر: «وَلْيَكُنْ أَحَبَّ الْأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطُهَا فِي الْحَقِّ وَ أَعَمُّهَا فِي الْعَدْلِ وَ أَجْمَعُهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ» (نهج البلاغة، الرسالة ٥٣). وقال أيضا: «إِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ وَ ظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ و إِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ وَ لَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ الْأُمُورِ وَ قِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ» (المصدر نفسه). وكتب إلى الأسود بن قطبة: «أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ مَنَعَهُ ذَلِكَ كَثِيراً مِنَ الْعَدْلِ فَلْيَكُنْ أَمْرُ النَّاسِ عِنْدَكَ فِي الْحَقِّ سَوَاءً فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي الْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ الْعَدْلِ فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ» (نهج البلاغة، الرسالة ٥٩).

وعندما سئل أيهما أفضل العدل أو الجود قال: «الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا وَ الْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا وَ الْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ وَ الْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَ أَفْضَلُهُمَا» (المصدر نفسه، الحكمة ٤٣٧).

وذلك لأن العدل هو الذي يشكل طريقا للأمن في مختلف جوانبه، ومنها الثقافي والفكري، وكذلك يمثل الطريق الطبيعي لحفظ السلام العالمي، إذ هو أحسن وأفضل مآل للمجتمع.

ومن جهة أخرى فإن العدالة من أهم أركان الحكومة الإسلامية؛ لأنها حكومة القانون وبها تتمكن

مـن إجـراء الأمـن. وإذا كان الحـكام مهتمـين بالعـدل وقضايـاه في الجانـب الاقتصـادي، والسـياسي، والثقـافي والاجتماعـي، و.. فسـتحل المشـاكل العديـدة التـي تعـاني منهـا الشـعوب اليـوم مـن الفقـر والحرمـان، وعـدم الاسـتقلالية الاقتصاديـة، وضيـاع الهويـة السياسـية، والشـعور بالدونيـة، وعـدم الاهتـمام بالـتراث والثقافـة، و..

لعلـه يحسـن في هـذا الصـدد أن نشـير إلـى أن الاسـتبداد والاسـتعمار كانـا يحـاولان أن تكبحـا جمـاح الشـعوب باسـتخدام القهـر والعنـف والقـوة، ولكـن لاحظـا بعـد مـدة أن الإرغـام والقهـر والعنـف لا تفيدهـم وبـدأ الشـعوب يقاومـون أمامهـم، وقـد ينفجـر الظلـم إذا اجتمـع شـيئا فشـيئا، ولذلـك قـد غـير المسـتعمرون والمسـتكبرون طرقهـم وبدّلـوا جلودهـم وأتخـذوا المكـر أسـاس سياسـتهم وأدركـوا أنهـم إذا دخلـوا في أفـكار النـاس وغـيروا المفاهيـم في أذهانهـم فيكـون سـبيل الوصـول إلـى الغايـة أسـهل، فبدلـوا القيـم الأساسـية للثقافـة الإسـلامية ويوحـون إلـى أبنـاء الشـعوب الإسـلامية بـأن تخلفهـم نتـاج ثقافتهـم، حتـى ينظـر الشـعب إلـى ثقافتـه نظـرة ازدراء لأنهـا في نظرهـم شيء يشـدهم إلـى الخلـف ومـن جـراء ذلـك يريـد الشـعب التخلـص مـن هـذه الثقافـة المزريـة ومـن هنـا يدخـل الاسـتعمار ويحـاول إعـادة صياغـة الثقافـة والعقـل وأسـاليب الحيـاة علـى الأسـس التـي يريدهـا فتتبـدل الأخـلاق والعـادات والتقاليـد إلـى ذلـك النمـط.

٤ـ ٥ـ اختيار القدوات الصالحة:

فـلا شـك في أهميـة القـدوة ودورهـا العظيـم في التربيـة الإنسـانية وبـما أن الإنسـان يحتـاج في حياتـه الاجتماعيـة إلـى برنامـج كامـل ليوصلـه إلـى الرشـد الـذي هـو الهـدف الأسـاسي لمنهـج التربيـة في الإسـلام وذاك هـو المرحلـة التـي يسـتطيع الإنسـان فيهـا أن يختـار مـا يصلـح دينـه ودنيـاه. وأن القـرآن نفسـه يعـرّف للنـاس قـدوة لينتهجـوا منهجهـم ويسـلكوا سـبيلهم ومنهـم سـيدنا محمـد ﷺ: «لَقَـدْ كَانَ لَكُـمْ فِي رَسُـولِ اللهِ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ لِمَـنْ كَانَ يرْجُـو اللهَ وَالْيَـوْمَ الْآخِـرَ وَذَكَـرَ اللهَ كَثِـيرًا» [الأحـزاب ٣٣: ٢١]، والنبـي إبراهيـم ﷺ: «قَـدْ كَانَـتْ لَكُـمْ أُسْـوَةٌ حَسَـنَةٌ فِي إِبْرَاهِيـمَ وَالَّذِيـنَ مَعَـهُ إِذْ قَالُـوا لِقَوْمِهِـمْ إِنَّـا بُـرَآءُ مِنْكُـمْ وَمِمَّـا تَعْبُـدُونَ مِـنْ دُونِ اللهِ كَفَرْنَـا بِكُـمْ» [الممتحنـة ٦٠: ٤].

نظـرة تأمـل في نهـج البلاغـة تكشـف عـن أكثـر مـن نمـوذج في كلام الإمـام ﷺ في ذكـر أهميـة القـدوة الصالحـة، منـه قبيل:

قـال الإمـام مصـورا الفائـدة المترتبـة علـى وجـود الأسـوة الحسـنة: «وَاعْلَمُوا أَنَّكُـمْ إِنِ اتَّبَعْتُـمُ الدَّاعِـيَ لَكُـمْ سَـلَكَ بِكُـمْ مِنْهَـاجَ الرَّسُـولِ وَ كُفِيتُـمْ مَئُونَـةَ الِاعْتِسَـافِ وَ نَبَذْتُـمُ الثِّقْـلَ الْفَـادِحَ عَـنِ الْأَعْنَـاقِ» (نهـج البلاغـة، الخطبـة ١٦٦).

وقال أيضا معرفا نفسه أسوة حسنة للناس تعريفا بالمثال: «إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ كَمَثَلِ السِّرَاجِ فِي الظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا فَاسْمَعُوا أَيُّهَا النَّاسُ وَ عُوا وَ أَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا» (نهج البلاغة، الخطبة ١٨٧).

ولعل من أهم المعالم التربوية التي اعتمدها الإمام في تربية إنسان مؤمن هو الاهتمام بالأسوة، فضلا عن أن القدوة الصالحة من دعائم البناء الثقافي في فكر الإمام ﷺ.

وأما علاقة اختيار القدوة الصالحة ودورها في حفظ الأمن الثقافي في المجتمع فتظهر في دور القدوة في تهذيب النفوس وتزكيتها، وكلما كانت النفوس زكية ومهذبة وقد ترسخت أصول الثقافة الإسلامية الحقة الصحيحة فيها، فلن يستطيع الأعداء والمستكبرون أن يغلبوا عليها ويخضعوها تحت نير الظلم وستبقى الثقافة الإسلامية حية خالدة. ولو لم تكن أهمية الاهتمام بالقدوة جلية فلم يعمد الأعداء إلى استبدال القدوات الحسنة بالقدوات الطالحة السيئة ولم يبتكروا أشياء توافق الأهواء ولم يبذلوا قصارى جهودهم ليقنعوا الشباب بذلك من جراء أساليب الدعاية المختلفة.

إذًا التعرف الى ما دعا إليه الأئمة ﷺ هو الوظيفة المهمة على عاتقنا لنجعلهم قدوة نقتدي بهم في المجتمع للحصول على السعادة الحقيقية.

٤ـ٦ـ توطيد علاقات الإخوة وتعزيز الوحدة بين أبناء الأمة:

من الموضوعات المهمة في العالم الإسلامي التي أولاها العلماء عناية فائقة هي الوحدة الإسلامية والاتحاد الإسلامي. وجعل الإسلام الوحدة العامل الأساسي المكوّن للأُمّة لأن عليه يترتّب التعامل والتعايش وهي التي تصلح أن تكون أساس اجتماع الناس كما أنّ عدمها يوجب تفرّقهم وبطلان وصف الأُمّة في شأنهم. وهذا المهم هو الذي يخالفه المستعمرون والمستبدون في العالم إذ يرون فيها عزة المسلمين وتقدمهم وأن المسلمين إذا اتحدوا ونهجوا سبيل الإسلام الخالص فأول ما يعملون به هو مكافحة الظلم والاستبداد ولهذا يحاول هؤلاء الأعداء دائما إحباط عملية اتحاد المسلمين بشتى الطرائق. بغض النظر عن أهمية الوحدة الإسلامية في المجتمع فقد عدها القرآن الكريم من النعم الإلهية التي تؤلف بين القلوب؛ إذ إن الاختلاف والتفرقة من الأخطار التي تهدد حياة الإسلام ويصف القرآن الكريم التفرقة بالعذاب: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [آل عمران ٣: ١٠٣].

ولا خير في الفرقة والاختلاف كما قال الإمام علي (عليه السلام): «فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ وَ إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَداً بِفُرْقَةٍ خَيْراً مِمَّنْ مَضَى وَ لَا مِمَّنْ بَقِيَ» (نهج البلاغة، الخطبه ١٧٦).

من الأصول المتوخاة من القرآن الكريم وتراث أهل البيت (عليهم السلام) في سبيل تحكيم الوحدة الإسلامية هي: التمسك بالقرآن الكريم، والتمسك بأهل البيت (عليهم السلام) ومعارفهم، ومكافحة الظلم والاستبداد، والاهتمام بالشعائر الدينية المشتركة، وتحكيم العلاقات الاجتماعية الحسنة، والاطلاع على عقائد الفريق المقابل والاحترام لها، والاهتمام بالحوار، والتمسك بالصداقة واجتناب النفاق، وإحياء الوعي الديني في ظل الإسلام الخالص، الابتعاد عن التعصبات (حسنعليان، ٢٠١٦م، ص ٧٠-٧٦).

الاهتمام بتعزيز علاقات الإخوة بين المسلمين نابع عن أهمية هذه العلاقات والفوائد التي تترتب عليها ولا شك أن هذه العلاقة (الإخوة الدينية) أعم بكثير من الإخوة النسبية والرضاعية. قال الإمام علي عليه السلام: «وَلَا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَ إِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ» (نهج البلاغة، الرسالة ٥٣).

وإذا بنيت علاقة الإخوة على أساس الإيمان والتقوى فلن يختار المسلم أخاه على أساس مصالحه الدنيوية ولن يسلك سبيل الخيانة في هذه العلاقة. قال أمير المؤمنين عليه السلام مؤكدا اتخاذ الإخوة في الله:

«كل مودة مبنية على غير ذات الله ضلال والاعتماد عليها محال» (الآمدي، ١٩٨٧م، ح٦٩١٥).

وعنه: «من آخى في الله غنم، ومن آخى في الدنيا حُرِم» (المصدر نفسه، ح ٧٧٧٤).

وعنه أيضاً: «من لم تكن مودته في الله فاحذره، فإن مودته لئيمة وصحبته مشؤمة» (المصدر السابق، ح ٨٩٧٨).

ويؤكد الإمام عليه السلام أيضا المحافظة على الإخوة التي يحصل عليها الإنسان: «أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ وَ أَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ» (نهج البلاغة، الحكمة ١٢).

ولعل ملاحظة تستحق الوقوف عندها مليا في هذا المجال أن اللغة أيضا «ركن أساسي في مقومات الأمة وهي العمود لهويتها الثقافية والتعبير الأكبر والأشمل عن الثقافة فيها» (محمود النجيري، ١٩٩١م، ٢٠٣،

نقلا عن يوسف نور عوض، ص ٣٤)، «فإن الدين الإسلامي هو الذي حفظ على العرب لغتهم وجمعهم في إطار ثقافي واحد ولو لا القرآن في العرب لتفرقت لغتهم إلى لهجات إقليمية ولتباعدت حتى تصير كل واحة منها لغة بعيدة تماما عن الأخرى ولولا قيم الثقافة الإسلامية لظهر في محيط الوطن العربي ثقافات شتى تختلف كل منها عن الأخرى وكلما اقترب العرب من هويتهم الإسلامية زاد توحدهم الثقافي وتقاربهم الفكري وكلما ابتعدوا عن قيم الثقافة الإسلامية برزت أوجه الاختلاف والشقاق في اللغة والفكر والسلوك» (المصدر نفسه).

وعلى المسلمين أن يهتموا باللغة المشتركة بينهم أكثر «لأنها مفتاح فهم القرآن والدين وهي أساس التراث ووعاء الثقافة. إن فهم اللغة العربية والحذق بها هو الطريق إلى معرفة القرآن الكريم والتعمق في أسراره وأحكامه؛ لأن عروبة القرآن (أي نزوله بلسان عربي مبين) يحتم على كل مسلم أن يعرف اللغة العربية ويتمرس بها، كما أن الإلمام بها يقود الأمة الإسلامية إلى الوحدة التي تطمح إليها .كما أنه من واجب الدول الإسلامية دعم مراكز تعليم اللغة العربية في العالم أجمع وبين أبناء المسلمين الذين لا يحسنون التحدث بها، كذلك العمل على تنشيط وتوسيع الجهود الرامية إلى ترجمة أمهات الكتب في مختلف مجالات المعرفة» (مجلة البحوث الإسلامية، ١٧: ٣٢٦).

وأخيرا وباختصار شديد يمكن أن نشير إلى أن هناك عوامل بإمكانها أن تمنع تحقق الأمن الثقافي في المجتمع وبما أن هذا البحث لا يسع دراستها بصورة كاملة نذكرها بصورة موجزة؛ ألا وهي:

أ ـ الشبهات والفتن: وذلك لأنها تمزق علاقات الإخوة بين أبناء الأمة الإسلامية فعليهم أن يبتعدوا عنها وألا يركبوا مطاياها، لأن الأعداء بإشاعة الشبهات والفتن يتمكنون من إيجاد التسمم الثقافي وذلك «يتم من خلال نفي الدور العربي (الإسلامي) ومحو الشخصية الثقافية للأمة العربية (الإسلامية) بالتشكيك بقيمة الثقافة وإبراز وجهها السلبي وإحياء الثقافات الغربية لكسر وجودهم الثقافي وإبراز أزمة الهوية الثقافية» (محمود بركات، ٢٠٠٣م، ١٢٤). وذلك لأن للفتن والشبهات آثارا سلبية منها أنها تهدم جميع القيم العليا والمثل الأصيلة؛ الثابتة إما أن تكون راسخة أصلية أو موقتة فرعية، وكذلك بإمكان الفتن أن تبدل واقع الأهداف والوسائل وكما أنها تجعل الناس لا يهتمون بالأصول والقوانين الثابتة ولا يرون ضرورة في الفرق بين الحق والباطل (عبداللهي عابد، ١٣٨٦.ش، ١٤٢).

ومما ينبغي الاهتمام به هو أن للفتن آثارا إيجابية، لا بمعنى تأييدها وتثبيتها ولكن البصير المتأمل في الفتن وأسباب حدوثها يزداد تجربة وبصيرة في تمييز الحق والباطل .. وذكر الإمام «إنّ الدّنيا دار محن، ومحلّ فتن، من ساعاها فاتته، ومن قعد عنها واتته، ومن أبصر إليها أعمته» (الآمدي، ١٩٨٧م، ح ١٥٠٨).

أما اتباع الهوى فهو العامل الأساسي في الوقوع في الفتن من منظور الإمام علي (عليه السلام): «إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ وَ أَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ الله وَ يَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالًا عَلَى غَيْرِ دِينِ الله فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ وَ لَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ انْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ وَ لَكِنْ يُؤْخَذُ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ وَ مِنْ هَذَا ضِغْثٌ فَيُمْزَجَانِ فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَ يَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ الله الْحُسْنى» (نهج البلاغة، الخطبة ٥٠).

ومما لا شك فيه ولا بد ألا يُنسى هو أن الأهداف الاستعمارية ما زالت قائمة وإن تغيرت أساليبها لتصبح أكثر نعومة وخبثا ومكرا وللوصول إلى هذه الأهداف وتحققها يحاول المستعمرون أن يأتوا بالبدع ويشيعوا الشبهات؛ وذلك لأن الدين الإسلامي مجموعة من الأصول والقوانين الدينية والدنيوية يحكم عليها العقل والمنطق وحدوث البدع ليس بهيّن في هذا الدين، ولذلك يسعى الاستعمار إلى أن يجعل الناس متبعي أهوائهم ويدعوهم إلى الاهتمام بالنفس وهواها، لأنه يعرف أن نار الفتن ستشتعل إثر هذا الاتباع، لأن من خصائص الفتن أنها تشبه الحق في بداية ظهورها ولا يقدر الناس على تمييز زيفها وهذا ما ذكر الإمام علي (عليه السلام) مبينا أن الفتن إذا ظهر فسادها يتجلى بطلانها: «إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ وَ إِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ وَ يُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ يَحْمَنَ حَوْمَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَداً وَ يُخْطِئْنَ بَلَداً» (نهج البلاغة، الخطبة ٩٣). وخص الإمام محاربة الفتن بنفسه لأنه عليه السلام هو الذي استطاع أن يبصر فتنة الخوارج والقاسطين الذين كانوا يراعون ظاهر الإسلام، كانوا قارئي القرآن، يصلون وفي جباههم أثر السجود و.. ولكنهم لم يعرفوا الإمام ولم يوفوا له ولم يؤدوا حقه، قال الإمام: «أَمَّا بَعْدَ حَمْدِ الله وَ الثَّنَاءِ عَلَيْهِ أَيُّهَا النَّاسُ فَإِنِّي فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ وَ لَمْ يَكُنْ لِيَجْتَرِئَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا وَ اشْتَدَّ كَلَبُهَا» (نهج البلاغة، الخطبة ٩٢)، ولم يعرف أحد حكم الحرب مع المسلمين بعد النبي (خصلى الله عليه وآله) إلا الإمام علي عليه السلام الذي حارب الناكثين والمارقين والقاسطين الذين كانوا مسلمين في الظاهر (جعفرى، ١٣٥٨.ش، ٦: ١٠٢).

ب ـ الغزو الثقافي: وهو من أخطر أنواع الغزو، لأن الغزو العسكري يهدف الأرض ولكن هذا الغزو أو الغزو الثقافي والفكري يهدف الأذهان والأفكار، ويجعل بنية الاستهلاك أقوى من بنية الإنتاج في المغزو عليه، في جميع الأبعاد المادية والمعنوية، حتى يفقد وعيه الثقافي ويبتعد عن التربية الدينية الوطنية وروح المغامرة والتجريب ولن يستطيع القيام بمهامها الاستراتيجي والتكنيكي. ولذلك يكون هذا الغزو أخطر بكثير من الأنواع الأخرى له.

وعلى المسلم أن يدرك أن ثقافته غنية سامية، وبإمكانها أن تغنيه عن ثقافة غيره، ويشعر بهويته وما تقدم الثقافة الإسلامية من إنجازات وما كان لها من دور وإسهام في الحضارة الإنسانية كي لا يذوب في الثقافات الأخرى ويرفض الانسلاخ الثقافي، والتقليد والتبعية، ويجعل تجربة ثقافته التاريخية تتبدل إلى أداة تحقيق النهضة والتقدم.

ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هنا هو أنه هل الانغلاق الثقافي يُعتبر حلا مناسبا أمام هذا الغزو؟

والجواب هو كلا.. علما بأن الانفتاح الثقافي ضرورة ملحة في العصر الذي نعيشه بسبب ظروفه ومقتضياته، كما أن الانغلاق الثقافي يجعل الأمة تضعف وقواها الفكرية تهان أمام العالَم وسرعان ما تقع في شرك الغزو الثقافي المنصوب. وكذلك العودة إلى التراث والتاريخ ستهدينا إلى النهج الصحيح واختيار الانفتاح الثقافي كما سنحصل على نماذج كثيرة متعددة من كيفية هذا الانفتاح من قِبل النبي (صلوات الله عليه) والمسلمين في عصر صدر الإسلام، وذلك واضح في سيرة النبي إذ انفتح على الثقافات الأخرى ولم يتحرج من الأخذ بها ولعل أشهرها هو حفر الخندق للدفاع إذ أشار سلمان الفارسي بحفره (أحمد بدوي، ١٤٠٥ه، ٤٥). ولا شك أن هذا الانفتاح لدى المسلمين واستعدادهم النفسي للأخذ والاقتباس من الثقافات الأخرى كالفارسية واليونانية والهندية وهبتهم القدح المعلى في الفكر والثقافة.

ومما يزيد من الاهتمام بالثقافة وأخذها مأخذ التوجه والعناية هو أن ندرك بوضوح أن «الثقافة هي قبل كل شيء معركة ومن المحال أن نؤمن أنفسنا ضد خطر ثقافي خارجي ما لم نقم نحن أنفسنا بهجومنا المضاد الذي نسعى فيه إلى التخلص من الثقافة الفاسدة أو المنحلة عن طريق إحلال ثقافة أخرى إيجابية محلها فالصد والدفاع وحده قد يكون في ساحة المعركة الحربية ولكنه في ساحة المعركة الثقافية لا يفيد وإنما هو أقصر الطرق إلى الهزيمة والتسليم وبالفعل فإن المجتمعات التي تحاول صد الأخطار الثقافية الخارجية عن طريق سن تشريعات المنع والحظر والرقابة هي أكثر المجتمعات تعرضا لهذه الأخطار أما المجتمعات التي

تصنع ثقافتها الخاصة المستنيرة المتفتحة وتواجه بها تلك الثقافة الانحلالية فهي وحدها التي تستطيع أن تصمد وتنتصر» (زكريا، ١٩٨٧م، ٤٢).

ومما لا شك فيه أن هدف الاستعمار من هذه الغزوات بأنواعها العسكرية والثقافية هو استغلال خيرات بلاد المسلمين وقتل روح المقاومة لديهم وتخريب ثقافتهم وسلب معالم شخصيتهم ؛ وكان يعرف بوضوح أن المسلمين يكتسبون هذه الروح من تراثهم ومعارفهم وبما ورد في نصوصهم الدينية فلذلك بذل أقصى جهده في قطع علاقة المسلمين بهذا التراث، بحيث جعل أبناء هذا الشعب يذوبون في نظم الحياة الغربية إذ يفقدون فيها شخصيتهم الإسلامية ويشعرون بشيء من الدونية ويبتعدون عن تراثهم ويقطعون روابطهم بأصولهم وسينجح الاستعمار في أن يخلق «أناسا لا يعرفون ثقافتهم ولكنهم مع ذلك مستعدون لاحتقارها إنهم لا يعرفون شيئا عن إسلامهم ومع ذلك يقولون عنه قولا قبيحا إنهم لا يفهمون قصيدة شعر بسيط ومع ذلك ينتقدونه بألفاظ غير منتقاة إنهم لا يعرفون تاريخهم وماضيهم ومع ذلك فهم على استعداد لإدانته ومن ناحية أخرى وبدون أي تحفّظ نراهم معجبين بكل ما هو مستورد من أوروبا ونتيجة لذلك وجد مخلوق انعزل عن ديانته وثقافته وماضيه وتاريخه ثم احتقر كل ذلك» (شريعتى، ١٤٠٢ه، ٣٥).

ج ـ الاهتمام البالغ بالدنيا: وهذا لا يعني أن الدنيا في نفسها مذمومة؛ بل الاهتمام الكثير بها بحيث يجعل الإنسان يغفل عن الموضوعات المعنوية وعن الله تبارك وتعالى وعما على عاتقه من وظائف تجاه الدين والناس والمجتمع و.. ويطمع في جمع المال ويحرص عليه ولكن بما أن رؤية الإنسان إلى شيء ما تحدد له أهدافه وآماله وعلى أساسه يبرمج للمستقبل فمعرفة الإنسان الدنيا وصفاتها التي تمتاز بها تساعده في اختيار الطريق الأمثل لتعامله الصحيح مع الدنيا.

وإذا طمع الإنسان في الدنيا وحرص عليها فنسي أن الدنيا دار فناء، ودار غرور ودار امتحان فيغفل عن طاعة الله تعالى. ومحبة الإنسان للدنيا تجعله أعمى، يبتعد عن بصيرته ويقع في الفتن والشبهات التي هي من أهم الموانع لتحقق الأمن الثقافي في المجتمع ـ كما أشير إليها آنفا ـ.

إليك بعض كلام الإمام عليه السلام في الدنيا والحذر عنها:

«وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ وَ لَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا وَ غَرَّتْ بِزِينَتِهَا دَارُهَا هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا وَ خَيْرَهَا بِشَرِّهَا وَ حَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا وَ حُلْوَهَا بِمُرِّهَا لَمْ يُصْفِهَا الله تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ وَ لَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ خَيْرُهَا زَهِيدٌ وَ شَرُّهَا عَتِيدٌ وَ جَمْعُهَا يَنْفَدُ وَ مُلْكُهَا يُسْلَبُ وَ عَامِرُهَا يَخْرَبُ» (نهج البلاغة، الخطبة ١١٣).

«أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ وَ أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ وَ مَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ وَ قَاطِنُهَا بَائِنٌ تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ وَ مِنْهُمُ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا وَ تَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا» (المصدر السابق، الكلام ١٩٧).

ويصف الإمام المؤمنين الزهاد في تعاملهم مع الدنيا هكذا: «كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَ لَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ وَ بَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ تَقَلَّبُ أَبْدَانِهِمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الْآخِرَةِ وَ يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَ هُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ» (المصدر نفسه، الخطبة ٢٣٠).

ومن هذا المنطلق فعلى المسلمين أن يعدوا كل طاقتهم ويستعينوا بكل الإمكانيات والقدرات لديهم ليواجهوا الدنيا وما فيها من الخير والشر بتخطيط شامل وبرنامج صحيح مبني على القواعد الإسلامية وأصوله؛ علما بأن الإسلام هو دين كامل عرض الخطوط العريضة للحياة الإنسانية الدنيوية والأخروية ليحصل الإنسان على سعادته في الدنيا والآخرة وهذا المهم سيتحقق بـ «تحديث ثقافتنا وتطويرها من خلال تبيان وضعية المتحول من الثابت فيها وذلك بإثبات هويتنا في وجه تيارات العولمة الثقافية حتى نتمكن من المحافظة على قوميتنا العربية والإسلامية» (المجالي، ٢٠٠٥م، ٢٢٠). ويتمكن المسلمون بالعودة إلى ما لديهم من التراث الإسلامي مِن بناء ثقافة جديدة قديمة «جديدة حين تساير العصر وقديمة حين تنتمي للإسلام ـ ويمكن أن نسميها بكلمة واحدة (ثقافة القرآن) لأن القرآن كان دوما هو صمام الأمان الذي حافظ على أمتنا من الشتات والضياع والانكسار أمام موجات الهجوم المتعددة على أمتنا عبر تاريخها الطويل كما كان بمفاهيمه وقيمه ومقوماته يحتل مركزا فريدا في حياتنا .. وما حدث من تمزق ثقافي للأمة العربية سببه الرئيس هو تلك النابتة التي نشأت على غير ثقافة القرآن وغشي بصرها ثقافة مشوهة أو وافدة مما جعلها عناصر شقاق ثقافي» (محمود النجيري، ١٩٩١م، ٢٠٤).

د ـ عدم صلاحية الحكومة والقادة: كما مرّ بنا آنفا أنه لن يتحقق إحياء القيم الإسلامية وإقامتها إلا في ظل حكومة صالحة وقائد أمين ناصح، فلا بد من وجود قائد صالح يكون أسوة حسنة تستحق أن يُتبع بين الناس. أشار الإمام علي عليه السلام إلى ضرورة قيادة المجتمع بيد أمير: «إِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ وَ يَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ وَ يُبَلِّغُ اللهُ فِيهَا الْأَجَلَ وَ يُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ وَ يُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ وَ تَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ وَ يُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بَرٌّ وَ يُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ» (نهج البلاغة، الكلام ٤٠).

ففي ظل هذه القيادة الصالحة سيتحقق الأمن في المجتمع ومن ضمنه الأمن الثقافي؛ لأن القائد الصالح يخطو خطوات ويتبع برامج ليوفر الأمن في كل أبعاده للمجتمع.

مع أن المتأمل في نهج البلاغة يجد أن الإمام يحقر الحكومة بصفتها مقاما دنيويا كما قال (عليه السلام): «لَوْ لَا حُضُورُ الْحَاضِرِ وَ قِيَامُ الْحُجَّةِ بِوُجُودِ النَّاصِرِ وَ مَا أَخَذَ الله عَلَى الْعُلَمَاءِ أَلَّا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَ لَا سَغَبِ مَظْلُومٍ لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا وَ لَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا وَ لَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ» (نهج البلاغة، الخطبة ٣)، ولكنه يقدسها تقديسا كبيرا إذا كانت مستقيمة ووسيلة لإجراء الحق وإقامة العدل وخدمة الخلق. قال عبد الله بن العباس: دخلت على أمير المؤمنين (عليه السلام) بذي قار، وهو يخصف نعله، فقال لي: ما قيمة هذا النعل؟ فقلت: لا قيمة لها، فقال (عليه السلام): «والله لهي أحب إليّ من إمرتكم، إلا أن أقيم حقاً أو أدفع باطلاً» (نهج البلاغة، الخطبة ٣٣)

وإذا لم تكن الحكومة صالحة أو لم يهتم القادة بالثقافة ولم يتبعوا الخطوات المهمة في تعزيز العلاقة بين أبناء الشعب وثقافتهم وتراثهم فستتحقق آمال الأعداء في الغزو على أفكار الناس وأذهانهم وثقافتهم، ويفقد الشعب هويته التي تضمن له استمراريته التاريخية وتحافظ على صورته أمام الشعوب الأخرى ومن خلال ذلك سيفقد الشعب كيانه المتميز.

الخاتمة والتوصيات:

* وبعد هذا الجهد في التأمل في نهج البلاغة للحصول على استراتيجيات الإمام علي (عليه السلام) في إيجاد الأمن الثقافي وحفظه، علما بأن المسلمين في أمس الحاجة إلى معرفة الاستراتيجيات من تراثهم في التعامل مع قضاياهم المصيرية ولفهم التأثيرات المتباينة التي تنبعث من رياح العولمة، ومحاولات المستكبرين والمستعمرين في قطع علاقتهم بالحضارة الإسلامية وتراثهم وقيمهم سنعرض لأبرز الملاحظات التي انتهينا إليها بصدد الدراسة وهدفها:

* الاستراتيجيات للمحافظة على الأمن الثقافي من منظور الإمام علي (عليه السلام) في نهج البلاغة هي: الإيمان بالله تعالى وإقامة الحكومة الإلهية، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإشاعة العلم والبصيرة، والاهتمام بالعدالة، واختيار القدوات الصالحة، وتوطيد علاقات الإخوة، وتعزيز الوحدة بين أبناء الأمة.

* وهناك عوامل بإمكانها أن تعيق تحقق الأمن الثقافي في المجتمع وهي: الشبهات والفتن، والغزو الثقافي، والاهتمام البالغ بالدنيا، وعدم صلاحية الحكومة والقادة.

* إذا تخلت الحكومات عن مسؤوليتها الرسمية تجاه الثقافة والعلم والبصيرة وأصبحت قيادة الحكومة بيد القادة غير الصالحين الضعفاء الواهنين لانهارت النهضة الإسلامية أمام الشقاق العسكري الذي يؤدي إلى التمزق.

* الطريق الوحيد لقطع يد المستعمرين والمستبدين عن ثروات المسلمين و مقدساتهم يتمثل في العودة إلى الشخصية الإسلامية وفي الاعتماد على الفكر الإسلامي الأصيل في الثقة بالله الواحد.

* تربية الأبناء التربية الإسلامية الصحيحة وفق تخطيط صحيح أصولي يؤدي إلى صياغة الأفراد صياغة إسلامية حضارية وإعداد شخصيات كاملة من حيث العقيدة والقيم والمشاعر .. وبعده سيتحقق تشكيل الأمة المتحضرة التي لا تسمح لإغراءات العولمة الجنسية والإباحية واللادينية أن تترسب فيها.

* إن الاستكبار العالمي اليوم يحس بأن الأمة الإسلامية تمتلك كل عناصر النهوض ورسالة واقعية إنسانية ومقومات واقعية للوحدة ولما لم يكن يستطيع تغيير أي عنصر سوى الوحدة فهو يركز جل اهتمامه على تمزيقها مستفيدا من الطرق المختلفة كجهل بعض المسلمين وتعصب بعضهم الآخر ومصالح مرتزقته الخاضعين لسياساته الجائرة.

* إن الدين الإسلامي واللغة العربية والتراث الإسلامي من أهم مقومات الأصالة في الثقافة العربية وتمثل المرتكزات للتخطيط الثقافي. ولا بد من الاهتمام بها وبناء ثقافة جديدة قرآنية تجعل المسلمين يعودون إلى قيم القرآن ومثله، وتطبيقها في حياتهم بمختلف أبعادها.

وأخيرا كان لا بد من ذكر بعض التوصيات المهمة التي ينبغي أن يشار إليها في هذا المقام:

نظرا لأهمية موضوع الأمن وسعته؛ إذ له فروع مختلفة وجوانب متعددة فمن الضروري أن يُفتح له باب في الفقه الإسلامي ومعارفه ليدقق فيه الفقاء والعلماء أكثر ويدرسوا مسائله ويساعدوا في رفع عراقيله، ويحدثوا نهضة فكرية وثقافية تدفع إلى التقدم.

دراسة ما وصل إلينا من تراث أهل البيت (عليهم السلام) والخطوات التي خطوا بها في توفّر الأمن الثقافي وخاصة في عصر الإمامين الصادقين (عليهما السلام)، إذ لا شك أن المتأمل في هذا التراث سيحصل على أفضل نموذج لا للأمن الثقافي فقط، بل للأمن بكل جوانبه.

الاهتمام الأكثر بالأسرة المسلمة وتربيتها بتثقيف أفرادها وتوعيتهم لتكوين أجيال تحسّ بانتمائها الإسلامي ويعتز بانتسابها الحضاري للأمة الإسلامية، وذلك بتكوين هيئات عليا للنظر في كل ما يتعلق بالأسرة من الجوانب المختلفة النفسية والصحية والثقافية.

دراسة وافية في التاريخ الإسلامي وتراثه للحصول على الشخصيات الصالحة ـ فضلا عن الأئمة الأطهار (عليهم السلام) ـ والتخطيط لتعرف الشباب المسلمين اليهم واتخاذهم القدوات في الحياة، ومن خلال ذلك سيتم تعزيز الثقة بالنفس فيهم ويترسخ الاطمئنان إلى تراثهم في نفوسهم.

على الحكومات الإسلامية بكاملها ـ أو على الأقل الحكومات العربية ـ أن تنبذ الشقاق الثقافي بينها وأن تعمل وتخطط لدعم التعاون الثقافي وتركيزهم عليه إذ هذا الأمن هو الأصل، وإذا تحقق فتتحقق جوانب الأمن القومي الأخرى. ولا بد أن تتغير نظرة الحكومات القاصرة التقليدية إلى الثقافة؛ تلك النظرة التي لا توفيها قدرها وألا تنشغل عن الثقافة بالسياسة.

دراسة المشروعات الشاملة للحصول على الحلول العملية لتحفيز كل من الأسرة والمدرسة والمجتمع لاستيعابهم الدور الفعال في إشاعة روح التكاتف والتعاون، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وحسن الظن، وروح التسامح، وحب الوطن.. وسائر القيم التي تساعد الحكومات في حفظ الأمن الثقافي.

محاولـة التخطيـط الثقـافي الشـامل لعـلاج أزمـة الثقافـة الإسـلامية التـي تعرضـت لكثـير مـن المخاطـر والتهديـدات، لتحقيـق الحصانـة الثقافيـة والسـمو الفكـري.

ولا شـك أن كلـه لـن يتحقـق إلا بوجـود هيئـة تتحمـل مسـؤولية التخطيـط لهـذه المشروعـات ووضـع الوسـائل وتحديـد السـبل لتحققهـا.

هذا والله سبحانه هو الموفِّق

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على محمد وآله الطيبين وصحبه المنتجبين

المصادر والمراجع

ـ القرآن الكريم.

١ ـ نهج البلاغة.

٢ ـ أحمد بدوي، محمد. (١٤٠٥ه). «انفتاح الإسلام على الثقافات الأخرى». المسلم المعاصر. العدد ٤٤.

٣ ـ آشوري، داريوش. (١٣٩٣.ش). تعريفها ومفهوم فرهنگ. طهران: منشورات آگه. [تعاريف الثقافة ومفهومها]

٤ ـ الآمدي، عبد الواحد. (١٩٨٧م). غرر الحكم ودرر الكلم. بيروت: مؤسسة الأعلمي للمطبوعات.

٥ ـ جعفري، علامه محمدتقي. (١٣٥٨.ش). ترجمه وشرح نهج البلاغه. تهران: دفتر نشر فرهنگ اسلامي.

٦ ـ حسنعليان، سمية. (٢٠١٦م). «أصول الوحدة الإسلامية في ضوء القرآن الكريم ومعارفه». مجلة منتدى السلام. العدد الأول. السنة الأولى.

٧ ـ الحسيني الندوي، أبو الحسن علي. (١٩٨٠م). التربية الإسلامية الحرة في الحكومات والبلاد الإسلامية. بيروت: مؤسسه الرسالة.

٨ ـ الدوري، زكريا. (٢٠٠٥م). الإدارة الاستراتيجية مفاهيم وحالات دراسية. عمان: دار اليازوري.

٩ ـ المطهري، مرتضى. (١٩٩٢م). في رحاب نهج البلاغة. بيروت: الدار الإسلامية.

١٠ ـ بوزان، بارى. (١٣٧٨). مردم، دولتها و هراس. تهران: پژوهشكده مطالعات راهبردى.

١١ ـ زكريا، فؤاد. (٩٨٧م). خطاب إلى العقل العربي. الكويت: كتاب العربي.

١٢ ـ شريعتى، علي. (١٤٠٢ه). «المدنية والحضارة». المسلم المعاصر. السنة الثامنة، العدد ٣٣. بيروت: مؤسسة المسلم المعاصر.

١٣ ـ شريعتي، علي. (١٩٨٦م). العودة إلى الذات. تر: إبراهيم الدسوقي. القاهرة: الزهراء للإعلام العربي.

١٤ ـ عبداللهي عابد، صمد. (١٣٨٦.ش). حق و باطل و فتنه و فتنه انگيزان از ديدگاه حضرت علي عليه السلام. قم: سلسبيل.

١٥ ـ عبد الرحمن، عواطف. (١٩٨٤م). قضايا التبعية الإعلامية والثقافية في العالم الثالث. الكويت: عالم المعرفة ـ المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب.

١٦ ـ گزارش سمينار آموزشي منطقه اي كارگزاران فرهنگي در آسيا و اقيانوس آرام، توكيو، ١٩٨٨، ص ٤١، به نقل از فصلنامه نامه پژوهش، سال اول، ش ٢ و ٣، ص ٩٤. [تقرير مؤتمر تعليمي إقليمي لوكلاء الثقافة في آسيا والمحيط الهادئ، طوكيو، نقلا عن مجلة پژوهش]

١٧ ـ المجالي، عدنان. (٢٠٠٥م). قضايا معاصرة. عمان: دار وائل للنشر والتوزيع.

١٨ ـ محمود بركات، نظام. (٢٠٠٣م). الثقافة العربية، أسئلة التطور والمستقبل. بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية.

١٩ ـ محمود النجيري، محمود. (١٩٩١م). الأمن الثقافي العربي التحديات وآفاق المستقبل. الرياض: دار النشر بالمركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب.

٢٠ ـ مجلة البحوث الإسلامية، « مناهجنا والتربية الإسلامية». الإصدار : من ذو القعدة إلى صفر لسنة ١٤٠٦هـ ١٤٠٧هـ.

21. http://www.alifta.net/Fatawa/fatawaDetails.aspx?BookID=2&View=Page&PageNo=5&PageID=2577&languagename=

22. Forrest S. (2004). Indigenous Identity as a Strategy for Cultural Security. Conference Paper in Northern Research Forum plenary on Security.

العولمة
أساليبها، وأثرها في تحديد العلاقة مع الآخر وأمنه الثقافي

Globalization: Styles and Influence on Shaping the Relation with the Other

أ.م.د. فلاح حسن عباس
جامعة ذي قار / كلية الآداب

Asst. Prof. Dr.Falah Hassan `Abbas, Iraq
College of Arts – University of Dhi Qar

ملخص البحث:

يُعد أمن المجتمعات والدول من المواضيع المهمة التي كانت محط أنظار الكثير من الباحثين والدارسين لاسيّما أصحاب الاختصاص في هذا الجانب وماتزال كذلك، ويبدو أنّ تأثر أمن البلدان والشعوب بالعولمة واضح، وبسبب ماتملكه من وسائل متطورة ومختلفة جعلت من المخاطر والتهديدات تنتقل من طابعها المحلي إلى العالمي، فلا خيار أمام هذه التحديات سوى السعي لتحقيق الأمن الثقافي من خلال المحافظة على الهوية الوطنية والثقافية في جوانب الحياة المختلفة(السياسية، الإقتصادية، الإجتماعية)، وحماية الفكر، وتحصينه ضد جميع أشكال الغزو الفكري والثقافي - كثقافة التطرف والإرهاب التي اخترقت البنية الفكرية للكثير من الأفراد والجماعات في أماكن مختلفة من العالم لاسيّما العالم العربي والإسلامي وكذلك الأفكار المنحرفة- الذي يستهدف أمن الدول والشعوب لاسيّما أمنها الثقافي، فالعولمة الثقافية لها تأثير كبير في الأمن الثقافي، ومن خلالها تتم عملية إيجاد التبريرات والمقدمات التي تسبق أو ترافق عمليات الغزو الثقافي والفكري للشعوب والدول المستهدفة، واختراق أمنها الثقافي فضلاً عن مجالات الأمن الأخرى.

Abstract:

Globalization shows commodities and goods with the cheapest prices via its transcontinental companies to dominate and monopolize the economy of countries, in particular the third world and poor nations bound and pertinent to it and calls for privatization and liberal capital system, most efficacious model, at the end of the world, phocomelia , that should be generalized to cover the whole world. The globalization economy depends mainly upon producing extravagant waves of goods and commodities with the least number of hands, definitely such leads to high benefits to the owners of the companies and investors yet it precipitates the society into unemployment , then to poverty in the society : man works to earn money to maintain his different necessities . That is why in the recent years there are certain issues and books tackling the various human civilizations found on earth.

Some believe that it is vital to negotiate and to have a dialogue between the civilizations: that the cultural and ideological difference never requires any collision runs counter to the issue of civilization collision of Samuel Hinton , though history , from the rise of the first civilization, informs us that certain wars take so long a time and exterminate man for nothing but to dominate , to monopolize and impose with an idea and a doctrine on the other .The research study ramifies into an introduction and certain sections : globalization and its economic, social , intellectual and cultural influence on nations, globalization and civilization dialogue , promulgation of tolerance principles and expelling violence and extremism , endeavoring to maintain security intellectual, cultural, civilizational and societal , resisting the extremist international terrorist kaferizing organizations ,e.g. Al-Qa`ada ,ISIS and so forth , the conclusion terminates with the most results , recommendations the researcher gleans .

المقدمة

تعني العولمة(Globalization) النفوذ والهيمنة، وهي آيديولوجيا عملت- وتعمل لحد الآن- في استخدام التكنولوجيا بوسائل وأدوات مختلفة(الشركات والمؤسسات الاقتصادية والأنترنت والمعلوماتية والإعلام ودور الأزياء والسينما وكذلك الماركات التجارية والإعلانات التجارية الخليعة وقصّات الشعر والأكلات وبالأخص الأمريكية كالهمبرغر والهوت دوغ الخ ...) تسعى من خلالها إلى ربط الأفراد والجماعات الإنسانية (شعوب وأمم ودول) بنظام واحد وحركة اقتصادية واحدة، تسيطر عليها عبر شركات عملاقة عابرة للقارات تابعة للدول الصناعية المتقدمة مثل: الولايات المتحدة الامريكية واليابان والمانيا وفرنسا وبريطانيا وغيرها، فهي تتضمن إلغاء حدود الدولة القومية، وإذا ما صدرت من بلد أو مجتمع؛ فتعني تعميم نمط من الأنماط التي تخص ذلك البلد، وجعله يشمل العالم، فالولايات المتحدة الأمريكية سعت إلى أمركة العالم؛ بتوسيع وتعميم النموذج الأمريكي ليشمل العالم كلّه، وعملت على أن تجعل من نظامها الاقتصادي، وأنماط حياتها الإجتماعية وآيديولوجياتها التي تؤمن بها ولغتها وعملتها هي السائدة والبارزة في جميع دول العالم بحيث تكون الدول والمجتمعات مرتبطة بها وتابعة لها، إلّا أنّ هذا الإسلوب نال رفض كثير من الشعوب؛ لأنّها أرادت فرض الثقافة والنمط الأمريكي(الأمركة)؛ أي هيمنة و تسيّد الثقافة الأمريكية بصورة شاملة، فالشعوب وفق ذلك مدعوّة إلى التخلي عن إرثها الحضاري والثقافي الذي يمثل هويتها وتاريخها، وتبنّي الثقافة الأمريكية، فعولمة أو أمركة الفكر تستهدف تفكيك الهوية الثقافية للشعوب واختراق القيم المجتمعية التي تكونت عبر مراحل زمنية طويلة وبهذا تسهل عملية اختراق الأمن الثقافي للدول والشعوب بصورة تدريجية، وبفترات زمنية مختلفة تقل أو تكثر وفق تفاعل الشعوب مع الأفكار الوافدة إليها من طريق العولمة (الامركة).

لقد قدّمت العولمة- وماتزال- السلع والبضائع بأسعار جيدة من طريق شركاتها عابرة القارات بهدف السيطرة والهيمنة على اقتصاديات الدول، وبالأخص العالم الثالث والدول الفقيرة لتكون مرتبطة بها، وتابعة لها، وهي تدعو إلى الخصخصة وإلى النظام الرأسمالي الليبرالي، الذي تعتبره النموذج الاقتصادي الناجح- في نهاية التاريخ لفوكوياما- والذي يجب تعميمه ليشمل العالم أجمع. فاقتصاد العولمة قائم على انتاج وفير من السلع والبضائع بأقل ما يمكن من العمّال، وهذا بالطبع يعود بالربح الوفير لأصحاب الشركات والمستثمرين، إلّا أنّه يسبب البطالة ومن ثم الفقر لشرائح كثيرة من المجتمع؛ لأنّ الإنسان بحاجة الى العمل للحصول

على المال ليؤمّن حاجاته المختلفة، ونلاحظ أنّ السنين الأخيرة شهدت مواضيع وكتب تناولت الحضارات البشرية المتنوعة التي وجدت على الأرض، فبعض رأى ضرورة التفاهم والحوار بين هذه الحضارات، وكذلك عُقدت عدّة مؤتمرات ناقشت ودعت إلى حوار الحضارات، فالاختلاف الآيديولوجي والثقافي ليس مدعاة إلى الصدام بينها- على خلاف ما جاء في اطروحة صدام الحضارات لصموئيل هنغنغتون- على الرغم من أنّ التاريخ ومنذ الفجر الأول للحضارة على هذه الأرض يخبرنا عن حروب استمرت سنين طويلة أبادت الكثير من البشر ليس لسبب إلّا لأنّ بعضاً أراد أن يفرض سيطرته وهيمنته وفكره ومعتقده على الآخر المختلف، فالطبيعة البشرية المائلة للعنف، وفرض السيطرة والافتخار والميل للعنصر والشعور بأفضلية الانتماء القومي والآيديولوجي جعلت منه سبباً لفرض هيمنة الإنسان على الآخر المختلف باللغة والدين والثقافة والإنتماء والهوية الخ.. فالعالم على مرّ العصور شهد استعباد الإنسان لأخيه الإنسان وتحويله إلى بضاعة تباع وتشترى في الأسواق؛ لأنّه الأقوى من الآخر، مستغلاً بذلك الشعور بالأفضلية الانتمائية والعرقية كالنازية الألمانية، والفاشية الإيطالية اللتين دمرتا العالم لسنين طويلة. فالمجتمعات اليوم تحتاج إلى إعادة النظر في ما تتبناه من آيديولوجيات تتخذ من العنف وإقصاء الآخر وسيلة لتحقيق أهدافها.

يتكون البحث من مقدمة، ومباحث عدّة، يتناول الباحث فيها: العولمة وأثرها الثقافي والفكري والاجتماعي والاقتصادي على الشعوب، ودورها في زعزعة الأمن الثقافي والفكري والسعي لتوفير أمن فكري وثقافي وحضاري ومجتمعي، والتصدي للتيارات الإرهابية التكفيرية المتطرفة كالقاعدة وداعش وغيرها. فقد تناول المبحث الأول، الهيمنة والنظام العالمي. أمّا المبحث الثاني فيتكلم على مجتمع العولمة والأمن الثقافي، بينما جاء المبحث الثالث ليختص بعولمة الثقافة وتهديد الأمن الثقافي، واختص المبحث الرابع، بغياب الثقة والأمن الثقافي في زمن العولمة. ثم الخاتمة التي تتضمن أهم النتائج والتوصيات التي توصّل اليها الباحث.

المبحث الأول

الهيمنة والنظام العالمي

إنّ التطور الهائل الذي وصلت اليه بعض الدول في تقنيات المعلومات والاتصالات، أدّى إلى حصول عمليات تبادل وتأثر وتأثير وامتزاج بين ثقافات ورؤى الشعوب، فما وصلت اليه الدول المتقدمة من تقدم كبير في التكنولوجيا، وامتلاكها الشركات العملاقة المنتشرة في أماكن مختلفة في العالم، وسيطرتها من طريق وسائلها المختلفة والمتطورة على الاقتصاد العالمي جعلها تتحكم تحكماً مباشراً او غير مباشر في قرارات الدول(الأضعف) السياسية والاقتصادية.

فالدول القوية لديها رصيدا فكري واقتصادي وثقافي قوي سيطرت به على دول ومجتمعات كثيرة وبالأخص الفقيرة، والأكثر فقراً، إذ أصبحت الكثير منها تابعة لتلك الدول بحكم القاعدة التي تقول بإنّ الضعيف يخلق القوي، كما أنها(الدول القوية) تمتلك القدرة على فرض هيمنتها السياسية والاقتصادية والفكرية والثقافية بسبل وأوجه مختلفة وغالباً لاتفصح عنها بل تمارسها تحت أغطية ومبررات عديدة، وتعمل على نشر ثقافتها وأنماط حياتها بالشكل الذي يؤدي إلى اختراق الامن الثقافي والفكري للدول والمجتمعات التابعة.

وعملت الدول (الأقوى) على جعل شعوب الدول (الأضعف) تدور في دوامة مشاكلها الكثيرة وأزماتها الداخلية والإقليمية الذي يؤدي إلى تفاقم الفوضى وعدم الاستقرار في النظام العالمي.

ومنذ بداية عصر النهضة الأوربية الحديثة والتقدم العلمي والاستعمار الأوربي للكثير من البلدان في القرنين التاسع عشر والعشرين ترسّخت فكرة العولمة، وأصبح لها فضاء أوسع بالشكل الذي جعل من الدول الاستعمارية بهدف تحقيق مصالحها تعمل على صياغة نظام عالمي لاقتسام السيطرة والنفوذ والاستغلال(للشعوب)، والاستحواذ على المواقع على المستوى العالمي، تمتد جذورها إلى ماقبل الحربين الأوليين لتستكمل أهم مقوماتها بشكل خاص.[1]

لقد شهد العالم صراعاً بين الآيديولوجيات، في البداية بين الفاشية والشيوعية والديمقراطية الليبرالية، ثم بين الأخيرتين، في أثناء الحرب الباردة تجسدت تلك الآيديولوجيات في قوتين كبيرتين، كل قوة تعرف هويتها بآيديولوجيتها، فكان وصول الماركسية الى السلطة في روسيا أولاً، ثم في الصين وفيتنام يمثل مرحلة

انتقالية من النظام الأوربي العالمي الى نظام ما بعد أوربي متعدد الحضارات فالماركسية هي إحدى نتاجات الحضارة الأوربية لكنها لم تنجح[٢].

إنّ الحروب والأحداث الكثيرة التي تعرّضت لها البشرية وماتزال تتعرّض لها في أماكن مختلفة وكثيرة من العالم قد غرست في أذهان الكثير من المجتمعات والأفراد تشاؤماً تأريخياً، فلا سبب يجعلهم يعتقدون بأنّ العالم يتقدّم من خلال مؤسسات إنسانية نبيلة تمثلها الديمقراطية الليبرالية، فتجارب بعض المجتمعات ترجّح بأنّ المستقبل يحمل شروراً جديدة ومتنوعة لايمكن تصورها، كالتيارات الإرهابية المتطرفة- التي انتشرت في أماكن كثيرة في العالم لاسيّما العالم المتقدم _ والأنظمة الدكتاتورية القائمة على أساس التعصب وعمليات الإبادة الجماعية.[٣]

ويبدو أنّ التشاؤم الراهن في المجتمعات هو نتيجة لأزمتين مستقلتين ومترابطتين: الأولى، أزمة السياسة في القرن العشرين التي تسببت في مصرع عشرات الملايين من البشر، وأجبرت مئات الملايين على العيش في ظل أشكال جديدة من العبودية قاسية جداً. والثانية هي الأزمة الفكرية في المذهب العقلي الغربي التي خلفت الديمقراطية الليبرالية دون الأسلحة الفكرية اللازمة للدفاع عن نفسها. وقد شهدت الثورة الروسية والثورة الصينية والغزوات النازية في الحرب العالمية الثانية ظهور نمط الوحشية – بشكل فظيع – الذي ميّز الحروب الدينية في القرن السادس عشر، فالخطر في هذا القرن لم يهدد الأراضي ومصادر الثروة فقط، بل كان يهدد القيم وأساليب الحياة لدى الشعوب، علاوة على ذلك فإنّ العنف الذي مورس في تلك الصراعات القائمة على الآيديولوجيات ونتائجه الوخيمة كان له الأثر المدمر في ثقة الديمقراطيات الليبرالية بنفسها.[٤]

وأصبحت هيمنة الولايات المتحدة بسبب عولمة القوة واضحة ومؤثرة في السياسة العالمية، بل في جميع المجالات اذ أصبحت هيمنة الولايات المتحدة تتعدى حدود الدول الفقيرة أو دول العالم الثالث إلى دول ضمن التشكيل والإمكانيات الحضارية والثقافية والتكنولوجيا الغربية مثل: فرنسا، وكندا وهي وفق ذلك وقعت تحت تأثير الأمركة، إذ إنّ وسائل الإعلام الامريكية تسيطر على ٦٥٪ من مجمل المواد والمنتجات الثقافية والإعلامية والإعلانية والترفيهية، أما فرنسا فأصبحت تقاوم سيطرة اللغة الإنجليزية على شبكة الأنترنت؛ لأنّ حجم تداول الاتصالات والمعلومات على الأنترنت باللغة الإنجليزية بلغ ٩٥ ٪ و ٢٪ باللغة الفرنسية٥، وما قول وزير العدل الفرنسي السابق جاك توبون: ((إنّ الأنترنت بالوضع الحالي شكل جديد من أشكال الاستعمار، وإذا لم نتحرك فأسلوب حياتنا في خطر)) [٦] إلا تأكيد لهيمنة الأمركة.

أمّا في كندا فقد بلغت الهيمنة الأمريكية في مجال تدفق البرامج الإعلامية والتلفزيونية حداً دفع بعض الخبراء الى الإشارة بأنّ الأطفال الكنديين لايدركون أنهم كنديون؛ بسبب كثرة مشاهدتهم للبرامج الأمريكية[٧]، وقد عبّر وزير الخارجية الكندي الأسبق فولكنر عن ذلك الواقع قائلاً: ((لئن كان الاحتكار أمراً سيئاً في صناعة استهلاكية فإنه أسوأ إلى درجة في صناعة الثقافة، حيث لايفتقر الأمر على تثبيت الأسعار، وإنّما على تثبيت الأفكار أيضاً))[٨]، وبالمقابل نجد أنّ تصريحات بعض المسؤولين الأمريكان تعبّر عن مدى هيمنتهم على العالم كقول وزيرة الخارجية السابقة للولايات المتحدة الأمريكية مادلين أولبرايت: ((لأننا قادرون بفضل طول قامتنا أن نرى أبعد من الأمم الأخرى)).[٩] ووفق هذه الإشكاليات سيكون السلام والأمن العالمي بكل مجالاته مهدداً بشكل كبير وخطير، وسيعرّض التنوع البشري الذي يُعد أساسياً للبقاء للخطر، كما أنّ عملية تقليل الفروق بين أفراد المجتمع الواحد، وبين المجتمعات أصبحت ضئيلة جداً، فبالغطرسة والهيمنة لايمكن تحقيق الأمن والسلام، كما أنّها لم تكن في يوم ما سبيلاً نحو التواصل بين الشعوب وتبادل المنافع والمعرفة.[١٠]

المبحث الثاني

مجتمع العولمة والأمن الثقافي

تعمل العولمة وبصورة فاعلة على جعل الأذواق والرغبات والميول مشتركة يشترك فيها الناس في كل مكان من العالم. ويتكون مجتمع العولمة من القادرين على استهلاك منتوجاتها المختلفة، أمّا المستهلكون الذين ليس لديهم القدرة المالية فلا يُعدون من مجتمعها، فوطن العولمة لاينتمي الى الجغرافية، ولا التاريخ، فهو وطن بلا حدود وتاريخ وقيم وتراث وتقاليد، والوطن هو شبكات الاتصال الألكترونية (الانترنت).

إنّ المواطن في وطن العولمة لايتحدد انتماؤه إلى وطن؛ كون العولمة لاتعترف بالوطن، والعلاقات بين المواطنين قائمة على الاتصال عبر شبكات التواصل الألكترونية(مجال اللامرئي)، فالعولمة عالم بدون أمة، وبدون وطن ودولة وأفرادها هم المستهلكون للمعلبات والمشروبات والصور والمعلومات التي تُفرض عليهم، ومحيطهم هو الأجواء التي توفرها لهم شبكة الأنترنت بما تحويه من ثقافة وأفكار وسياسة وإقتصاد وقيم، يسعى فيها الى تمزيق النسيج المجتمعي، وتفتيت الأواصر الإجتماعية التي تربط أبناء المجتمع مثل: الانتماء، والتاريخ، والقيم وغيرها ومن ثم اختراق الأمن الثقافي والفكري وفرض الهيمنة والسيطرة.[١١] وما ظهور مصطلحات جديدة في العالم مثل (مابعد الاستعمار) و (الاستعمار البعدي) إلاّ تكريس للاستعمار الجديد الذي تمارسه الولايات المتحدة الأمريكية، والدول الإمبريالية الأخرى على الشعوب والدول المستهدفة، فبالاستعمار الجديد لاتحتاج الدول المستعمرة إلى قوات عسكرية في السيطرة على البلدان إذ تعتمد على عمليات الغزو الثقافي واختراق الأمن الثقافي، وتسخير البنى التحتية الموجودة بتلك البلدان وبالأخص (المتعاونين) الراضين من بين المجموعات الحاكمة، وبعض المرتزقة من المثقفين كونهم يعلمون بأنّهم لن يبقوا في السلطة بدون (المستعمر الجديد) الذي يعلم بأنّ مصالحه وسلطته يمرّان عبر هؤلاء، وهنا يبرز الهدف المشترك المتمثل في ضمان استقرار اولئك الذين يوجدون على هرم السلطة بواسطة صيرورة ديمقراطية حقيقية، وهذا هو حال أغلب الحكومات الحالية في العالم الثالث إذ تعتمد على (مابعد الإستعمار) الذي أصبح مدعماً بطرق وأدوات العولمة وآلياتها المختلفة.[١٢] فالعولمة ((نظام يقفز على الدولة والأمة والوطن، وبالتالي فإنّه يعمل على التفتيت والتشتيت وإيقاظ اطر الانتماء إلى القبيلة والطائفة والجهة والتعصب، بعد أن تضعف إدارة الدولة وهوية الوطن))[١٣]

وبواسطة هذه الآليات والوسائل تسهل عملية تصدير الأفكار والثقافات وإلاختراق والسيطرة على الأمن الثقافي والفكري، فضلاً عن مجالات الأمن الأخرى كالعسكري، البيئي، الصحي، الإقتصادي، السياسي، وغيره.

المبحث الثالث

عولمة الثقافة وتهديد الأمن الثقافي

تهدف العولمة إلى إيجاد ثقافة عالمية موحدة تعمل على توحيد القيم وكل ماتعنيه الثقافة، وتعتمد في ذلك على وسائل كثيرة ومختلفة ومنها الإعلام، ووسائل الإتصال حيث تعمل على اختراق المجتمعات، وزرع قيم وأفكار وآيديولوجيا الدول المسيطرة (القوية) لتؤسس بذلك هوية ثقافية للمجتمعات المخترقة (التابعة)، واتباع سياسة هادفة لخدمة مصالحها في الدرجة الأولى بإشاعة الأنماط السلوكية الغربية، وإهمال الجوانب الروحية (الدينية)، والتركيز على الجوانب المادية، وقد عملت الدول الصناعية الكبرى وخصوصاً الولايات المتحدة الأمريكية – على أمركة العالم – بسبب نفوذها التكنولوجي الهائل وامتلاكها السلاح النووي والأسلحة المتطورة والذكية، بالإضافة إلى عوامل أخرى على جعل الشعوب تدخل في وهم وهو وجوب الإنتماء إلى ثقافة عالمية تلغي الظروف الحضارية والثقافية بين المجتمعات،[١٤] وتؤدّي إلى عدم الاعتزاز بالذات الحضارية والثقافية التي من خلالها يتم الحفاظ على الأمن الثقافي للمجتمع. كل ذلك لم يأت بصورة تلقائية أو مباشرة بدون مقدمات ودراسات وأبحاث في هذا المجال.

فالغربيون بذلوا جهوداً كبيرةً في دراسة الشرق و تأريخه وتراثه وأسباب قوّته وموارده، وتطورت ونمت المعرفة الغربية بالشرق والإسلام من طريق الدراسات الاستشراقية، وظهرت نظريات ومفاهيم تشكّل إطاراً فكرياً ومعرفياً لفهم الغرب للشرق الذي عمل على توظيف الديانة المسيحية من جديد؛ وذلك لإحكام السيطرة الغربية على الشرق، ثم تطورت هذه المعرفة الاستشراقية بشكل يتناسب مع تطور المفاهيم الغربية للحياة في داخل المجتمع الغربي، وكان هذا التطور المعرفي يتكيف مع العقل الغربي حتى يتمكن من إقناع الرأي العام الغربي بعملية إقصاء الآخر الشرقي المتخلف الذي يملك الثروة ومواردها ولايملك الحكمة– وفق النظرة الغربية– فكانت القراءة الغربية تقرأ الإسلام في الدراسات الاستشراقية على وفق المركزية الغربية والقراءة الإمبريالية، ومع مراعاة العقل الغربي في عملية الاقصاء، بحيث تتم هذه العملية وفق مفاهيم تبريرية استطاعت من خلالها أن تجنّد بعض المفكرين والمثقفين العرب الذين أعجبوا بالنموذج الغربي وحاولوا محاكاته في نمط عيشه وثقافته وهذا يؤدي إلى التحول الثقافي والاغتراب عن الذات الحضارية والثقافية،[١٥] الذي يؤدي إلى تسهيل عملية الاختراق للنسيج الثقافي المجتمعي ثم اختراق بنية الأمن الثقافي.

إنّ الأمـن الثقـافي يعنـي الاعتـزاز بالـذات الحضاريـة مـع هضـم معطيـات الآخـر الحضـاري؛ فالانعـزال والانغلاق عـن العـصر وثقافته ومنجزاتـه هـو إفقـار للوجـود الـذاتي؛ ممـا يـؤدي إلى الابتعـاد عـن انجازات الإنسـان في العـصر الحديـث ومنجـزات العلـم وتقدمـه، وبذلـك فـإنّ المجتمعـات لاتسـتطيع المحافظـة عـلى أمنهـا الثقـافي إلا بالاعتـزاز بحضارتهـا وثقافتهـا. فالأمـن الثقـافي لايعنـي زيـادة الرقابـة عـلى الثقافـة بـكل آلياتهـا ووسـائلها، ولايعني الخضـوع إلى مقتضيـات السـائد وغيـاب الإبـداع، إنّـما يحـث عـلى ضرورة التواصـل والتفاعـل مـع الثقافات الإنسـانية الأخـرى، والاسـتفادة مـن تجـارب الشـعوب والحضـارات الأخـرى لرفـد حضارتنـا وتجاربنـا بـما هـو إيجـابي ومفيـد[١٦]، وهـو لا يلغـي الاتصـال والتبـادل بـين الثقافـات والحضـارات، ويتجـه نحـو النتائـج الإيجابيـة الحاصلـة نتيجـة الحـوار والعطـاء المتبـادل والمثمـر بـين الحضـارات، فهـو يهتـم بالثقافـة الأصليـة للمجتمـع وكيفيـة المحافظـة عـلى هـذه الثقافـة مـن طريـق أدوات ومؤسسـات مختلفـة تُعـد لأجـل ذلـك، فهـو دعـوة إلى التعامـل مـع الثقافـات الأجنبيـة مـن موقـف قـوة لانشـعر معـه بالدونيـة والضعـف، ولانقـف في موضـع الدفـاع ضـد الغـزو الثقـافي فنقـع في العزلـة الضيقـة والعـداء للثقافـات الإنسـانية، فالحفـاظ عـلى الأمـن الثقـافي لايعنـي إغـلاق النوافـذ بوجـه الثقافـات الأخـرى، ولايعنـي الاحتفـاظ بالقيـم السـائدة فقـط، إنّـما يكمـن الأمـن الثقـافي في المحافظـة عـلى الهويـة وحمايتهـا مـن عوامـل ضعـف الشـعور بالإنتـماء.[١٧]

ومـن القضايـا المهمـة التـي يجـب عـلى الـدول والشـعوب منحهـا أولويـة هـي تحصـين الأمـن الثقـافي ضـد آيديولوجيـا الإرهـاب والتطـرف التـي اخترقـت الكثـير مـن دول العـالم، وخـرج الأمـن عـن حـدوده المحلية بالشـكل الـذي لم يعـد بإمـكان الـدول أن تحافـظ أو توفـر أمنـاً خارجيـاً لمجتمعاتهـا عـلى الرغـم مـن امتلاكهـا للقـوة العسـكرية والاقتصاديـة والبشريـة فضـلاً عـن التقـدم التكنولوجـي الهائـل، وخـير دليـل عـلى ذلـك أحـداث الحـادي عـشر مـن سـبتمبر ٢٠٠١ فلـم تتمكـن الولايـات المتحـدة الامريكيـة بـما تمتلكـه مـن أسـلحة متطـورة وذكيـة مـن حمايـة نفسـها والحيلولـة دون وقـوع ذلـك.

المبحث الرابع

غياب الثقة والأمن الثقافي في عالم العولمة

الأمن مفهوم قديم، فهو ضد الخوف و(الأَمَنة) الأمن ومنه قوله تعالى: ((أَمَنَةً نُعَاساً))(آل عمران:١٥٤) والأَمَنة أيضاً الذي يَثِق بكل أحد، وقوله تعالى((وهذا البَلَدِ الأَمِينِ))(التين:٣) يريد البلد الآمن وهو من الأَمن.[١٨]

اتضح بصورة جلية من التجارب التاريخية للبشر بأنّ صناعة الأسلحة النووية والبايلوجية، وأسلحة الدمار الشامل سيجعل من الإنسان قادراً وبسهولة على تدمير الحضارة والإنسان، لما تشكله هذه الأسلحة من أخطار فادحة على البشرية جمعاء، إنّ فقدان الثقة بين الدول المتقدمة جعلها في تسابق لإنتاج وامتلاك هذه الأسلحة ومع أنّ الحروب المحلية ذات الأهداف المحدودة يمكن أن تحدث دون أن تؤدي إلى نتائج مفجعة وفي الوقت نفسه فإنّ التاريخ يشير الى خطر تحول الصدامات المحلية إلى حروب خطيرة ومدمرة تصل إلى درجة يتعذر معها قبوله في زمن أسلحة الدمار الشامل، فـ((الافتقار إلى الثقة كان ولايزال يزداد حدّة بسبب الخيبة الواسعة الانتشار التي نجمت عن نتائج الحرب الباردة، وعوضاً عن نظام عالمي جديد معتمد على الإجماع والانسجام نجد أنّ الأشياء التي بدت أنها تنتمي إلى الماضي أصبحت كلها فجأة تنتمي إلى المستقبل، وبالرغم من أنّ النزاعات الإثنية القومية لم تعد تنطوي على كونها تسبب حرباً رئيسة، فهي تهدد السلام في أجزاء هامة من العالم.))[١٩] وبناءً على ذلك فالشعوب اليوم مدعوّة للتوجه نحو إلغاء الحروب بما في ذلك الحروب المحلية. وبالمقابل على العلماء أن يسعوا إلى نشر الثقة والتعاون بين الأمم من طريق الحوار وطرق أخرى، فالعلم مهمة دولية والعلماء على مختلف انتماءاتهم وقومياتهم يجدون قواعد للتفاهم المشترك بسهولة؛ كونهم يعملون لتحقيق أهداف ثقافية مشتركة على الرغم من اختلاف آرائهم في القضايا العلمية في شتّى العلوم كالفلسفة والإقتصاد والسياسة وغيرها، فالعمل معاً في كل مجال يثبت فيه إمكانية العمل الدولي يؤدّي خدمة مهمة لوحدة مصالح الأمم، مما يؤدّي إلى خلق أجواء إيجابية للثقة المتبادلة بين الدول الذي يُعد من الأمور المهمة لحسم الخلافات السياسية بين الدول، فالعلم يستطيع أن يقدم أفضل الخدمات وأنبلها لخدمة الإنسان[٢٠] وأمنه بأشكاله ومجالاته المختلفة، بينما عدم الثقة بين الدول والأمم أدّى إلى السباق لنيل التفوق العسكري بالشكل الذي أصبح معه كافة فروع العلم كالفيزياء والكيمياء وعلم الأحياء وعلم النفس مغمورة بالتطور العسكري، وأصبح العلم عند الكثير من الشعوب مرتبط بصناعة الأسلحة إلى درجة أصبح

معها العلماء إمّا أن ينالوا إعجاب مواطنيهم بسبب تقديمهم خدمة للأمن القومي، أو يُلعنون لأنّهم عرّضوا الناس لخطر أسلحة الدمار الشامل، فالدعم المادي الكبير الذي يُقدّم للعلم في الكثير من الدول؛ يعود إلى أهمية العلم المباشرة وغير المباشرة بالنسبة إلى قوة الدولة العسكرية، ودرجة نجاحها في سباق التسلح، وموقعها منه الأمر الذي يحوّل العلم عن أهدافه السامية وهو زيادة معرفة الإنسان، ومنفعة العالم أجمع.[٢١] كما أنّ سباق التسلح ليس نتيجة منطقية لعدم الثقة بين دول العالم فقط، إنّما يجسد تلك الحقيقة، فالعالم اليوم أحوج من أي وقت مضى لتعاون إنساني مشترك لمكافحة الأفكار المتطرفة التي تهدد أمن الشعوب واستأصالها من جذورها ونشر الفكر المعتدل.

أمّا طبيعة العلاقات في المجتمعات المدنية فتعرضت إلى تغيرات- أدّت بدورها إلى عدم الثقة - ومنها زيادة الفردية، وهذا من التحولات المهمة التي تعرض لها المجتمع الأمريكي والمجتمعات الغربية الأخرى، فالتغير الذي حدث هو تغير نوعي في طبيعة العلاقات بين المجموعات التي تسيطر اليوم، وفي طبيعة العلاقات الأخلاقية بين أفراد المجتمع، فكثرة الجريمة، والفقر، والإباحية، والمخدرات وفقدان الثقة أدّى إلى عدم الشعور بالأمان، وإنّ إنضمام الناس إلى مجموعات عدوانية تسهم اسهاماً كبيراً في تراجع الثقة بين أفراد المجتمع. ويصوّر كاتب روايات الخيال العلمي (نيل ستيفنسون) في روايته (تحطم الجليد:Snow Crash) صورة كوميدية سوداء للولايات المتحدة الامريكية في المستقبل، اذ يصوّر البلاد قد قُسّمت إلى مئات الآلاف من الكيانات الصغيرة التي تشكّل مؤسسات تتحول كل منها إلى كيانات ذات سيادة تحتاج جواز سفر وفيزا لغرض دخولها، بالشكل الذي تتمتع كل مجموعة كالسود والصينيين وغيرهم بحياة اجتماعية خاصة بها، ويحدث العداء فيما بينها، ويبدو أنّ الولايات المتحدة وبسبب انخفاض الثقة _ في زمن الأمركة _ تسير بهذا الإتجاه فضلاً عن العالم المتقدم، كما أنّ التغيير الذي حدث لمنظومة المفاهيم والقيم كان له دور أيضاً، ففي السابق يفتخر الفرد بانتمائه لنقابة العمال لنفوذها القوي، أو العمل في شركة كبرى، أو الشعور بالفخر بسبب الخدمة في الجيش، أصبح الأشخاص يفضلون الانتماء لنادٍ رياضي أو غرف المحادثة بالأنترنت.[٢٢]

والسؤال هنا هل تستطيع الدول والشعوب من الحيلولة دون تراجع الثقة والأمن الثقافي في العالم- ولو بشيء يسير - في زمن أصبح فيه الإرهاب عالمياً، ومهدداً فاعلاً للأمن الثقافي فضلاً عن الأمن السياسي، والعسكري، والبيئي، والصحي، وأشكال الأمن الأخرى او ستتراجع الثقة، ويتزعزع الأمن الثقافي بشكل أكبر في زمن ما بعد الحداثة؟

ويبدو أنّ الدول المتقدمة تكنولوجياً وعسكرياً كالولايات المتحدة الأمريكية والدول الغربية الأخرى لا تمتلك رؤية حقيقية لتفادي تشكيل مثل تلك التيارات الإرهابية على أراضيها، ولم تتخذ الإجراءات الجدّيّة لمنع هجرة الكثير من الإرهابيين من الدول الغربية والدول الأخرى إلى دول الصراع كالعراق وسوريا، كما أنّها لم تتخذ خطوات فعلية لمحاسبة الجهات والدول التي تقوم ببيع وشراء الأسلحة والنفط وغيرها مع التيارات الإرهابية كداعش وغيرها، ويتّضح أنّ مصلحتها في ترسيخ جذور الهيمنة والسيطرة بكل أنواعها تقتضي ذلك التعامل المزدوج والمتناقض إزاء التيارات الإرهابية والتكفيرية المتطرفة والجماعات المسلحة.

الخاتمة

من خلال البحث توصل الباحث إلى النتائج والتوصيات وهي:

إنّ تحقيق الأمن الثقافي أمر ضروري ومهم للحفاظ على الذات الحضارية والثقافية بما تحويه من عادات وتقاليد موروثة (مفيدة) كونها تحصّن المجتمع من الثقافات والأفكار الوافدة (الضارة) التي تشجع على الانحلال والإباحية.

أهمية الأمن الثقافي في تحصين فكر الفرد والمجتمع ضد الأفكار الوافدة- غربلة الأفكار والآيديولوجيات الوافدة - التي تحث على نشر أفكار التطرف الديني والإرهاب واستخدام العنف وإلغاء الآخر المختلف، ونشر روح الإسلام الحقيقي الذي يحث على التسامح والتآخي واحترام الآخر المختلف من طريق المؤسسة الدينية والمؤسسات التربوية والتعليمية والمؤسسات الأخرى ذات الصلة، وتوظيف جميع الوسائل والأدوات بما في ذلك الإعلام لخدمة ذلك.

دور الأمن الثقافي الكبير الذي يمكّن المجتمع من مواكبة التقدم العلمي والتكنولوجي، والسير مع ركب الحضارة العالمي، مع المحافظة على الذات الثقافية والحضارية، وتجنب الوقوع في العزلة.

يقوم الأمن الثقافي بحماية الاقتصاد الوطني من هيمنة السياسة الاقتصادية التي تتبعها الدول الإمبريالية التي تسعى للسيطرة على الدول والشعوب وبالأخص الدول ذات الاقتصاد الضعيف.

وللحيلولة دون الوقوع في شباك غطرسة الدول القوية لابد من تشجيع الانتاج الوطني؛ لدوره المهم في تقوية الاقتصاد الوطني وتطويره.

قيام دول العالم كافة بوقفة حضارية عالمية شاملة وحقيقية ضد الجماعات والتنظيمات الإرهابية كالقاعدة وداعش وغيرها، وتسخير كافة الإمكانيات العالمية لمحاربة الإرهاب فكرياً وثقافياً وعسكرياً وتجفيف منابعه بشكل حقيقي، وعقد المؤتمرات والندوات العالمية والمحلية لتعزيز ذلك.

الحاجة القصوى إلى إشاعة ثقافة التسامح الفكري والحوار ونبذ التعصب والعنف- الديني والطائفي والعرقي وغيره- محلياً وعالمياً، من خلال إنشاء مؤسسات تهتم بذلك، وتقديم الدعم اللازم للأشخاص والمؤسسات وتشجيعهم وتسخير الماكنة الإعلامية والأنترنت.

تأكيد دور الإعلام الكبير في تحقيق الأمن الثقافي، ونشر الوعي والتواصل المثمر مع الآخر؛ كونه يعمل على نقل المعلومات بوسائله المختلفة بين الشعوب وبسرعة.

الهوامش

١ – التربية وتحولات عصر العولمة: ٢٣

٢ – صِدام الحضارات: ٨٧.

٣ – نهاية التاريخ وخاتم البشر: ٢١

٤ – ينظر: نهاية التاريخ وخاتم البشر: ٢٨

٥ – العولمة السياسية:٨٢ ، وينظر: إشكاليات الفكر العربي المعاصر: ٧٦

٦ – العولمة السياسية: ٨٢

٧ – المصدر نفسه:٨٢

٨ – المصدر نفسه: ٨٢–٨٣

٩ – عولمة العولمة: ١٢

١٠ – ينظر: المصدر نفسه: ١٢– ١٣

١١ – ينظر : قضايا في الفكر المعاصر: ١٤٧–١٤٩

١٢ – ينظر: عولمة العولمة: ٢٢

١٣ – قضايا في الفكر المعاصر: ١٤٧

١٤ – الخروج من فخ العولمة:١٨

١٥ – العولمة وتاريخ الصراع مع الغرب: ١٣

١٦ – ينظر: الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي في ظل تنامي العولمة: ٥٥

١٧ – ينظر: الأمن الثقافي العربي: بلا

١٨ – مختار الصحاح: ٢٦–٢٧

١٩ – رقعة الشطرنج الكبرى: ٢٠٣

٢٠ – ينظر: هل للإنسان مستقبل: ٨٠–٨٢

٢١ – ينظر: هل للإنسان مستقبل: ٨٤

٢٢ – التصدع العظيم: ١٠٢

المصادر

الكتب

١. برتراند رسل، هل للإنسان مستقبل، ترجمة: علي حيدر سليمان، شركة التايمس للطبع والنشر المساهمة،بغداد، ١٩٨٥

٢. رعد شمس الدين الكيلاني، العولمة وتاريخ الصراع مع الغرب، دار الجنان للنشر والتوزيع، ط١ ، ٢٠١٢

٣. زبغنيو بريجنسكي، رقعة الشطرنج الكبرى، السيطرة الأمريكية وما يترتب عليها جيواستراتيجياً، ترجمة مركز الدراسات العسكرية، ط٢، ١٩٩٩

٤. صامويل هنتنجتون، صدام الحضارات، إعادة صنع النظام العالمي، ترجمة: طلعت الشايب، ط٢ ،١٩٩٩

٥. فرانسس فوكوياما، التصدع العظيم، الفطرة الإنسانية وإعادة تشكيل النظام الإجتماعي، ترجمة: عزة حسين كبة، بيت الحكمة، بغداد، ط١، ٢٠٠٤

٦. فرانسس فوكوياما، نهاية التاريخ وخاتم البشر، ترجمة: حسين أحمد أمين، مركز الأهرام للترجمة والنشر، ط١، ١٩٩٣

٧. فضل الله محمد إسماعيل،العولمة السياسية إنعكاساتها وكيفية التعامل معها، نشر بستان المعرفة، دار الجامعيين للطباعة والتجليد- الاسكندرية، ط١.

٨. كمال الدين عبد الغني المرسي، الخروج من فخ العولمة، المكتب الجامعي الحديث، ط١، ٢٠٠٢

٩. محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرّازي،مختار الصحاح، دار الرسالة- الكويت، ١٩٨٣

١٠. محمد عابد الجابري، قضايا في الفكر المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط١، بيروت، ١٩٩٧

١١. محمد عابد الجابري، إشكاليات الفكر العربي المعاصر، مركز دراسات الوحدة العربية، ط٢، بيروت، ١٩٩٠

١٢. مهدي المنجرة، عولمة العولمة، منشورات الزمن، ٢٠١١

الرسائل والاطاريح

صفية نزاري ،الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي في ظل تنامي العولمة ، دراسة مقارنة لحالات الجزائر- تونس- المغرب، رسالة ماجستير، جامعة الحاج لخضر- باتنة- كلية الحقوق. ٢٠١٠-٢٠١١

المجلات

رفعت شميس، الأمن الثقافي العربي، مجلة أقلام ثقافية، سوريا، بدون عدد وتاريخ، انترنت

مفهوم الأمن الثقافي في القرآن الكريم
دراسة تحليلية

Concept of Cultural Security in the Glorious Quran
(Analytic Study)

أ.م.د. فضيلة عبوسي محسن العامري
جامعة الكوفة / كلية الفقه
Asst.Prof.Dr.Fadheila `Abusi Muhassin Al-`Amari,
College of Jurisprudence, University of Kufa

ملخص البحث:

يعد الأمن نعمة لا تضاهيها نعمة أخرى غير العافية فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((نعمتان مجهولتان الأمن والعافية)، فقد قدم (صلى الله عليه وآله وسلم) الأمن على العامية لكونه العنصر الأساس الذي تبنى عليه العناصر الأخرى المكملة للحياة بجميع أبعادها السياسية ،والاقتصادية ، والاجتماعية ،والثقافية،وانطلاقا من حديث الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكون الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) هو صاحب المعجزة الخالدة وهي القرآن الكريم الذي رسم الحياة الآمنة للفرد من بدء التكوين في الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة بنصوص قرآنية خالدة اعتمد عليها الكون والتطور العلمي في ابحاثه، ولسعة الموضوع فقد اقتصر البحث على الآيات التي عالجت الأمن الثقافي فقد وقع الاختيار على موضوع (الأمن الثقافي في القرآن الكريم دراسة تحليلية) الذي تألف من مبحثين تناول الأول: مفهوم الأمن الثقافي-مقوماته- أبعاده التأثيرية، وجاء المبحث الثاني بعنوان: الأمن الثقافي في القرآن الكريم دراسة تحليلية ،وقد سبقهما تمهيد تضمن التعريف بمفهوم الأمن الثقافي في اللغة والاصطلاح، وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج التي أهمها:

١-إن القرآن الكريم رسم الخطوط العريضة التي توفر الأمن بمفهومه العام بدءاً من دعوة النبي إبراهيم(عليه السلام) في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾البقرة/ ١٢٦،أي من الوطن الآمن إلى السلوك الآمن الذي يتمثل بآيات الحكمة، والموعظة الحسنة بقوله تعالى:﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾النحل/ ١٢٥، إلى الثقافة الآمنة المتمثلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله تعالى:﴿ والْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ الله وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ الله إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة/ ٧١،وهذا عنصر مهم لتحقيق الأمن الثقافي للفرد والمجتمع في ظل التطور التكنولوجي المعاصر، والحرية الذاتية التي لايستطيع أن يحجبها أحد غير الواعز الديني للفرد، واعتزاز الفرد بالذاتية الثقافية التي تستند إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وروايات أهل البيت (عليهم السلام) التي تنكر ما هو منكر وتقر ما فيه الخير والمعروف الذي يعود بالنفع على البشرية جمعاء من دون تمييز عرقي أو طائفي.

٢-نظّم القرآن الكريم العلاقة بين أفراد الأسرة من الزواج والميراث والطلاق،ونظم العلاقة الاقتصادية ،والعلاقة السياسية بين الأوطان ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ الله وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله مَعَ الْمُتَّقِين﴾البقرة/ ١٩٤،وهذا نوع من الأمن السياسي، وحرم الربا وهذا نوع من الأمن الاقتصادي بقوله تعالى:﴿ يَمْحَقُ الله الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَالله لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ البقرة/ ٢٧٦، ولعل سائل يسأل ما علاقة ذلك بالأمن الثقافي؟ أقول الثقافة مصطلح عام يدل بمعناه اللغوي على الحذاقة ،و التمكن من العلوم والآداب والفنون،وفي الاصطلاح هي وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر تاريخه الطويل فهي حصاد لمختلف المنظومات، السياسية، والاقتصادية والاجتماعية، فالثقافة هي الإطار الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد ويتفاعل مع مكوناته المختلفة .

ABSTRACT

Security is considered as a priceless bless in comparison with other blesses, except rubicundity; the messenger of Allah says: Two blesses unknown: Security and rubicundity and gives importance to security over rubicundity as it an essential factor to buttress other concomitant factors political, economic, social and cultural. To delimit the focus of the current paper, Concept of Cultural Security in the Glorious Quran is chosen to be tackled in chapters: the concept of security and the cultural security in the Glorious Quran, its buttresses and analytic and influencing scope, there are and introduction, conclusion and results that emphasize the role of the Glorious Quran in planting such a concept in the mind of people and organizing the way of living man is to take.

المقدمة :

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين

وبعد... يعد الأمن نعمة لاتضاهيها نعمة أخرى غير العافية فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله وسلم): ((نعمتان مجهولتان الأمن والعافية)، فقد قدم (صلى الله عليه وآله وسلم) الأمن على العافية لكونه العنصر الأساس الذي تبنى عليه العناصر الأخرى المكملة للحياة بجميع أبعادها السياسية ،والاقتصادية ، والاجتماعية ،والثقافية،وانطلاقا من حديث الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم)، ولكون الرسول(صلى الله عليه وآله وسلم) هو صاحب المعجزة الخالدة وهي القرآن الكريم الذي رسم الحياة الآمنة للفرد من بدء التكوين في الحياة الدنيا إلى الحياة الآخرة بنصوص قرآنية خالدة اعتمد عليها الكون والتطور العلمي في أبحاثه، ولسعة الموضوع فقد اقتصر البحث على الآيات التي عالجت الأمن الثقافي فقد وقع الاختيار على موضوع (الأمن الثقافي في القرآن الكريم دراسة تحليلية) الذي تألف من مبحثين تناول الأول: مفهوم الأمن الثقافي-مقوماته- أبعاده التأثيرية،وجاء المبحث الثاني بعنوان: الأمن الثقافي في القرآن الكريم دراسة تحليلية ،وقد سبقهما تمهيد تضمن التعريف بمفهوم الأمن الثقافي في اللغة والاصطلاح، وقد توصل البحث إلى مجموعة من النتائج التي ذكرت في مظانها.

التمهيد

مفهوم الأمن الثقافي في اللغة والاصطلاح

إن مصطلح الأمن الثقافي مصطلح مركب من لفظين متصاحبين هما الموصوف (الأمن) والصفة (الثقافي) أفادت المصاحبة اللغوية بينهما في تخصيص دلالة الأمن الذي يدل على العموم بالثقافة فصار الأمن الثقافي،ومن أجل ايضاح المعنى اللغوي لهما جزئا الى لفظين منفردين ؛فالأمن في اللغة مصدر من الفعل الثلاثي (أمن) الذي هو ضد الخوف في الموضع وغيره فقد جاء في العين ((الأَمْنُ : ضد الخوف والفعل منه : أَمِنَ يأْمَنُ أَمْناً،والمأمَنُ : موضع الأمن، والأمنة من الأمن اسم موضوع من أمنت)) [1]، ويأتي الفعل منه متعدياً في توفير الأمن له ويأتي لازماً بمعنى هو الآمن، والأمان والأمانة لها معنى واحد كما جاء في لسان العرب((أَمانُ والأَمانةُ بمعنى وقد أَمِنْتُ فأَنا أَمِنٌ وآمَنْتُ غيري من الأَمْن والأَمان والأَمْنُ ضدُّ الخوف والأَمانةُ ضدُّ الخِيانة والإيمانُ ضدُّ الكفر والإيمان بمعنى التصديق ضدُّه التكذيب يقال آمَنَ به قومٌ وكذَّب

بـه قـومٌ فأَمـا آمَنْتُـه المتعـدي فهـو ضـدُّ أَخَفْتُـه وفي التنزيـل العزيـز (وآمَنَهـم مـن خـوف)، ابـن سـيده الأَمْـنُ نقيـض الخـوف أَمِـن فـلانٌ يأْمَـنُ أَمْنـاً وأَمَنـاً حكـى هـذه الزجـاج وأَمَنـةً وأَمانـاً فهـو أَمِـنٌ والأَمَنـةُ الأَمْـنُ ومنـه (أَمَنـةً نُعاسـاً) (وإذ يَغْشـاكم النعـاسُ أَمَنـةً منـه) نصَـب أَمَنـةً لأَنـه مفعـول لـه كقولـك فعلـت ذلـك حَـذَر الـشر قـال ذلـك الزجـاج وفي حديـث نـزول المسـيح عـلى نبينـا وعليـه الصـلاة والسـلام وتقـع الأمَنـةُ في الأَرض أَي الأَمْـنُ يريـد أَن الأَرض تمتلـئ بالأَمْـن فـلا يخـاف أَحـدٌ مـن النـاس والحيـوان))[٢]،وفي ضـوء المعنـى اللغـوي تظهـر دلالتـه عـلى الأمـن الـذي يكـون ضـد الخـوف بالمعنـى الحـسي مـن الخيانـة والغـدر والإيـمان القلبـي بـالله تعـالى الـذي هـو ضـد الكفر،والمعنـى المـادي في توفـير الأمـن في البلـد بـما يجعـل الحيـاة الاجتماعيـة والسياسـية آمنـة مـن الأعـداء وغيرهـم وهنـا يظهـر دور الدولـة في توفـير الحمايـة للآخـر مـن أبنـاء المجتمـع.

أمـا الأمـن في الاصطـلاح فهـو ((عـدم توقـع مكـروه في الزمـن الآتي وأصلـه طمأنينـة النفـس وزوال الخـوف وأمـن بالكـسر أمانـة فهـو أمـين ثـم اسـتعمل المصـدر في الأعيـان مجـازا فقيـل للوديعـة أمانـة ونحـو ذلـك)[٣]، وفي التعريفـات ((الأمـن عـدم توقـع مكـروه في الزمـان الآتي))[٤]، ويظهـر مـن المعنـى الاصطلاحـي أن الأمـن ذو دلالـة عامـة في دفـع المكـروه وتحقيـق الأمـن عـلى مـر الزمـان بشـتى الطـرق والوسـائل التـي يمليهـا الإطـار الاجتماعـي في مجتمـع مـا.

أمـا لفـظ (الثقـافي) في اللغـة فهـو مصـدر منسـوب إلى لفـظ (الثقافـة) ؛ونسـب إليـه بيـاء تسـمى يـاء النسـب بعـد حـذف (التـاء المربوطـة) ،وكـسر مـا قبـل الآخـر بعـد أن كان مفتوحـاً ، فصـار النسـب كالوصـف لـه [٥]، وهـو مشـتق مـن الفعـل الثلاثـي (ثقُـف) بمعنـى الحـذق والفطنـة فقـد جـاء في تـاج العـروس: ((ثَقُـفَ كَكَـرُمَ وفَـرِحَ ثَقْفـاً بالفَتْـحِ عَـلَى غـيرِ قِيـاسٍ وثَقَفـاً مُحَرَّكَـةً : مَصْـدَرُ ثَقْـفَ بالكَـسْرِ وثقَافَـةً مَصْـدَرُ ثَقُـفَ بِالضَّـمِّ : صَـارَ حَاذِقـاً خَفِيفـاً فَطِنـاً فَهِـماً فهـو ثِقْـفٌ كحِـبْرٍ وكَتِـفٍ وفي الصِّحـاحِ : ثَقُـفَ فهـو ثَقْـفٌ كضَخُـمَ فهـو ضَخْـمٌ وقـال اللَّيْـثُ : رجـلٌ ثَقْـفٌ لَقْـفٌ وثَقِـفٌ لَقِـفٌ أي : رَاوٍ شَـاعِرٌ رَامٍ وقـال ابـنُ السِّـكِّتِ : رجُـلٌ لَقْـفٌ ثَقْـفٌ : إذا كان ضَابِطـاً لـما يَحْويـهِ قائـماً بـه زَادَ اللِّحْيَـانِيُّ : ثَقِيـفٌ لَقِيـفٌ مثـلُ أَمِـيرٍ قالُـوا أَيضـاً : ثُقـفٌ وثَقِـفٌ مِثْـل نَـدُسٍ ونَـدِسٍ وحَـذُرٍ وحَـذِرٍ إذا حَـذَقَ وفَطِـنَ نَقَلَـهُ ابـنُ عَبّـادٍ قـال : وثَقُـفَ فهـو ثِقِّيـفٌ مثـل سِـكِّيتٍ يُقَـال : رجـلٌ ثِقِّيـفٌ لِقِّيـفٌ))[٦]، وفي مختـار الصحاح((ثَقُـفَ الرجـل مـن بـاب ظـرف صـار حاذقـا خفيفـا فهـو ثَقْـفٌ مثـل ضَخُـم فهـو ضَخْـم ومنـه المُثَاقَفـةُ و ثَقِـفَ كعضـد و الثِّقَـافُ مـا تسـوى بـه الرمـاح و تثقيفُهـا تسـويتها و ثَقِفَـهُ مـن بـاب فهـم صادفـه وخـل ثِقِّيـفٌ بالكـسر والتشـديد أي حامـض جـدا مثـل بصـل حريـف))[٧]، وفي الاصطـلاح لم تعـرف الثقافـة وإنـما عـرف الثقـف بأنـه((الثقـف الحـذق في إدراك الـشيء وفعلـه، ومنـه قولهـم رجـل ثقيـف: أي حـاذق في إدراك الـشيء وفعلـه ،وعنـه

استعير المثاقفة ،ويقال ثقفت كذا أي أدركت ببصرك لحذق في النظر، ثم تجوز به فاستعمل في الإدراك ،وإن لم يكن معه ثقافة نحو ﴿ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ﴾البقرة/ ١٩١))[٨]؛أي بمعنى القتل بالسيف،ومن هنا يتفق مصطلح الثقافة في اللغة مع الاصطلاح في الدلالة على الحذاقة والفطنة معنوياً ومادياً التي لا تقتصر على طرف واحد وإنما تتعلق بمخالطة الطرف الآخر لذلك ذكر صاحب التعاريف المثاقفة التي تدل على المشاركة بين اثنين أو أكثر.

ويظهر من طريق الجمع بين اللفظين (الأمن الثقافي) أن المعنى الجامع لهما هو الطريق الصحيح الحذق في التفاعل مع الثقافات الأخر في أي إطار اجتماعي تفرضه الظروف المحيطة به.

أما المحدثون فقد تناولوا مصطلح (الأمن الثقافي) في كثير من بحوثهم ودراساتهم ،فعرفوه بتعاريف شتى منها أن الأمن الثقافي هو((الشعور الذاتي بالانتماء القومي،والذي يخلق اطمئناناً للوجود لدى الأفراد المنتمين الى أمة واحدة، فهو يُمَكن في المحافظة على الهوية والدفاع ضد من يحاول زعزعة ثقافة الأمة))[٩]،فالأمن الثقافي يمثل المحور الأساسي في الأمن القومي من طريق المحافظة على الهوية الذاتية للفرد والمجتمع، ومن هنا يظهر ارتباط المصطلح بتحقيق الأمن والطمأنينة لدى الأفراد في الشعور بالانتماء الى أمة واحدة نعني أمة آمنة تتمتع بوحدة اللغة والهوية ،ومن ثم انعكاس ذلك الشعور على الأمن الاجتماعي للفرد بكونه عنصراً فعالاً فيه، وفي ضوء ذلك نجد أن من الصعب تأصيل المصطلح وحصره في علم بعينه من مثل علم الاجتماع، أو علم النفس، أو علم الاقتصاد، أو العلوم السياسية ،فهو يمثل عنصراً مشتركاً بين العلوم كافة ،لكن يمكن التدرج فيه بنسب مختلفة بين العلوم ؛ فالأمن الثقافي في علم النفس يمثل الدرجة الأعلى لارتباطه بالشعور بالطمأنينة الذاتية للأفراد والحفاظ على هويتهم الذاتية ، ثم يعضده علم الاجتماع بوصف الفرد لا يعيش منفرداً فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾ الحجرات/ ١٣، ثم تأتي العلوم الاقتصادية ،والسياسية التي ترتقي بارتقاء الأمن الثقافي ،وتكاد جميعها تصب في بودق واحد هو تحقيق الأمن الثقافي الذي يتلون بعادات وتقاليد ذلك المجتمع وكلما كان الأمن الثقافي منهله قوياً كان هو الأقوى ، وخير منهل للأمن الثقافي في مجتمعنا هو الاستناد الى القرآن الكريم ،والسنة النبوية الشريفة ، وسيرة أهل البيت (عليهم السلام).

المبحث الأول

الأمن الثقافي – آثاره- مقوماته

يعد مصطلح الأمن الثقافي من المصطلحات القديمة الحديثة التي ترتبط بكل أشكال الأمن الأخرى فهو أحد جوانب الأمن القومي ، لذا يتقدم على الأمن الاجتماعي و العسكري و السياسي و الاقتصادي ؛ فالأمن في الاتجاه الحديث يتأثر بالأوضاع الإقليمية والدولية ، ولا يقتصر على التهديدات العسكرية، وليس مرادفاً لها، ويعد الاقتصاد عاملاً مهماً ومؤثراً في استقرار الحالة الأمنية بعد أن كان الاتجاه التقليدي يحصر الأمن في الإطار العسكري والسباق في التسلح [١٠]، فإذا تحقق الأمن الثقافي فإنه يمكن تحقيق الأمن و الحماية في كثير مجالات الحياة، ولا يقتصر الأمن الثقافي على تمكين العقول من مواجهة الغزو الثقافي بسبب الإرهاب الالكتروني والتطور التكنولوجي بواسطة العولمة الثقافية بل إن عدم تحقيقه يخلق زعزعة وانحلال بكل أشكال الأمن، ولا يقف مصطلح الأمن الثقافي عند المحافظة على الثقافة المحلية من الاختلاط والتأثر بالثقافات الأخرى((إذ إن انتقال الثقافات و انتشارها و تأثير بعضها في بعضها الآخر أمر أكده التاريخ، ولا يمكن نكرانه، فلا يمكن بأي حال من الأحوال إغلاق ثقافة ما عن نفسها إذن يعد الأمن الثقافي أحد جوانب الأمن القومي، فهو يتقدم على الأمن الاجتماعي و العسكري و السياسي و الاقتصادي، فإذا تحقق الأمن الثقافي فإنه يمكن تحقيق الأمن و الحماية في كثير المجالات[١١]، فالأمن الثقافي يعد وسيلة للحفاظ على الذاتية الثقافية والحفاظ على مقومات الثقافة الأصيلة للبلد والتعايش مع مستجدات التطور الحضاري،أما أهم أبعاد الأمن الثقافي[١٢] فهي:-

البعد العسكري: نعني به الغزو العسكري الذي يلحق ببلد ما فيؤثر على الهوية اللغوية في بلد ما أولاً إذ تتأثر الأفراد بلغة الدولة المحتلة لاسيما إن فرضت تلك الدولة المحتلة لغتها في مؤسسات الدولة ودوائرها وخاصة التربوية منها فإنها تؤثر تأثيراً سلبياً في الأمن الثقافي إذ تبدأ الخطورة من هجرة اللغة الأم التي تجسد التراث الحضاري لذلك البلد ،ومن ثم التأثير في الفكر الاقتصادي والعسكري والسياسي والاجتماعي.

البعد الجغرافي: يعني الأرض التي يقيم عليها الأفراد في بقعة جغرافية ما فيتأثر هؤلاء الأفراد بالبلاد المجاورة لهم في عاداتهم وتقاليدهم وأفكارهم قد تؤثر سلباً وايجاباً في الأمن الثقافي؛لاسيما إن كانت هناك لغة مشتركة تجمعهما فلا يحتاجون الى وسيط لغوي بينهما(أعني الترجمة) التي تعيق المخالطة بينهما.

البعد الاقتصادي: ونعني به العمليات التجارية التي يقوم عليها اقتصاد بلد ما من الزراعة والصناعة والتجارة،والأخير أكثر عرضة للمخالطة بين البلدان مما يؤثر في الأمن الثقافي لذلك البلد في اكتساب أفكار وألفاظ جديدة قد يكون لها أثر في الأمن الثقافي للبلد.

البعد السياسي: وهذا يشكل عاملاً أكثر خطورة على الأمن الثقافي في بلد ما،إذ تتضمن السياسة كثيراً من المحاور التي تؤثر سلباً في الأمن الثقافي إذ قد تساس البلاد بثقافة أخرى لا توافق الثقافة الذاتية لأفراد ذلك البلد مما يجعلها في صراع دائم بين التراث الثقافي الذاتي،والثقافة الطارئة على المجتمع التي خلفتها السياسات الطارئة على البلاد خاصة إن كانت تخدم مصالح السياسيين الذاتية ولا تخدم المصالح العامة التي يقوم عليها أفراد ذلك البلد.

البعد التكنولوجي[١٣]: ونعني به التطور التكنولوجي من وسائل الإعلام المختلفة المتمثلة بوسائل التواصل من الانترت ،والفيس بوك ،والهواتف النقالة بشتى أنواعها ،وتبدو أكثر خطراً من غيرها على الأمن الثقافي فهي من العناصر المتاحة في كل زمان وفي كل وقت للصغير والكبير وللمتعلم وللأمي أي يأتي تأثيرها قهراً في أقصى بقاع هذا الوطن المحتل وغير المحتل أيضاً.

آثار الأمن الثقافي

الهوية الثقافية الذاتية التي تتمثل بالتراث الديني واللغوي فإن كان الأفراد متمسكين بلغتهم التي يعبرون بها عن أفكارهم ومشاعرهم، وهم يسيرون في أمن ثقافي فكري يستند الى القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة وروايات أهل البيت(عليه السلام) ،ولا يتأثرون باللغات الأخرى مما يجعل لغة هويتهم الأم أصيلة ومؤمنة ثقافياً،ولن تميل إلى الانحدار والزوال شيئاً فشيئاً بل على العكس من ذلك تجدها لغة متطورة قادرة على التجدد والتعايش مع كل جديد ومفيد من اللغات الأخرى من طريق التلاقح الحضاري١٤.

التراث الحضاري المتمثل بالعادات والتقاليد التي تستند إلى الثقافة الإسلامية في بلد ما فلا يتأثر بالعادات والتقاليد المنقولة من الأمم الأخرى التي تستند الى أسس هاوية لا قوام لها فهي لم تبن على أسس علمية تراثية سلمية.

التراث الاقتصادي ونعني به الاقتصاد الذي يقوم عليه تطور الدولة لاسيما المصادر الرئيسة المعروفة بالنفط فيكون البلد تابعاً لتلك الدولة اذا سيطرت عليه ،فيكون التفكير الاقتصادي لأفراد ذلك البلد المحتل

مقيداً، فلا تتوفر له سبل العيش الرغيد الآمن الذي يبعث على التفكير الثقافي الصحيح الذي يؤمن اقتصاد ذلك البلد فالانتعاش الاقتصادي الآمن يبعث على التفكير الاقتصادي المتطور.

مقومات الأمن الثقافي

الدين:يعد الدين من المقومات الأساسية التي يمكن من طريقها صيانة الأمن الثقافي الذي يستند إلى القاعدة الرصينة التي لا تقبل التحريف المتمثلة بالقرآن الكريم، فضلاً عن السنة النبوية الصحيحة التي تستند إلى روايات أهل البيت (عليهم السلام) [١٥].

اللغة : تعد اللغة وسيلة يعبر بها كل قومٍ عن أغراضهم فهي وسيلة التخاطب بين الأفراد في المجتمع[١٦] ،ونقل الأفكار وتبادلها بين الأفراد ،فإن كانت اللغات متشابهة كأن تكون عربية بين بلدين عربيين قطعاً أن الأمن الثقافي أكثر عرضة للتغيير في الفكر الثقافي في ما لو كانت اللغتان بين البلدين المتجاورين مختلفتين كأن تكون أحدهما عربية وأخرى غير غربية فالتأثير في الأمن الثقافي يكون أقل أثراً سلباً أو ايجاباً.

التراث: يعد التراث من مقومات الأمن الثقافي وأعني بالتراث(التراث الفكري الثقافي)، فتشكل المؤلفات العلمية خاصة في مجال علم الأخلاق وفي مجال علم الاجتماع وفي مجال علم النفس –في ما لو قرئت القراءة الفكرية الصحيحة- عنصراً مهماً في كسب الرصانة للفكر الثقافي إذ تمنح الفرد قواعد التفكير الثقافي الصحيح في كيفية محاججة الآخر وعدم الانجرار مع كلّ ما ينعق هنا وهناك الذي يكون مغطّى بشتى الأغطية التي تكمن وراءها الأفكار الهدامة التي تسعى إلى الإطاحة بالفكر الثقافي للفرد أولاً ومن ثم انتقال أثر ذلك إلى الفكر الثقافي للمجتمع عامة ،ومن هنا يظهر دور التراث الثقافي في حماية الأمن الثقافي للفرد والمجتمع[١٧].

الموقع الجغرافي: إن للموقع الجغرافي أثراً كبيراً في تحقيق الأمن الثقافي إذ إن البلد الذي يكون قريباً من البلاد الإسلامية يكون الأمن الثقافي على قدر من الاطمئنان في تنشئة الأفراد تنشئة ثقافية صحيحة تستند إلى التعاليم الإسلامية ،في حين تكون المسألة العكس في ما لو كان موقع المجتمع قريباً من الدول غير الاسلامية التي تمارس العادات والطقوس البعيدة عن روح الإسلام التي قد يتأثر بها بعض الأفراد من طريق الاختلاط بالآخرين من الطريق المباشر وهو السفر والتجارة،ومن الطريق غير المباشر أعني الطريق الالكتروني،فلو كانت الدولة مجاورة لدولة إسلامية مجاورة فإنها تتأثر بعاداتها وتقاليدها وأفكارها التي تشكل عناصر مهمة في هيكلية الأمن الثقافي.

الوضع الاقتصادي: يشكل الاقتصاد عنصراً مهماً في تحقيق الأمن الثقافي إذ إن الحالة الاقتصادية المستقرة في بلد ما تمكنه من توفير احتياجات الفرد من وسائل العيش الخدمية التي تجعل من الفرد ذي فكر ينظر إلى ماهو فوق العيش أي(ليس يعيش ليأكل) بل (يأكل ليعيش) ويقوم بالدور المناط به في تأدية حقوق الآخر ، وتأدية الآخر حقوقه إليه،وهذا ما يعزز الأمن الثقافي للفرد والمجتمع ،في ما كان الوضع الاقتصادي غير مستقراً في الاتكال على الآخرين في توفير وسائل العيش مما يجعل الأمن الثقافي ليس بالقوة المطلوبة التي تمكن الفرد من التفكر والتدبير في ما يقال ويكتب ويقرأ من الآخر.

الوضع السياسي :إن الوضع السياسي يعتمد على المقومات السابقة ،ويرتبط بها ارتباطاً مباشراً فإن كانت المقومات السابقة على قدر من التحقيق كلاً في مجاله كان لها الأثر البالغ في تحقيق الوضع السياسي الذي يلائم المجتمع والذي ينعكس بدوره على الأمن الثقافي للفرد والمجتمع.

المبحث الثاني

الأمن الثقافي في القرآن الكريم دراسة تحليلية

يتناول هذا المبحث بعض الآيات التي تضمنت الأمن الثقافي ،وذلك بالاعتماد على المنهج الاستقرائي الوصفي،والمنهج التحليلي في بيان مضامين القرآن الكريم الذي يدعو إلى الأمن الثقافي إذ إن ((للإسلام رؤية خاصة في الأمن الثقافي)) يعتمد على أساليب مختلفة منها مباشر ومنها غير مباشر التي رسمت الصورة الصحيحة التي تنير طريق البشرية جمعاء ومنها:-

الأمن الثقافي في ظل الإعلام الصادق وعدم تصديق الدعاية والشائعات إذ قال تعالى ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْماً بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَى مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾الحجرات/ ٦ ،يلحظ الآية الكريمة قد افتتحت بالنداء (ياأيها الذين آمنوا) ؛ الذي يركز على عنصر الإيمان من دون غيره، والذي يفيد شد انتباه المخاطب الى مايقال ثم تلته جملة الشرط التركيبية التي تفيد هي الأخرى في جعل المخاطب في انتظار النتيجة الثانية التي تمثل جواب الشرط (إصابة القوم بجهالة وما يترتب عليها من الندم) الذي يترتب على العلة في الجزء الأول التي تمثل (فعل الشرط) الذي يمثل خبر الفاسق وجاء في تفسير الآية نادمين ((على العجلة وترك التأني))[١٨]؛ كما أن في قوله تعالى(إِن جَاءكُمْ فَاسِقٌ) الدلالة على الشياع والشمول؛لأن النكرة إذا وقعت في سياق الشرط عمّت[١٩]، وهنا يجب عدم الانصياع للإعلام الكاذب الخادع الهدام للفكر الثقافي المسلم ،وهذه الظاهرة كثيراً ما يعاني منها المجتمع في الوقت الحاضر وذلك بسبب وسائل الاتصال المتنوعة والسريعة الوصول بل –استطيع تسميته بالخرق- إلى كل بيت بل الى كلّ نافذة عقلية ،وهنا يظهر دور الأمن الثقافي فإن كان الفكر الذاتي للفرد متطوراً وقادرا على التدبر والتفكر في ما يسمع ،و ما يقال يمكنه عندئذ حماية نفسه والسير بالطريق الصحيح الذي يقوم على المحاججة والرد المستند الى الدليل القاطع وعدم الانجراف وراء الإشاعات المغرضة.

الأمن الثقافي في ظل الانفتاح على الآخر في قوله تعالى:﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُوْلَئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللهُ وَأُوْلَئِكَ هُمْ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ ﴾الزمر/ ١٨ ،وجاء في تفسيره : يستمعون القول الحق من كتاب الله ،وسنة رسوله، فيتبعون أحسنه أي محكمه ويعملون به، إذ قال السدي: يتبعون أحسن ما يؤمرون به فيعملون بما فيه، وقيل هو الرجل يسمع الحسن ،والقبيح فيتحدث بالحسن ،و ينكف عن القبيح فلا يتحدث به ،وقيل يستمعون القرآن[٢٠]،وقيل : إن أحسن القول على من جعل الآية فيمن وحد الله قبل

الإسلام (لا إله إ لا الله) وقال عبد الرحمن بن زيد : نزلت في زيد بن عمرو بن نفيل و أبي ذر الغفاري و سلمان الفارسي اجتنبوا الطاغوت أن يعبدوها في جاهليتهم واتبعوا أحسن ما صار من القول إليهم،وهداهم الله ؛ فهم الذين انتفعوا بعقولهم[٢١]، وهنا يجب الاحتكام إلى القرآن الكريم ،والسنة النبوية الشريفة ،وروايات أهل البيت(عليهم السلام) في ما يسمع وما يقال والذي يشكل في بعضه خطراً على الفكر الثقافي للفرد والمجتمع ؛ فالفكر الإنساني المستند في محاججة الآخر ومناظراته إلى القرآن ،والسنة النبوية الشريفة ،وروايات أهل البيت(عليهم السلام) يستطيع أن يفحم الآخر ويجبره في بعض الأحيان على العدول عن الفكر الضال المنحرف إلى الفكر الحق السليم؛لاسيما أن بعض أفكار الآخر قد شوهتها هي الأخرى مصادر متعددة قد يكون منبعها الحقد والكراهية ،والإعلام المغالط الذي يغوي الآخر ويهوي به من حيث لا يعلم إلى مستنقع لايدري هو نفسه كيف وصل إليه، وهنا يظهر دور الفكر الثقافي المستند إلى المصادر المذكورة في إنارة فكر الآخر وإنقاذ الأفكار الأخرى في كشف الغطاء أمام الآخر،ولعل حكايات المستبصرين وقصصهم تحكي لنا كثيراً من الحكايات والروايات التي تقال على ألسنتهم بأنهم أين كانوا؟ واليوم كيف أصبحوا؟ حتى أن بعضهم دونوا كتبهم التي تثبت استبصارهم؛ ولعل كتاب التيجاني (ثم اهتديت) خير مثالٍ على ذلك، وكل ذلك يعود إلى الفكر الثقافي المؤمن بتعاليم الدين السماوية التي فيها صلاح الدنيا وثواب الآخرة.

الأمن الثقافي في ظل التدبير العسكري منه قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ الله وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ الله يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ الله يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ﴾ الأنفال/ ٦٠، فقد افتتحت الآية الكريمة بفعل الأمر الذي يدل على الوجوب (وأعدوا) أي أعدوا لهم القسي التي ترمون بها الأعداء ، والخيل التي تخيفون بها العدو فقد جاء في تفسيرها ((أمر الله – سبحانه – المؤمنين بإعداد القوة للأعداء ... قال ابن عباس : القوة ههنا السلاح والقسي وفي صحيح مسلم عن عقبة بن عامر قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه (وآله)وسلم وهو على المنبر يقول :وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي ألا إن القوة الرمي))٢٢ ؛فهذا نوع من المطالبة بإعداد القوى العسكرية في مجابهة العدو بما يناسب الموقف ((ما دام (الجهاد) يتطلب قوى تقف حيال العدو المرتكن نفسه إلى قوى يعتمدها ،كذلك،فإن الإسلاميين يتعين عليهم إعداد أنفسهم عسكرياً بنحو يتناسب مع متطلبات المعركة))[٢٣]

الأمن الثقافي في ظل العلاقات الأسرية الناجحة الذي تتجسد بالإحسان إلى الوالدين اللذين يمثلان المحور الرئيس في الأسرة بقوله تعالى :﴿ وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَاناً حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهاً وَوَضَعَتْهُ كُرْهاً

وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْراً حَتَّى إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحاً تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴾ الأحقاف/ ١٥، فقد افتتحت الآية الكريمة بالفعل المضعف(ووصّينا) الذي يدل على التكثير والمسند إلى ضمير المتكلم (نا) الذي يدل على التعظيم في إسناد المتكلم إلى جمع والمتكلم مفرد وهو الله جل وعلا ،إذ جاء في تفسيرها((ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا برا بهما لما كان منهما إليه حملا ووليدا ،و ناشئا ،ثم وصف جل ثناؤه ما لديه من نعمة أمه، و ما لقت منه في حال حمله ،ووضعه، ونبهه على الواجب لها عليه من البر، و استحقاقها عليه من الكرامة، و جميل الصحبة))[٢٤]؛ وقد جاء قوله تعالى (حسناً) على قراءتين (إحساناً) بانتصابه على المصدر،أي ليأت الإحسان إليهما دون الإساءة، ومن قرأ (حسناً)فمعناه ليأت في أمرهما فعلاً حسناً[٢٥] ، إذ تمثل الأسرة النواة الأولى للفرد فمعها يعقد اللقاء الأول منذ الولادة وحتى التنشئة ؛وهنا يظهر دور الأسرة في تحقيق الأمن الثقافي للفرد من طريق العلاقة المتبادلة بين الفرد والأسرة ،وتبدأ من الوالدين اللذين لهما حقوق على الأبناء، وللأبناء واجبات،فإن كانت متنورة بقوانين الشريعة الإسلامية في معاملة الإحسان الذي يدل على الإطلاق أي كثير الإحسان، وقليله ، فقد تثمر فكراً ثقافياً يكون على درجة قصوى من الأمن الثقافي إذ لا يتأثر بما يشاع اليوم من أن حرية الفرد تتجسد في انفصاله عن عائلته واستقلاله في تصرفه سواء ذكراً كان أم أنثى في عمر ما مما يشكل خطراً كبيراً على الأمن الثقافي للفرد، والأسرة والمجتمع.

الأمن الثقافي في ظل الحوار الناجح الذي يقوم على الحجاج بالحكمة والموعظة الحسنة في قوله تعالى﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ﴾النحل/ ١٢٥، وقد فسرت الحكمة بالقرآن لأنه يتضمن الأمر بالحسن،والنهي عن القبيح ،وقيل إن الحكمة هي المعرفة بمراتب الأفعال في الحسن والقبيح،والصلاح والفساد، وقيل :إن الحكمة هي النبوة،والموعظة الحسنة مواعظ القرآن عن ابن عباس[٢٦] ، فقد أمر الله سبحانه رسوله أن يدعو أمته إلى الإسلام بالحكمة، والموعظة الحسنة، وهما طريقان من طرق المجادلة الحسنة ؛هذا إن كان الخصم محقاً وكانت أفكاره صحيحة ، وأحياناً يكون الخصم عدوا لدوداً فيحتاج إلى طرق المجادلة الأخرى من استعمال المعارضة والمناقضة ، ((ولهذا قال سبحانه : ((وجادلهم بالتي هي أحسن)) أي بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة وإنما أمر سبحانه بالمجادلة الحسنة لكون الداعي محقا وغرضه صحيحا وكان خصمه مبطلا وغرضه فاسداً))[٢٧]، وأنّ الله سبحانه وتعالى يأمر رسوله (صلى الله عليه وآله) في الفريقين بما فيه الصلاح؛لأن الجدل هو قتل الخصم عن مذهبه بطريق الحجاج[٢٨]

الأمن الثقافي الفكري في الاعتماد على المجادلة والحوار حتى مع الآخر في قوله تعالى﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَهُنَا وَإِلَهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾العنكبوت/ ٤٦ ، وهنا تبيّن الآية الكريمة المجادلة مع الآخر من أهل الكتاب(اليهود والنصارى)؛ إذ إن المجادلة مصدر على صيغة (المفاعلة) مشتق من الفعل(جادل) الذي يدل على المشاركة وتعني المجادلة ((إقامة الدليل على رأي اختلف فيه صاحبه مع غيره وتعرض في أوقات السلم وأوقات القتال))[٢٩]، وقد ورد في الآية الكريمة بأسلوب يقوم على النهي (ولا تجادلوا) والاستثناء (إلا بالتي هي أحسن))،وهنا يستوقفنا التركيب البنائي لجملة الاستثناء ،فالمستثنى منه محذوف دل عليه المستثنى تقديره((: لا تجادلوهم بجدال إلا بجدال بالتي هي أحسن، ثم نجد أن اسم التفضيل(أحسن) قد خرج من دلالة التفضيل لقصد المبالغة في الحسن أي إلا بالمجادلة الحسنى[٣٠]؛والأحسن : ((الأعلى في الحسن من جهة قبول العقل له ،وقد يكون أعلى في الحسن من جهة قبول الطبع،وقد يكون في الأمرين جميعاً،وفي هذا دلالة على وجوب الدعاء إلى الله تعالى في أحسن الوجوه وألطفها،واستعمال القول الجميل في التنبيه على آيات الله وحججه))[٣١]

الأمن الثقافي في ظل البلد الآمن:الذي تمثل بدعوة إبراهيم (عليه السلام) بجعل البلد آمنا منذ القدم في قوله تعالى﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾البقرة/ ١٢٦، نجد دعوة النبي إبراهيم(عليه السلام) ابتدأت بفعل الأمر الذي يدل على الوجوب الذي خرج لغرض الدعاء(اجعل)،فضلاً عن أن الفعل (جعل) فيه من الجعلية، والتصيير لشيء غير موجود في الأصل، ولعل صاحب الكشاف يوضح ذلك بالمقارنة بين الآيات الكريمة قائلاً ((فإن قلت : أي فرق بين قوله : ﴿ اجعل هذا بلدا آمنا ﴾ البقرة : ١٢٦ ، وبين قوله : ﴿ اجعل هذا البلد آمنا ﴾ ؟ قلت : قد سأل في الأول أن يجعله من جملة البلاد التي يأمن أهلها ولا يخافون وفي الثاني أن يخرجه من صفة كان عليها من الخوف إلى ضدها من الأمن كأنه قال : هو بلد مخوف فاجعله آمنا))[٣٢]»، ولقد كانت دعوة إبراهيم هذه من جوامع كلم النبوءة فإن أمن البلاد والسبل يستتبع جميع خصال سعادة الحياة ويقتضي العدل والعزة والرخاء إذ لا بد أمن بدونها وهو يستتبع التعمير والإقبال على ما ينفع والثروة فلا يختل الأمن إلا إذا اختلت الثلاثة الأول وإذا اختل اختلت الثلاثة الأخيرة وإنما أراد بذلك تيسير الإقامة فيه على سكانه لتوطيد وسائل ما أراده لذلك البلد من كونه منبع الإسلام،ثم دعا لهم (عليه السلام) بالرزق بالثمرات و((هذا دعاء لهم بالرفاهية حتى لا تطمح نفوسهم للارتحال عنه))[٣٣]

وروي عن الصادق (عليه السلام) أنه قال: ((إنما هي ثمرات القلوب، أي حببهم إلى الناس ليثوبوا إليه)) [٣٤]، وعن علي بن إبراهيم، قال: حدثني أبي، عن النضر بن سويد، عن هشام بن سالم، عن أبي عبد الله (عليه السلام)، قال: ((إن إبراهيم (عليه السلام) كان نازلا في بادية الشام، فلما ولد له من هاجر إسماعيل (عليه السلام) اغتمت سارة من ذلك غما شديدا، لأنه لم يكن له منها ولد، و كانت تؤذي إبراهيم (عليه السلام) في هاجر و تغمه، فشكا إبراهيم (عليه السلام) ذلك إلى الله عز و جل، فأوحى الله إليه: إنما مثل المرأة مثل الضلع العوجاء، إن تركتها استمتعت بها، و إن أقمتها كسرتها، ثم أمره أن يخرج إسماعيل (عليه السلام) و أمه. فقال: يا رب إلى أي مكان؟ قال:إلى حرمي و أمني، و أول بقعة خلقتها من الأرض، و هي مكة))[٣٥].

النتائج وخاتمة البحث

إن الثقافة القرآنية تمثل عنصراً فعالاً في تحقيق الأمن الثقافي على أن تكون تلك الثقافة ثقافة تطبيق لا ثقافة تنظير تعتمد على المنطوق والمكتوب بل يجب تفعيل النص القرآني في شتى مجالات الحياة في الحوار وفي المعاملة التي تعتمد على الصدق والأمانة والإخلاص وتجنب الكذب والخيانة، والنميمة وعدم تصديق الشائعات التي تطلق هنا وهناك فالإمام علي (عليه السلام) يقول بين الحق والباطل أربعة أصابع أي الفرق بين ما يصدق من طريق السماع الكاذب ،وبين مايرى ويسمع ؛ولعل سقوط الموصل خير دليل على ذلك بناءً على ماتناقلته الروايات من أن بعض الضباط أشاعوا ذلك فصدق الجند وتركوا اسلحتهم ومواقعهم وحدث ماحدث،وأن تكون مخافة الله تعالى هي رأس الحكمة –كما قال الامام علي (عليه السلام)- في أي فعل يقدم عليه البشر ،وهذا ما يوفر الحصانة للأمن الثقافي الفكري.

إن الأمن الثقافي يمثل المحور الفعال في المجتمع إذ عندما يتحقق الأمن الثقافي يتبعه الاستقرار الفكري والاجتماعي والاقتصادي للمجتمع فهو يملك الطريقة الآمنة التي تحقق غايات المجتمع التي يسعى الى تحقيقها كل فرد فيه،فالأمن والأمان نعمتان لا غنى عنهما في أي مجتمع مهما كانت مؤهلاته الاقتصادية ،والسياسية،والاجتماعية ،والثقافية، والأخيرة هي الروح لهما لاسيما أن وسائلها سهلة الوصول الى أبعد عنصر في المجتمع مهما كانت درجة ثقافته، ولعل ما يلاحظ هذه الأيام من اقتحام وسائل الإعلام إلى زوايا البيوت فلا تكاد تخلو أسرة من تلك الوسائل سواء المباشرة مثل الانترنت ومواقع التواصل الاجتماعي ،والهواتف النقالة،وشاشات التلفاز،أم غير المباشر المتمثلة بالمصادر المطبوعة والمقروءة التي لا يتمكن من الوصول إليها إلا من طريق الذين يكونون على مستوى من الثقافة تكون القراءة والكتابة في أقل مراتبها.

إن القرآن الكريم رسم الخطوط العريضة التي توفر الأمن بمفهومه العام بدءاً من دعوة النبي إبراهيم(عليه السلام) في قوله تعالى:﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَـذَا بَلَداً آمِناً وَارْزُقْ أَهْلَهُ مِنَ الثَّمَرَاتِ مَنْ آمَنَ مِنْهُم بِاللهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ قَالَ وَمَن كَفَرَ فَأُمَتِّعُهُ قَلِيلاً ثُمَّ أَضْطَرُّهُ إِلَى عَذَابِ النَّارِ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴾البقرة/ ١٢٦،أي من الوطن الآمن إلى السلوك الآمن الذي يتمثل بآيات الحكمة، والموعظة الحسنة بقوله تعالى:﴿ ادْعُ إِلِى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴾النحل/ ١٢٥، إلى الثقافة الآمنة المتمثلة بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بقوله تعالى:﴿ والْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاَةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ الله وَرَسُولَهُ أُوْلَـئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ الله إِنَّ الله عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ التوبة/ ٧١،وهذا عنصر مهم لتحقيق الأمن الثقافي للفرد والمجتمع في ظل التطور التكنولوجي المعاصر، والحرية الذاتية التي لا يستطيع أن يحجبها أحد غير الواعز الديني للفرد، واعتزاز الفرد بالذاتية الثقافية التي تستند إلى القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وروايات أهل البيت (عليهم السلام) التي تنكر ما هو منكر وتقر ما هو فيه الخير والمعروف الذي يعود بالنفع على البشرية جمعاء من دون تمييز عرقي أو طائفي.

نظّم القرآن الكريم العلاقة بين أفراد الأسرة من الزواج والميراث والطلاق، ونظم العلاقة الاقتصادية ،والعلاقة السياسية بين الأوطان ﴿الشَّهْرُ الْحَرَامُ بِالشَّهْرِ الْحَرَامِ وَالْحُرُمَاتُ قِصَاصٌ فَمَنِ اعْتَدَى عَلَيْكُمْ فَاعْتَدُواْ عَلَيْهِ بِمِثْلِ مَا اعْتَدَى عَلَيْكُمْ وَاتَّقُواْ الله وَاعْلَمُواْ أَنَّ الله مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾البقرة/ ١٩٤،وهذا نوع من الأمن السياسي، وحرم الربا وهذا نوع من الأمن الاقتصادي بقوله تعالى:﴿ يَمْحَقُ الله الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ وَالله لاَ يُحِبُّ كُلَّ كَفَّارٍ أَثِيمٍ ﴾ البقرة/ ٢٧٦، ولعل سائل يسأل ما علاقة ذلك بالأمن الثقافي؟ أقول الثقافة مصطلح عام يدل بمعناه اللغوي على الحذاقة ،و التمكن من العلوم والآداب والفنون،وفي الاصطلاح هي وسائل الحياة المختلفة التي توصل إليها الإنسان عبر تاريخه الطويل فهي حصاد لمختلف المنظومات،السياسية، والاقتصادية والاجتماعية،فالثقافة هي الإطار الاجتماعي الذي يعيش فيه الفرد ويتفاعل مع مكوناته المختلفة .

هوامش البحث

١) العين،الخليل:٨/ ٣٨٨

٢)لسان العرب،ابن منظور:١٣/ ٢١

٣)التعاريف،المناوي:٩٤

٤)التعريفات،الجرجاني:٥٥

٥) ينظر:أسرار العربية،أبو بركات الأنباري:٣٢٠

٦)تاج العروس،الزبيدي:١/ ٥٧٣٥

٧) مختار الصحاح،الرازي: ٩٠

٨) التعاريف، المناوي:٢٢١

٩) الأمن الثقافي لدى الشباب في مصر:٢٠(بحث منشور في الانترنت)

١٠) ينظر: الأمن في القرآن والسنة،الشيخ خالد النعماني:٢٠-٢١

١١) الأمن الثقافي لمنطقة الغرب العربي، صفية نزاري:٥٥

١٢) ينظر: تغيير مفهوم الأمن القومي الكويتي ودلالاته في الفترة ١٩٩٠- ٢٠١٣م،د. سرور جرمان سرور المطيري: ٨

١٣) ينظر: في العولمة والتكنلوجيا والثقافة –مدخل الى تكنلوجيا المعرفة، يحيى اليحياوي:٢٥

١٤) ينظر:الثقافة والهوية،اشكالية المفاهيم والعلاقة ،أ. شهيب عادل:٦

١٥) ينظر: الثقافة الاسلامية،دمصطفى مسلم،د. فتحي محمد الزغبي:١٦

١٦) ينظر:الخصائص،ابن جني: ١/ ٣٣

١٧) اينظر: لثقافة والهوية،اشكالية المفاهيم والعلاقة ،أ. شهيب عادل:٦

١٨) تفسير القرطبي:١٦/ ٢٦٤

١٩) اعراب القرآن الكريم وبيانه،محيي الدين الدرويش:٧/ ٢٤٨

٢٠) ينظر:فتح القدير،الشوكاني: ٤/ ٦٤٩

٢١) تفسير القرطبي:١٥/ ٢١٤

٢٢) ينظر:تفسير القرطبي:٨/ ٣٦

٢٣) التفسير البنائي للقرآن الكريم،د.محمود البستاني:٢/ ١١٥

٢٤) تفسير الطبري:١١/ ٢٨٣

٢٥) ينظر:مجمع البيان ،الطبرسي:٩/ ٧٦

٢٦) ينظر:مجمع البيان،الطبرسي:٦/ ١١٥

٢٧) فتح القدير،الشوكاني:٣/ ٢٩١

٢٨) ينظر:مجمع البيان،الطبرسي:٦/ ١١٥

٢٩) التحرير والتنوير،ابن عاشور:١/ ٣٢٠٤

٣٠) ينظر:التحرير والتنوير،ابن عاشور:١/ ٣٢٠٤

٣١) مجمع البيان الطبرسي:٨/ ١٩

٣٢) الكشاف،الزمخشري:١/ ٦٣٢

٣٣) التحرير والتنوير،ابن عاشور:١/ ٤١٠

٣٤) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني:١/ ٣٣٠

٣٥) البرهان في تفسير القرآن، السيد هاشم البحراني:١/ ٣٣٠

المصادر والمراجع

١. أبعاد الأمن الثقافي لدى الشباب: (بحث منشور في الانترنت)،الخميس،تشرين الثاني،٢٠١٢م في موقع الإعلام المركزي،تيار المقاومة والتحرير،قوات العاصفة،حركة التحرير.

٢.أسرار العربية: عبد الرحمن بن أبي الوفاء محمد بن عبيد الله بن أبي سعيد، تحقيق : د.فخر صالح قدارة،ط١،الناشر : دار الجيل - بيروت ، ١٩٩٥.

٣.إعراب القرآن الكريم وبيانه:محيي الدين الدرويش،ط٢،مط. سليمان زادة

٤.الأمن الثقافي لمنطقة المغرب العربي في ظل تنامي العولمة دراسة مقارنة الحالات:صفية نزاري(اطروحة دكتوراه)،اشراف:أ.د صالح زباني،جامعة الحاج خضر،باتنة، كلية الحقوق،قسم العلوم السياسية،٢٠١٠-٢٠١١م.

٥.الأمن في القرآن والسنة: الشيخ خالد النعماني،ط١،العراق،كربلاء، العتبة الحسينية المقدسة،١٤٣٦ه-٢٠١٥م .

٦.البرهان في تفسير القرآن: السيد هاشم الحسيني البحراني(ت ١١٠٧هـ)،تحقيق:قسم الدراسات الإسلامية،مؤسسة البعثة،قم

٧.تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الحسيني الزبيدي (ت١٢٠٥هـ)، تحقيق: عبد الكريم الغرباوي، ط٢، مطبعة حكومة الكويت، ١٩٨٧م.

٨.التحرير والتنوير: للأستاذ الشيخ محمد طاهر بن عاشور ،ط١،مط عيسى البابي الحلبي وشركاؤه، ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤م.

٩.التعريفات : علي بن محمد بن علي الجرجاني، تحقيق : إبراهيم الأبياري،ط١،الناشر : دار الكتاب العربي - بيروت ، ١٤٠٥ه.

١٠.تغيير مفهوم الأمن القومي الكويتي ودلالاته في الفترة ١٩٩٠-٢٠١٣: سرور جرمان سرور المطيري،المكتب العربي للمعارف.

١١.التفسير البنائي للقرآن الكريم:الدكتور:محمود البستاني،ط١،مؤسسة الطبع التابعة للاستانة الرضوية المقدسة، ١٤٢٤ق/ ١٣٨٢ش.

١٢.التوقيف على مهمات التعاريف : محمد عبد الرؤوف المناوي، تحقيق : د. محمد رضوان الداية،ط١،الناشر : دار الفكر المعاصر، دار الفكر - بيروت، دمشق، ١٤١٠هـ.

١٣.الثقافة الإسلامية تعريفها،مصادرها،مجالاتها،تحدياتها:د. مصطفى مسلم،د.فتحي محمد الزغبي،مكتبة الجامعة،إثراء للنشر والتوزيع.

١٤.:الثقافة والهوية،اشكالية المفاهيم والعلاقة :أ. شهيب عادل،جامعة جيجل،الجزائر.

١٥.الخصائص: أبو الفتح عثمان بن جني،تحقيق:محمد علي النجار،عالم الكتب،بيروت.

١٦.العين، لأبي عبد الرحمن الخليل بن احمد الفراهيدي،(ت ١٧٥هـ) تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور ابراهيم السامرائي، الجمهورية العراقية، ١٩٨١م

١٧.فتح القدير الجامع بين فني الرواية والدراية من علم التفسير: محمد بن علي الشوكاني،تحقيق:عبد الرحمن عميرة،دار الوفاء.

١٨.في العولمة والتكنلوجيا والثقافة- مدخل الى تكنلوجيا المعرفة : يحيى اليحياوي،ط١، الطليعة للطباعة،بيروت،لبنان،٢٠٠٢م.

١٩.الكشاف:لأبي القاسم محمود بن عامر الزمخشري الخوارزمي(٤٦٧ هـ -٥٣٨ هـ)،ط٢،دار إحياء التراث العربي بيروت،لبنان١٤٢١ هـ -٢٠٠١م.

٢٠.لسان العرب: ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الافريقي المصري (ت٧١١ه)، تحقيق: أمين محمد عبد الوهاب،ومحمد الصادق العبيديّ ،دار صادر - بيروت، لبنان، ١٣٨٨ هـ - ١٩٦٨.

٢١.مجمع البيان في تفسير القرآن:لأبي علي الفضل بن الحسن الطبرسي(٢٤٨ هـ)،ط١،مؤسسة التراث العربي ،بيروت- لبنان، ١٤٢٦ هـ -٢٠٠٨م.

الثورة المعلوماتية والامن الثقافي
(قراءة سوسيولوجية في منظومة القيم)

Info-revolution and Civilization Security
Sociological Reading on the Values)
(System

أ.م.د.احمد عبد الرضا الحسني
كلية الآداب/ جامعة بغداد

أ.م.د.وليد عبد جبر الخفاجي
كلية الآداب / جامعة واسط

Asst.Prof.Dr. Ahamed `Abidalridha Al-Hassani
College of Arts - University of Baghdad

Asst.Prof.Dr. Waleed `Abid Gabur Al-Khafaji
College of Arts - University of Wasit

ملخص البحث:

مع مرور الزمن والتسارع المطّرد للتطور التكنولوجي ، غلبت ثقافة العولمة في أرجاء المعمورة فتحول العالم الى قرية صغيرة ، وأصبح تبادل المعلومات والافكار أسرع من غمضة عين والمعلومات متاحة بضغطة زر ، وانتقلت الافكار المتباينة وأحياناً الغريبة بين مختلف الطوائف من البشر فتارة تجمعهم وتارة تفرقهم ، وسادت سياسة العولمة والثقافة الكونية على الحضارات ذات الجذور البعيدة . ومع كل هذا التطور الذي جاءت به الثورة المعلوماتية والتغيير في جغرافية الزمان والمكان والدول والاشخاص ، يطل علينا مصطلح الامن الثقافي ليدق بقوة ناقوس الخطر من انهيار الحضارات وتدهور ثقافات الشعوب ، ويعلن اهمية تواجده على الساحة المعاصرة بوصفه منهجاً ضرورياً في سياسات الدول كالأمن الاقتصادي والقومي والغذائي أو حتى السياسات ، وسلاحاً قوياً في مواجهة الجماعات الارهابية المتشددة فكرياً التي تحارب الحضارات والشعوب بأفكار هدامة وعنف مفرط وحروب لا تنتهي ، وهو محور مهم من محاور حياة افراد المجتمعات الانسانية اليومية ، بعد ان حولت ثورة المعلومات والتقانات الدول المختلفة والمتباعدة الى بيوت صغيرة في عالم واحد ، اتسعت حدوده وتلاشت مع الانتقال السريع للمعلومة والحدث .

Abstract:

The present research study aims to ponder over the reflections of the info-revolution on the Islamic Arabic civilization security with an emphasis on the Iraqi case confronting seismic strokes in the values system left fissured , as it copes with great challenges ; first to preserve the genuinity of its social values and second to resist the sweeping tide of globalization , as commonly agreed that the demerits of the info-revolution are more complicated and controversial ; it pertains to our ethics, rooted values, ideology , niche and societal systems . The moment there is a talk about the demerit of the info -revolution, politics surges into mind since it is harmful in deteriorating a society , contaminating the national culture , maters of the cultural identity and other cultural privacies controversy gravitates around in the recent years worldwide .Such cases find justification as there is an information flow , one dimensional, meandering from the north to the south ; these discussions grant you one impression that change , deterioration and distortion have happened and been happening .

المقدمة :

اذ تعددت الآراء التي تنظر لى مفهوم الامن الثقافي أو الحضاري ، فأغلبها تجد أنه أحد جوانب الامن القومي ، بل أهمها ، فهو يتقدم على الامن الاجتماعي والغذائي والاقتصادي والعسكري وغير ذلك ، فإذا تحقق الامن الثقافي فانه يمكن تحقيق الامن والحماية في كثير من المجالات الاخرى ، وتواجه المجتمع تحديات كثيرة واخطرها التحديات الثقافية أو الحضارية التي تنتقل من طريق العناصر الثقافية ، وخصوصا عندما يتعرض المجتمع الى عملية التغير الاجتماعي التلقائي أو المخطط ، مما يفاقم من حجم هذه التحديات وانعكاساتها السلبية على الفرد والاسرة والمجتمع ، وما ساهمت فيه الثورة المعلوماتية والتقدم المطرّد في وسائل الاتصال الحديثة ، فهذه الثورة الديناميكية المركبة تشتمل على أربعة تغييرات سريعة أساسية على الأقل[1] :

الأولى : القفزة المدهشة لتكنولوجيا الحوسبة ومعالجة المعلومات واندماجها مع التقدم المذهل لوسائل الاتصال (الهاتف ، والتلفزيون، والمحطات الفضائية) ، في منظومة تقنية واحدة .

والثانية : التطور غير المسبوق في تراكم المعرفة والانتقال من المعرفة العلمية الى تطبيقاتها العلمية (التكنولوجيا) بسهولة أكبر وزمن اقل من جهة ، والسرعة العجيبة في نقل هذه المعرفة واعمامها على مستوى العالم نتيجة لذلك من جهة ثانية .

الثالثة : الانترنيت (الشبكة الدولية للمعلومات) التي تجمع العالم كله على منابع معلومات حرة . وتميز الانترنيت بأن خدمته تشمل كل الخدمات التي توفرها وسائل الاتصال المختلفة وتتخطاها، وتطرح عدداً هائلاً من الخيارات المنفلتة من أي نوع من الرقابة . فمهما كثر عدد القنوات الفضائية يظل مع ذلك عدداً محدوداً ، أما مع الانترنيت فبالإمكان الاطلاع على الالاف المواقف التي تعرض جميع أنواع المعلومات واصنافها.

اما الرابعة : فهي العواقب والتأثيرات الاكيدة والممكنة والمحتملة التي يرتكبها ذلك في حياة البشر الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية.

وعند الحديث عن سلبيات الثورة المعلوماتية والاتصالية تقفز الى الذهن فوراً مسائل خطورتها في التفكيك والغزو الثقافي والتلويث الثقافي وافساد الثقافات الوطنية ، ومسائل الهوية الثقافية ، وسواها من المسائل المتعلقة بالخصوصية الثقافية التي دارت حولها نقاشات حامية في السنوات الأخيرة في جميع انحاء

العالم تقريباً . وهي قضايا تمتلك فعلاً مشروعيتها ومبرراتها في واقع التدفق المعلوماتي وحيد الاتجاه من الشمال الى الجنوب عموماً . وتلك النقاشات تعكس احساساً بأن التغير والتفكيك والتشويه قد حدث ويحدث بالفعل

وتحتل القيم مكانة مهمة في حياة الفرد والمجتمع فلها أهميتها بالنسبة للشباب فتعمل على وقايتهم من الانحراف وتسهم في بناء شخصيتهم، وقدرتهم على التكيف مع الحياة ومشكلاتها، وهي تمثل موجهات لحيازتهم في مجالات الحياة المختلفة فتجعلهم أكثر قدرة على اتخاذ قراراتهم وإنهاء صراعاتهم ومواجهة أزماتهم وتحدياتهم وتنمية مجتمعاتهم.

ويكتسب مفهوم الامن الثقافي معنى ذاتياً تراكمياً ان حسبنا الامن مرادفاً في الدلالة لتحقيق الاشباع الذاتي من الحاجات الثقافية ، وهذا ما يتخذه المفهوم من معنى في الوجه الاول ، والذي يتجسد بالتبعية للمنتج ، والوجه الاخر يتخذ معنى دفاعاً صرفاً على نحو ما يكونه اي امن استراتيجي آخر يدخل في نطاق الامن القومي . ويقسم البحث على عدة محاور تضمن المحور الاول: الاطار المفاهيمي واختص المحور الثاني : بتحديد أهم المفاهيم الاساسية التي اعتمدها البحث والمفاهيم ذات الصلة بها . والمحور الثالث :عرض نماذج لدراسات سابقة ومناقشتها ، في حين تطرق المحور الرابع الى آليات العولمة وأزمة القيم وتناول المحور الاخير : العولمة والامن الثقافي ثم عرض لأهم النتائج التي توصل اليها البحث.

المحور الاول : الاطار المفاهيمي : ويشتمل على عناصر البحث وهي :

اولا : مشكلة البحث :

لقد أصبح المجتمع يعانى الكثير من المشكلات الناجمة عن تغير القيم(أي التحول الذي طرأ عبر الزمن داخل المجتمع) ، فإذا نظرنا قليلاً نحو أنفسنا نرى ما آلت إليه بعض قيمنا الأصيلة التي كانت سمة لمجتمعنا قد عفا عليها الزمن وأصبحت لا تتناسب مع عالم الماديات والتكنولوجيا المعاصرة . ومن مظاهر تضاؤل القيم الأخلاقية في الجيل الناشئ عدم احترام ملكية الاخرين وحقوقهم والتنكر لحقوق الوالدين وعدم المبالاة بالنظم والقوانين وأصبح المجتمع أكثر عنفاً وأقل انضباطاً وأكثر تساهلاً. ولقد طغت القيم المادية على القيم الروحية التي اختنقت وانخفضت في الصدور، فسادت الانانية، والاستغلال، وحل الصراع محل التنافس والتعاون وغاب التكافل الاجتماعي وتفككت الروابط الاجتماعية الأصيلة وصارت روابط المصالح والمنافع وهى روابط وهمية مؤقتة مرتبطة بالموقف فقط وتتمزق بمجرد انتهاء المصلحة، قل الإحساس بالخطر العام على المجتمع فضاعت الشهامة والمروءة وصار الناس إذا مروا على حادث رفضوا الإبلاغ وإذا طلبت منهم الشهادة أنكروها والمساعدة منعوها وإن ما نلاحظه من إهدار للمال العام وتخريب الممتلكات والمرافق العامة وغيرها والاستهتار بالقيم وضعف الغيرة على أعراض الناس وتقطع الأرحام والصلات الإنسانية وذلك يرجع إلى التغيرات التي طرأت على المجتمع في الآونة الأخيرة والتي انعكست على سلوكيات الشباب وأحدثت أزمة أخلاقية فيما بينهم.

فيحاول البحث أن يسلط الضوء على مجموعة العوامل الداخلية المرتبطة بالبنية الداخلية للمجتمع وكذلك العوامل الخارجية التي أدت إلى حدوث تلك الأزمة أيضا. والبحث يرتكز على تساؤل رئيس:

ماهي انعكاسات الثورة المعلوماتية على قيم الافراد في المجتمع وأمنهم الثقافي ؟ .

ثانياً : اهمية البحث :

يسلط البحث الضوء على الجانب الخلقي في الوقت الحاضر فالمتتبع لوسائل الاعلام ومواقع التواصل الاجتماعي يلاحظ أنها تقوم بنشر العديد من الجرائم مثل الخطف، والاغتصاب والاختلاس والرشوة وحوادث التطرف والتحرش الجنسي وهى جرائم غريبة نسبياً على مجتمعاتنا ، التي يمكن أن ترجع في تحليلها النهائي الى قصور الجانب الخلقي الذى يعاني منه هؤلاء الأفراد من مرتكبي الحوادث والجرائم، و تزايدت موجة العنف والإرهاب في مجتمعنا في الآونة الأخيرة بصورة لم يسبق لها مثيل .

إن القيـم الأخلاقيـة هـي مـؤشر لنوعيـة الحيـاة في أي مجتمـع لأنهـا انعـكاس للأسـلوب الـذى يفكـر بـه الفـرد وفي ظـل التحـولات التي طـرأت عـلى المجتمـع تعـد القيـم نوعـاً ثابتـاً مـن الضغـوط الاجتماعيـة المؤثـرة في السـلوك ويظهـر ذلـك في قبـول بعـض الأعـمال والسـلوكيات ، اذ إن أهميـة أي دراسـة ترجـع إلى أهميـة الموضـوع الـذى تتصـدى لـه ، اذ يلاحـظ مـن البحـوث والدراسـات العربيـة والأجنبيـة التـي أجريـت في مجـال القيـم الأخلاقيـة أن دراسـة القيـم الأخلاقيـة لم تحـظ باهتـمام الكثـير مـن الباحثـين إذا مـا قورنـت بعـدد الدراسـات التـي أجريـت في مجـال القيـم بصفـة عامـة . ويركـز البحـث عـلى فئـة حيويـة في المجتمـع وهـم الشـباب اذ يعـدون القلـب النابـض في المجتمـع فهـم قـادة المسـتقبل فالمجتمـع الغنـي بشـبابه هـو المجتمـع المزدهـر بعكـس المجتمـع الفقـير بشـبابه فـإن مآلـه إلى التفـكك والانهيـار. وتتجسـد أهميـة البحـث في الوقـوف عـلى انعكاسـات الثـورة المعلوماتيـة عـلى الامـن الثقـافي العـربي الاسـلامي مـع التركيـز عـلى الحالـة العراقيـة ومـا شـهدته مـن هـزات عنيفـة في منظومـة القيـم وتصـدع كبـير فهـي تعيـش حالـة صراع كبـير يتجسـد في الجانـب الاول في قدرتهـا عـلى الحفـاظ عـلى أصالـة القيـم الاجتماعيـة ، وفي الجانـب الثـاني مقاومـة التيـار العولمـي الجـارف ، فسـلبيات الثـورة المعلوماتيـة هـي اكثـر تعقيـداً والتباسـاً واقـل رسـوخاً. إذ انهـا عـلى الغالـب تتصـل بأخلاقنـا وقيمنـا الراسـخة وبأيديولوجياتنـا وموقعنـا وانظمتنـا الاجتماعيـة والسياسـية ، أي باختصـار تضـع العـالم كلـه بـين أيدينـا.

ثالثا: اهداف البحث :

١ . الوقـوف عـلى أهـم سـلبيات ثقافـة العولمـة الهدامـة للحفـاظ عـلى خصوصياتنـا الثقافيـة واصالـة حضارتنـا في ظـل التطـور المتسـارع لثـورة التكنولوجيـا وسرعـة انتقـال المعلومـة وبيـان انعكاسـاتها عـلى الامـن الثقـافي للمجتمـع ٢. تسـليط الضـوء عـلى أهـم العوامـل الداخليـة والخارجيـة التـي سـاعدت عـلى حـدوث أزمـة القيـم الأخلاقيـة في مجتمعاتنـا العربيـة الاسـلامية .

٣. التوصـل الى عـرض أهـم النتائـج والمقترحـات بوصفهـا سـبلاً للحـد مـن اخطـار المـد الثقـافي غـير المقنـن عـلى مجتمعنا

رابعاً : منهجية البحث :

اعتمـد البحـث عـلى المنهـج الوصفـي التحليـلي اذ يعـد مـن أكثـر مناهـج البحـث الاجتماعـي ملاءمـة للواقـع الاجتماعـي وخصائصـه ، وهـو الخطـوة الاولى نحـو تحقيـق الفهـم الصحيـح لهـذا الواقـع . والـذي مـن خلالـه نتمكـن مـن الاحاطـة بـكل أبعـاد هـذا الواقـع ، محـددة عـلى خريطـة تصـف وتصـور بـكل دقـة كافـة ظواهـره وسـماته [٢].

ويهدف المنهج الوصفي الى جمع الحقائق والبيانات عن ظاهرة او موقف معين مع محاولة تفسير هذه الحقائق تفسيرا كافيا[٣] . والبحوث الوصفية لا تنحصر اهدافها في مجرد جمع الحقائق ، بل تهدف الى تصنيف البيانات والحقائق وتحليلها تحليلا علميا كافيا ثم الوصول الى تعميمات بشأن الظاهرة موضوع الدراسة . ويعرف المنهج الوصفي بأنه طريقة من طرق التحليل والتفسير بشكل علمي منظم من أجل الوصول الى أغراض محددة لوضعية اجتماعية أو مشكلة اجتماعية أو انسانية .

المحور الثاني : تحديد اهم المفاهيم والمصطلحات العلمية :

١ .الثورة المعلوماتية :

حدث في القرن العشرين نمو نوعي على شكل طفرة أو قفزة لحجم ومقاييس المعلومات والمعارف المتداولة ، ومنها بالطبع المعلومات العلمية – التقنية ، وسمي ذلك بالانفجار المعلومي (أو انفجار المعلومات) وبالثورة المعلوماتية (أو ثورة المعلومات) [٤].

وكان نشوء المعلوماتية وتطورها العاصف ناتجين عن النمو الحاد في ساحة التطبيق الاجتماعي وفي دينامية وتعقيد هذا التطبيق بصورة متزايدة ، وبذلك اكتسبت مصادر المعلومات في المجتمع أهمية استراتيجية ، وقد تخللت المعلوماتية سائر مجالات الحياة الاجتماعية تقريبا .

وتعني المعلوماتية بمعناها الواسع – منظومة المعارف المنتمية الى سائر أنواع المعلومات في الطبيعة والمجتمع وفي التجهيزات التقنية ، سواءً من حيث انتاج هذه المعلومات وتحويلها ، أو من حيث تخزينها وتوزيعها. وبالمعنى الضيق للكلمة تعني المعلوماتية (أو اينفورماتيكس) علماً متنامياً بسرعة مذهلة ، أو تخصصاً أو مادة علمية ، هي جميعاً العلم أو التخصص الذي تتحد فيه علوم متنوعة عديدة كالرياضيات والفيزياء والتكنيك وغيرها من العلوم اللازمة لصنع الحواسب أو الكومبيوترات والروبوتات واللازمة لأتمتة النظم الادارية أو نظم الادارة ، وبهذا المعنى تكون المعلوماتية علماً تطبيقياً ، مركباً « متعدد الاختصاص» – أو « بين اختصاصي « ، وتكون المعلومات فيه موضوعاً ووسيلة وهدفاً . informatics[٥].

وتعرف الثورة المعلوماتية أيضا بأنها : هي ثورة ديناميكية مركبة تشمل على أربعة تغييرات سريعة أساسية على الأقل هي :

الأولى : القفزة المدهشة لتكنولوجيا الحوسبة ومعالجة المعلومات واندماجها مع التقدم المذهل لوسائل الاتصال (الهاتف ، والتلفزيون، والمحطات الفضائية) ، في منظومة تقنية واحدة .

والثانية : التطور غير المسبوق في تراكم المعرفة والانتقال من المعرفة العلمية الى تطبيقاتها العلمية (التكنولوجيا) بسهولة أكبر وزمن اقل من جهة ، والسرعة العجيبة في نقل هذه المعرفة وإعمامها على مستوى العالم نتيجة لذلك من جهة ثانية .

الثالثة : الانترنيت (الشبكة الدولية للمعلمات) التي تجمع العالم كله على منابع معلومات حرة . وتتميز الانترنيت بأن خدمتها تشمل كل الخدمات التي توفرها وسائل الاتصال المختلة وتتخطاها، وتطرح عدداً هائلاً من الخيارات المنفلتة من أي نوع من الرقابة . فمهما كثر عدد القنوات الفضائية يظل مع ذلك عدداً محدوداً ، أما مع الانترنيت فبالإمكان الاطلاع على الاف المواقف التي تعرض جميع أنواع المعلومات واصنافها الاقتصادية والسياسية والفنية والبيئية ، أي باختصار تضع العالم كله بين أيدينا .

اما الرابعة : فهي العواقب والتأثيرات الاكيدة والممكنة والمحتملة التي يرتكبها ذلك في حياة البشر الاقتصادية والسياسية والثقافية [٦] .

لقد كثر استخدام لفظ ثورة لكل تغيير أو تعديل ليس في حياتنا السياسية فقط ، بل في كافة مجالات اهتمامنا حتى كاد اللفظ يفقد معناه الحقيقي فالمصدر الذي نعيشه يمثل انقطاعا وتغييرا في نمط الحياة والتكنولوجيا المستخدمة يوميا لنقل المعلومات وهو ما جعل ثورة المعلومات تنسب اليه [٧] .

ومن الناحية اللغوية تستخدم كلمة ثورة للتعبير عن التغيير السياسي والاجتماعي الذي يقوم به الشعب في دولة ما [٨] .

٢. الامن الثقافي:

الأمن الثقافي هو مصطلح يبدو للوهلة الأولى متناقض المفردات، يتكون من كلمتين ذات معنيين مختلفين – هما الأمن والثقافة – فالأمن كمفهوم عام ومتداول هو توفير الجو الآمن لتداول الحريات التي نمارسها ودلالته دوما تشير إلى الدفاع، العزلة والسيطرة لتوفير الحماية المطلوبة، أو الانغلاق والتكتم لو تطلب الأمر ذلك في أحيان كثيرة. أما الثقافة فتتضمن حسب الكثير من التعريفات المختلفة والمتعددة النشاط الفكري والفني للأعمال المنتجة من جهة والمعتقدات والفنون والعادات والآثار والأعمال التي ينتجها

مجموعة من الناس في وقت ما عبر التاريخ من جهة أخرى. وهو المفهوم الذي يتناقض بكل تأكيد مع مفهوم الأمن، فمفهوم الثقافة المتداول والمعروف يشير دوماً إلى الإبداع والانفتاح والتحرر من القيود للتعامل مع الآخر وتبادل الآراء المختلفة والمهمة والمطلوبة تبعاً لاختلاف التجربة والبيئة المحيطة والمراحل العمرية في أزمان مختلفة[٩].

٣.القيم :

أولاً : مفهوم القيم من المنظور اللغوي ، تعني كلمة القيمة Value كلمة مشتقة من الفعل اللاتيني Valea، ومعناها في الأصل أنا قوى وأنا بصحة جيدة أي إنه يشمل معنى المقاومة والصلابة.

وكلمة القيمة في القواميس والمعاجم تأتى بالمعاني الآتية :

في المعجم المحيط : القيمة الشي : ثمنه الذى يعادله، الإنسان : قدره- هو ذو قيمة كبيرة/ هو إنسان لا قيمة له وفي المعجم الوجيز : القيم تعنى قيمة الشي وقدره وقيمة المتاع أي ثمنه، وقوم الشي أي اصلحه، وقيم الشي بمعنى أظهر ما فيه من إيجابيات وسلبيات وفي مختار الصحاح القيمة: واحد القيم، وقوم الشي تقويماً فهو قويم ومستقيم وفي قاموس المورد : قيمة قدر، أهمية، ثمن، مقدار.

وفي قاموس انجلش وانجلش : القيم كل ما يشير إلى ما هو مرغوب فيه من الجماعة والقيم نتاج اجتماعي حيث يحدد كل مجتمع، الأنماط القيمية المختلفة في الحياة وتكون ملزمة للفرد والجماعة، بل للمؤسسات الاجتماعية أيضاً[١٠] .

والقيم في قاموس علم الاجتماع تعنى أي موضوع أو حاجة أو اتجاه أو رغبة، ويستخدم المصطلح في معظم الحالات حينما تظهر علاقة تفاعلية بين الحاجات والاتجاهات والرغبات من جهة والموضوعات من جهة أخرى [١١].

والقيم في معجم المصطلحات الاجتماعية هي كل ما يقوم به أو يعطى قيمة لسواه أحياناً تقال القيمة على الشي الثمين المرغوب المنشود ولأسباب ذاتية أو لاعتبارات نفسية- اجتماعية أو اقتصادية[١٢] .

وعلى هذا يمكن القول إن القيم في الموسوعات والقواميس تعكس ما يلي :

القيم مفهوم مجرد

تشير إلى ما هو مرغوب فيه أو الحسن أو ما ينبغي أن يكون عليه السلوك الإنساني- ترتبط القيم بالبناء الداخلي للكائن البشري .

وهي عملية تقديرية يقوم بها الإنسان لإشباع حاجاته ورغباته ، ترتبط القيم بالفعل، ومن ثم تكون القيم معياراً لسلوك الأفراد .

٤ . مفهوم الأزمة :

أصبحت الأزمات جزءاً من نسيج الحياة وزادت حدتها في العصر الحالي الذى تميز بأزمات ذات إحداث داخلي من صنع البيئة الداخلية وإحداث خارجي بفعل البيئة الخارجية والطبيعة البشرية مثل العادات والتقاليد وعدم استقرار الأوضاع الاقتصادية ونقص الموارد بأشكالها المختلفة التي تندرج تحتها الأخطاء البشرية وثورة المعلومات مما دفع بعضهم إلى وصف هذا العصر بأنه عصر الأزمات .

قد يبدو للوهلة الأولى أن تحديد معنى الأزمة مسألة سهلة ولا تحتاج إلى جهد غير أن الواقع يشير إلى صعوبة ذلك فبالرغم من شيوع كلمة أزمة وتناولها المستمر في خطابنا اليومي إلا أنها من المفاهيم صعبة التحديد ربما لأنها مفهوم نسبى وله مؤشرات عديدة ومتباينة ويختلف من موقف لآخر.

وتعرف الأزمة لغوياً في قاموس ويبستر الأمريكي بأنها «حالة خطيرة وحاسمة وهى نقطة تحول تستوجب مواجهة سريعة وإلا حدث موقف جديد قد يتضمن نتائج وآثار سيئة[١٣].ويشير أحمد بدوي (١٩٨٢) إلى أن الأزمة من الناحية الاجتماعية يقصد بها توقف الأحداث المتوقعة واضطراب العادات والعرف مما يستلزم التغيير السريع لإعادة التوازن وتكوين العادات الجديدة الأكثر ملاءمة[١٤] ويرى تورنجتون Torrington (١٩٨٩) أن الأزمة حدث مفاجئ غير متوقع تتشابك فيه الأسباب بالنتائج وتتلاحق الأحداث بسرعة كبيرة لتزيد من درجة المجهول عما يحدث من تطورات وتجعل متخذ القرار في حيرة بالغة تجاه أي قرار يتخذه وقد تفقده قدرته على السيطرة والتصرف[١٥].

ويرى روسينRoosen (١٩٩٧) أن الأزمة هي نقطة تحول حرجة أو نقطة اتخاذ قرار في موقف معين فهي موقف غير مألوف يحدث عادة عندما تكون هناك مشاكل كثيرة مثارة تحتاج إلى حلول إذ انها تبدأ بحدث صغير خارج عن التحكم[١٦].أما شادية أحمد عبد الخالق (١٩٩٩) فتعرفها بأنها نمط من فترة

تتميز بالاضطراب الحاد وعدم التنظيم الشديد في السلوك أو في الوجدان بفعل بعض خبرات الحياة الضاغطة وغير المتوقعة[١٧].

ويشير جلال الدين عبد الخالق (١٩٩٩) إلى أن الأزمة هي حالة انفعالية تعوق استجابة الفرد لصوت العقل أو المنطق ولكى يقوم الفرد بدوره الاجتماعي يجب عليه إزالة الضغوط الناجمة عن هذه الأزمة[١٨].

كذلك يرى أحمد إسماعيل حجى (١٩٩٨) أن الأزمة نقطة تحول في سلسلة من الأحداث المتتابعة تسبب درجة عالية من التوتر وتقود إلى نتائج غالباً ما تكون غير مرغوبة وبخاصة في حالة عدم وجود استعداد أو قدرة على مواجهتها[١٩] ، و يرى أحمد إبراهيم أحمد (٢٠٠٢) أن الأزمة تعبر عن حدث مفاجئ غير متوقع مما يؤدى إلى صعوبة التعامل معه ومن ثم ضرورة البحث عن وسائل وطرق لإدارة هذا الموقف بشكل يقلل من آثاره ونتائجه السلبية وأيضاً هي حالة مؤقتة من الاضطراب ومن اختلال التنظيم تتميز بقصور الفرد في مواجهة هذه الحالة باستخدام الطرق المعتادة لحل المشكلات و تتميز بما تنطوي عليه تلك الحالة من إمكانية حدوث نواتج موجبة أو سالبة بشكل جذري[٢٠] .

ويرى أحمد مجدى حجازي (٢٠٠٣) أن الأزمة هي نوع من التحدي نظراً لما تفرضه من ضغوط حياتية اجتماعية ونفسية على الفرد. وهى في أبسط معانيها تشير إلى حدوث نوع من الخلل وعدم التوازن بين عناصر النظام الاجتماعي وما يحتويه من علاقات إنسانية وتوجهات عامة وقيم ومعايير أخلاقية راسخة ومتأصلة[٢١]. والأزمة بهذا المعنى تمثل مشكلاً يتشكل عبر الزمن من مصادر كامنة في البناء الاجتماعي ومتأثرة بمجموعة من العوامل والأبعاد المتداخلة تعوق التواصل بين الأجيال وتلغى العلاقات الطبيعية بين البشر (العلاقات الرأسية والأفقية)، وتهدم أسس الاستقرار الاجتماعي وتعبر عن تقلبات اجتماعية أو اقتصادية أو سياسية أو كل ذلك في آن واحد، وتظهر عادة في نقلات حضارية وحراك اجتماعي صعوداً أو هبوطاً تؤثر بدورها في هذه الكيانات أو النظم مما يجعلها تشكل حالات من التوتر والقلق والشعور بالعجز وعدم التواصل والفشل في تحقيق التوازن بين الغايات والوسائل[٢٢].

ويعرف محمد شقرون (١٩٨٦) الأزمة بأنها حالة من الخلل والعجز الاجتماعي عن تسيير الوقائع الاجتماعية وملاحقة التغيرات التي تؤدى إلى حالة التفكك في البنى والمعايير والقيم الاجتماعية. فالحديث عن الأزمة الاجتماعية يعنى الأزمة التي تمر عبر الحقل الاجتماعي والتي ترتبط بعدم إمكانية التصرف الموضوعي للقيام بتجاوز التناقض الذى أحدثه تفكك البنيان والمعايير والقيم الاجتماعية[٢٣] .

ويعرف الباحث الأزمة موقف يتحدى قوى الفرد نتيجة ضغوط الحياة المجتمعية وتؤدى إلى نوع من الخلل وعدم التوازن في البنية المجتمعية وما تتضمنه من قيم ومعايير أخلاقية راسخة ومتأصلة في الفرد ويقصد بها في الدراسة الحالية الأزمة الأخلاقية ونظراً لكثرة أبعاد ومؤشرات أزمة القيم الأخلاقية السلبية بين الشباب فقد ركز الباحث على خمسة مؤشرات تتمثل في الفساد بأشكاله المختلفة- الوساطة والمحسوبية- العنف- فقدان الثقة- عدم الالتزام بالقانون .

نماذج من دراسات سابقة :

١ .دراسة عزة مصطفي الكحكي عن القنوات الفضائية وانعكاساتها على الهوية وأزمة القيم لدى عينة من الشباب العربي ٢٠٠٤[٢٤] .

وتهدف الدراسة إلى تعرف دور القنوات الفضائية في التأثير على الهوية وأزمة القيم لدى الشباب العربي، وأجريت الدراسة على عينة عمدية قوامها (٢٠٠) مفردة من الشباب العربي (ذكور وإناث)، وتوصلت الدراسة إلى عدة نتائج من أهمها يشاهد القنوات الفضائية الأجنبية غالباً بنسبة ٥ , ٦٤٪ وأحياناً نسبة ٥ , ٣٥٪، وأيضاً ٥ , ٥٠٪ من العينة يشاهدون القنوات الفضائية الأجنبية بصورة منتظمة، ٤ , ٤٩٪ يشاهدونها بصورة غير منتظمة، وفيما يتعلق بالهوية ارتفع معدل تشتت الهوية بين عينة الشباب العربي حيث ٥ , ٤٩٪ وانخفض معدل إنجاز ليصل إلى ١١٪ من إجمالي عينة البحث، وفيما يتعلق بأزمة القيم فقد أسفرت النتائج عن معاناة ٦٠٪ من العينة يعانون من أزمة القيم .

٢ .دراسةSadi Plant عن تأثير الهاتف المحمول على الحياة الفردية والاجتماعية(٢٠٠٢)[٢٥].

وهدفت الدراسة إلى تعرف مدى تأثير الهاتف المحمول على الحياة الفردية والاجتماعية وذلك في نطاق ثماني مدن هي طوكيو و بيجين و هونج كونج و بانكوك و بيشاور و دبى و لندن و شيكاغو. وقد توصلت الدراسة إلى أن تكنولوجيا الهاتف المحول قد غيرت الطريقة التي يقوم بها الأفراد من مواصلة أساليب حياتهم اليومية وشملت متضمنات متعددة للمجتمعات وللثقافات وغيرت طبيعة الاتصال وإقامة العلاقات وأثرت في الأنماط الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية وأصبحت ذات مغزى وسلوك خاص بالنسبة إلى مفاهيم المستخدمين وعالمهم، وأكدت الدراسة وجود فروق إلى حد ما بين الذكور والإناث في طريقة استخدام الهاتف المحمول وهذا يختلف باختلاف أماكن الدراسة، و اتضح أن للهاتف المحمول تأثيراً على العواطف بين الناس فأكد بعضهم أن الهاتف جعل الكذب أسهل فيما يختص بالمشاعر والأحاسيس.

٣.مزيد النقيعي عن مقاهي الإنترنت والانحراف إلى الجريمة بين مرتاديها، دراسة ميدانية على مقاهي الإنترنت (٢٠٠٢) [٢٦].

وهدفت الدراسة إلى إلقاء الضوء على أداة مهمة من أدوات تكنولوجيا المعلومات وهى الإنترنت وأثرها في سلوكيات مرتاديها ومدى دورها في دفعهم إلى الجريمة، واستخدم الباحث المنهج الوصف التحليلي ، و استخدم الاستبيان أداة للدراسة الميدانية وتوصلت الدراسة إلى أن غالبية مرتادي مقاهي الإنترنت من الشباب الذين تقل أعمارهم عن ٣٠ سنة وأن الفراغ والتسلية من عوامل جذب الشباب لتلك المقاهي، وأدى التعامل مع الإنترنت إلى الدخول في علاقات غير شرعية بين الجنسين و توصلت إلى وجود آثار سلبية للتعامل مع الإنترنت على الانحراف السلوكي الجنائي للمرتادين على اعتبار أن الإنترنت يُعتبر تجمعاً شبابياً يتأثر كل مرتاد بسلوك الآخر .

٤ .دراسة محمد عبد الله المنشاوي : جرائم الإنترنت في المجتمع السعودي، (٢٠٠٣)[٢٧]:

وهدفت الدراسة إلى الكشف عن حجم ونمط أكثر الجرائم الجنسية والممارسات غير الأخلاقية والجرائم المالية وجرائم إنشاء أو الاشتراك في إنشاء المواقع المعارضة أو المعادية وجرائم القرصنة الأكثر شيوعاً التي يرتكبها من يستخدمون الانترنت في المجتمع السعودي وتحديد أهم سمات مرتكبيها، واستخدمت الدراسة منهج المسح الاجتماعي بالتطبيق على جميع مستخدمي الإنترنت في المجتمع السعودي، و استخدم الاستبيان أداة لجمع المعلومات وتوصلت الدراسة إلى أن أكثر من نصف أفراد العينة يرتادون المواقع الجنسية، ويطلبون مواد إباحية منها، ومنهم من اشترك في القوائم البريدية الجنسية وهناك من أنشأ مواقع جنسية وأن نسبة منهم قامت بالتشهير بالآخرين وانتحال شخصيات الآخرين في أثناء التصفح. و توصلت إلى قيام بعض أفراد العينة بتدمير المواقع واختراق مواقع حكومية وتجارية وشخصية ومحلية .

بعد عرض الدراسات السابقة العربية اتضح أن تلك الدراسات ركزت على القيم وأنساق القيم والتحولات البنائية التي طرأت على القيم الثقافية، وصراع القيم الفردية، والتحولات الاجتماعية على قيم التطرف والاستهلاك والانحراف و القنوات الفضائية وانعكاساتها على الهوية وأزمة القيم. ويمكن القول ان هذه الدراسات تتفق مع الدراسة الحالية في تناولها لموضوع القيم بصفة عامة وتختلف مع هذه الدراسات في أنها تركز على القيم الأخلاقية وخاصة القيم السلبية. وقد اتفقت نتائج الدراسات مع الدراسة الحالية على ظهور قيم سلبية في المجتمع المصري لم تكن معروفة لدى السواد الأعظم من أفراده كقيم الفساد الخلقي

وغياب الشرف والفضيلة، والتفكك الأسرى وتنوع صور الفساد وألوان التدهور في المجتمع المصري وبروز قيم الانحراف في المجتمع كالرغبة في الكسب السريع والإحباط المستمر على الشباب وارتفاع حدة المشاكل المادية وزيادة معدلات جرائم الرشوة والنصب وتجارة العملة والتهرب الضريبي والسرقة والقتل والمخدرات وتزوير ودعارة وخيانة زوجية وكذلك انتشار الدروس الخصوصية وانتشار الغش وتسريب الامتحانات وانتشار ثقافة العنف والتطرف وسيادة روح الفردية وضعف الولاء للوطن وانحسار القيم الأخلاقية، وسيطرة القيم المادية على شتى جوانب الحياة في المجتمع المصري وصراع القيم الفردية والمجتمعية بين الشباب .

على أن آليات العولمة (القنوات الفضائية و الكمبيوتر والإنترنت والمحمول) اقتحمت خصوصية المجتمع المصري وأثرت في القيم الأخلاقية للشباب مما ساعد على حدوث الأزمة فقد أثرت سلبياً في التفاعلات وجهاً لوجه وضعف العلاقات الاجتماعية والعواطف والمشاعر والأحاسيس بين الناس. فقد ساعد استخدام الهاتف المحمول للشباب على الغش في أثناء الامتحانات وإرسال رسائل غرامية للإناث وتصوير الفتيات بالإضافة إلى إفراز العديد من المشاكل والمتمثلة في الإزعاج في الأماكن العامة والكذب والتعدي على الحرية الفردية، كما ساعد الإنترنت على الانحراف السلوك الجنائي والاشتراك في مواقع جنسية والتشهير بالآخرين والدخول في علاقات غير شرعية بين الجنسين .

المعلوماتية وازمة القيم :

بطبيعة الحال تؤثر تكنولوجيا المعلومات في الابداع العلمي والفني على السواء (ان القراءة المتأنية لدور الازمة بشكل عام يفضي بنا الى تلمس خيط يقودنا الى حقيقة ان المجتمعات التي اعتمد الهرم القيادي فيها على الكفاءة في التعامل مع الازمات هي أصلب عوداً وأكثر على المطاوعة وخلافها تمثل تصدياً مرتجلاً مما يؤثر سلباً في منظومة القيم والتعامل مع الازمات بطرق غير مدروسة مما أدى الى ضعفها وتفككها) ، فهي على سبيل المثال تسهل كثيرا من الاعمال الثقافية والابداعية الفردية ، بما في ذلك عمل الباحثين والمؤلفين وتكنولوجيتهم ، بتسريع وتسهيل عمليات التصحيح والتنقيح في النص المكتوب منذ مراحله الابتدائية الى صورته النهائية ، أو تحويل كلام المؤلف في حواسيب المستقبل الى نص مكتوب مباشرة وهذا ما يدعى الحوار المباشر بين الانسان والآلة ، اي ان الثورة المعلوماتية تؤثر في مسار مستقبل وطريقة تطور الاشكال التقليدية في الحياة عموما ، ومما لاشك فيه ان انتشار التطور التكنولوجي يمكن ان يقوي الفردية لدى الناس ويضعف

روح التعاون الجماعية وكثافة الاختلاط فيما بين الناس ، لان مسار هذا التطور التقني مبني على الفردية وتحد من الاختلاطات المباشرة ، فالرفيق والزميل في العمل والدراسة واللعب والراحة والصداقة هي الآلة ، في حين يصعب التخلي عن معاشرة الناس والتواصل معهم كقيمة روحية عالية ملازمة للإنسان منذ الازل .

اي ان هذا التقدم التقني المتسارع يفرض علينا ضروباً من الاغتراب أو الاستلاب بعامة ، ولاسيما ما يعرف « باغتراب المعرفة « ، اذ يرى البعض أن المنطق الآلي الصارم وتعامل الانسان معه قد يؤديان مع الزمن ومن الوجهة النفسية على الاقل الى فقدان حس الابداع أو المقدرة عليه .لنتذكر أهمية الخيال والاحلام واللاشعور واللاوعي وكافة اشكال الخروج على المنطق المألوف ، ويرى بعضهم أيضاً أن الآلة يمكن أن تفتح آفاقاً جديدة أمام الابداع وامكانات الاختراع [٢٨] . و تساعد المظاهر المنتشرة في عصر المعلوماتية على تنمية العزلة الاجتماعية أو أن يتحول الزميل الالكتروني الى منطق الحوار والمحاورة في المستقبل مع تطور التكنولوجيا .

و أثرت الثورة المعلوماتية على قيم الشباب فانتشرت سلوكيات مشتركة منها الثقافة الاستهلاكية، أغنيات شبابية و ملابس عالمية و أفلام عنف و تنميط الأذواق و تقولب السلوك و ثقافة المخدرات وقد أفرزت عدة مشكلات منها انتشار الجرائم و البلطجة وتدهور مستوى المعيشة و تقليص الخدمات الاجتماعية التي تقدمها الدولة، اتساع الفجوة بين الفقراء والأغنياء [٢٩] .

ومن ايجابيات الشبكات الموحدة للمعلومات أنها تسهل كشف بعض عمليات السرقة والسطو ، بل تساعد على حماية حقوق المؤلف وملكية الاعمال الابداعية ، ولكن هذا لا ينفي وجود حالات جديدة تماماً من الاعتداء على ملكية التأليف واقتحام القدرات التأليفية للكاتب بوسائل جديدة لم يعرف لها مثيل من قبل ، وفي مجال العمل والعاملين واضح ان الحواسب تطرد عدداً لا يستهان به من العمال في مجالات كثيرة ومتنوعة وتنشر البطالة في صفوف واسعة من عمال اختصاصات كثيرة فهي تنزع العمل من الانسان[٣٠].

كما ان التطور الالكتروني وانظمة المراقبة الالكترونية المتواصلة لها انعكاسات سلبية على حرية الشخصية لإفراد المجتمع ، و قد يساعد في اختلال التوازن النفسي ، عندما يشعر الانسان بأنه مراقب على الدوام ، فضلا عن توافر اسلوب الملاحقة الالكترونية على المستوى السياسي والشخصي .

وشهدت فترة الحرب الباردة اتهامات متبادلة بين الغرب والشرق في هذا المجال ، اذ اطلق الغرب على الشرق اسم « الطغيان الشرقي « لتخلفه في مجالات كثيرة متنوعة باستثناء استخدام تكنولوجيا كهذه ، اي

تكنولوجيا الاعلام والمعلومات التي تدعم المركزية وتساعد على اطلاق اليد وذلك يتصل اتصالا مباشرا بممارسة السلطة ، وقد تنبه لهذه الظاهرة اللافتة بعض المتخصصين في دول الشمال وغيرها[٣١].

منذ عقد السبعينيات انتشرت في أوساط المجتمع الامريكي أقوال حول واقعة خطيرة تفيد أن مجموعة متخصصة من أدارة المخابرات المركزية أدخلت في الحاسبات الالكترونية معطيات سرية حول (٣٠٠) ثلاثمائة ألف من المواطنين الذين يُشك بعدم وطنية آرائهم ووجهات نظرهم . ومن بعد ذلك تطورت هذه التقانة تطوراً عاصفاً ، فالملاحقات الالكترونية صارت تشمل – كما بات معروفاً فيما بعد – عدداً كبيراً من البرلمانيين والوجوه السياسية البارزة في الغرب[٣٢].

وما ينطبق من مراقبة وملاحقة على الحياة السياسية ينطبق ايضا على الحياة الشخصية لسائر الناس البعيدين عن عالم السياسة والتأثير المباشر في قيمهم الاجتماعية التي تحتل مكانة عالية في تحديد السلوك الاجتماعي ، فهذه كذلك لم تنجُ من تلك المراقبة الالكترونية بل وقعت في احضانها .

فالقيم الأخلاقية هي وحدات معيارية تتوصل إليها الجماعة وتلزم بها أفرادها للتمييز بين السلوك المرغوب فيه والمرغوب عنه وكذلك إصدار الأحكام القيمية فيما يتعلق بالمشكلات الاجتماعية والاختيارات الخلقية [٣٣] .

وهي بهذا المعنى تعد منتجات ثقافية نابعة عن الواقع الاجتماعي وتهتم بترشيد سلوك الأفراد في ضوء قيمهم الاجتماعية ومثلهم العليا، ومن هنا كانت القيم الخلقية حاضرة في كل فعل وفي كل عملية من عمليات التفاعل الاجتماعي وفي كل موقف من مواقف الحياة الاجتماعية ومن مكوناتها .

وذكر الكاتب يريميبازنوف في مقالة له حول « الانسان والحاسوب» نشرها في جريدة البرافدا سنة ١٩٨٥ في ٨ أكتوبر ان الشبكة الموحدة للمعلوماتية تهدد الامريكي بويلات لم يكن يعرف مثيلاً لها من قبل ، اذ لم يعد التهديد قادما من ادارة المخابرات المركزية أو جهاز التحقيقات الفيدرالي ، بل الخطر أوسع من ذلك بكثير : فكل خطوات الانسان من شراء الحاجيات حتى زيارة العيادة النفسية سوف تسجل في خلايا الذاكرة الالكترونية ومعنى ذلك انزياح الغطاء الاخير عما يسمى بالحياة الشخصية ، وسيكون الامريكي عارياً بصورة مطلقة تجاه أي كان ممن سيطلب الحصول على المعلومات التي تتراكم يوماً بعد يوم في ذاكرة الآلة . والحقيقة ان هذه الظاهرة معترف بها امريكيا ، وفي دراسة للمحامية والباحثة الامريكية « آني ويللزبرانسكومب» بعنوان « من يمتلك المعلومات؟ من الخصوصية الى المدخل الجماهيري العام « ، وفيها تبحث عن مخرج للمواطن

الضعيف تجاه كارتيل المعلومات الضخم الذي يتلاعب بالإنسان وخصوصياته لتفيد منه القوى الكبرى في المجتمع ، و بذلت مساعيها الاجتهادية القانونية للبحث عن حماية قانونية لحرية المواطن وحقوقه وحياته الشخصية بتشريعات تتجاوز ما تخلف من نصوص عن موكب التكنولوجيا والمعلوماتية وما تأخر عن معطيات الواقع الجديد والمتغير باستمرار بصورة متسارعة في العصر الالكتروني ، هذا في امريكا ، في حين يوجد ما يشبهها في دول اخرى ولكن قد لا يعترف بها ولا يبحث لها عن حل وهنا تكون الطامة الكبرى [٣٤].

ان الاثار الاجتماعية والنفسية والاخلاقية والقانونية .... الخ ، لعصر المعلوماتية واضحة فهذا التراكم في كم المعلومات الهائل له تأثير واضح على الانسان من الجانب الروحي وايضا يؤثر في ثقافته الشخصية وسلوكيته و في نمط استهلاكه وانتاجه ، واثاره وابعاده الاجتماعية واضحة في تكثيف النمو والتطور الاجتماعي وتسريع عملية التنمية ، وايضا يؤثر في نسب العمالة والبطالة وظروف العمل ، والبطالة في محصلتها النهائية تزداد ، وربما تتقلص في قطاعات ذات صلة بعالم المعلومات ، فضلا عن ازدياد الطلب على كفاءة العاملين وتأهليهم العلمي ، وعلى المستوى الاخلاقي فان انعكاسات ثورة المعلومات بارزة في مجال حرية الانسان وصيانة حياته الحياة الشخصية والحفاظ على الهوية وحرية التعبير عن الرأي ، ومن منظور اجتماعي لابد من اجتياز الهيمنة اللغوية الانكليزية والسعي لإدماج اللغة العربية في عالم المعلوماتية بتوظيف اليات المعلوماتية لتطوير اللغة العربية ونشرها عبر قنوات التواصل العالمية .

واذا كان عصر المعلومات والعولمة الثقافية محاولة مجتمع ما تعميم نموذجه الثقافي على المجتمعات الاخرى من طريق الاختراق الثقافي ، فلابد لها اذن من تكريس وسائل غايتها الرئيسة تحقيق ذلك التعميم ، من طريق وسائل الاعلام والتكنولوجيا ومجتمعاتنا النامية تعد من أكبر المستهلكين لوسائل العولمة الثقافية التي استحوذت على العالم وبطبيعة الحال لهذه الوسائل آثار سلبية وأخرى ايجابية على الامن الثقافي ومن أهم مظاهرها السلبية كما أشرنا آنفاً الهيمنة على باقي لغات العالم . فالعولمة لم تكتفِ بالهيمنة الاقتصادية والسياسية ، بل امتدت أطماعها الى الحياة الثقافية والسلوك الاجتماعي ، ومن ضمن المجال الثقافي والحياة الثقافية اللغة التي تعد وسيلة للحوار والتواصل بين المجتمعات . ويتضح جلياً غلبة لغات اجنبية على اللغة العربية في زمن العولمة ، فاللغة العربية التي وصفها الله عز وجل بأنها أفضل اللغات بدليل نزول القرآن الكريم بها و تواجه الان تحديات كبيرة من الذين يرغبون في عولمة لغتهم الاصلية ، والقضاء على اللغة العربية [٣٥].

والمظهر الآخر يتجسد في التبعية الثقافية ذلك النمط من العلاقة التي تجعل ثقافات ما تعتمد اعتمادا بنيويا في انتاج ثقافتها على ثقافات اخرى تمارس عليها سيطرة ما ، سواء بسبب تفوق هذه الثقافات الاخيرة أو بسبب انعدام الثقة بالنفس لدى الثقافة الضعيفة وعدم قدرتها على انتاج القيم والمعاني والافكار والانماط السلوكية ، التي تحتاج اليها مجتمعاتنا ، وتظهر صورة هذه التبعية في احلال قيم وعادات وأنماط سلوكية محل القيم السائدة في هذه المجتمعات [٣٦]. وتظهر صورة التبعية الثقافية للغرب في مجتمعاتنا النامية واضحة بتقليدهم في اللباس والطعام والمشروبات والسلوك والمودة والموسيقى ، وتغيير بعض التقاليد في الاحتفالات الشخصية وتقليد الافلام والمسلسلات التلفزيونية على حساب اهمال منتجاتنا المحلية وثقافتنا وفنوننا ، ويعد الشباب الفئة الاكثر استهدافاً لتلك التبعية وللاستلاب الفكري لكون هذه الفئة تميل الى التجديد والاطلاع على كل ثقافة وافدة ومبهرة ، فأصبحت عملية التقليد لدى شبابنا طوعية لثقافة الغرب . وقد ساهمت القنوات التي تبث برامج غير اخلاقية في الترويج لتجارة الفساد لأخلاق الشباب ومعنوياتهم وقيمهم . وأخطر ما تقوم به تلك المؤسسات والشبكات مظاهر التحريف الكثيرة والمتنوعة وعلى وجه الخصوص تلك التي تمس صورة الاسلام وتحاول تشويه التراث العربي الاسلامي و محاولة القيام بإعادة صياغة للمفاهيم والانماط والافكار التي أدت الى تساؤلات عديدة حول شريحة عاداتنا وهويتنا العربية .

وقد كان تأثير تيارات الثورة المعلوماتية واضحاً على توجهات المرأة العربية ، اذ عمدت وسائل الاعلام المرئية وغير المرئية الى نقل ايقاع حياة المرأة الغربية الى مجتمعاتنا من طريق عروض الازياء الموفدة من الدول الاوروبية والتي استهوت ذوق المرأة في بلداننا النامية ، ورأت في المرأة الغربية حرية التصرف فأصبحت المرأة العربية تطالب بالحرية والمساواة بالرجل ، ويمكن رصد أهم ما أثرت به الثقافة الغربية في المرأة العربية في النقاط الآتية [٣٧] :

١ .بعد أن كانت المرأة العربية تحترم الاسرة والحياة الزوجية صارت تراها قيوداً على حريتها وعناءً وارهاقاً لأنوثتها .

٢ .احاطتها بأجواء من موضات الملابس والتجميل والزينات التي لا تتماشى مع أخلاقنا العربية الاسلامية .

٣ .تصوير الحياة على انها صراع دائم بين الرجل والمرأة في البيت والعمل والاسرة .

٤ .تخويفها من دينها بتصويره على انه قيد على حريتها وحقها في الحياة العصرية .

ان النظرة الاجتماعية لتلك الانماط والسلوكيات الوافدة من الغرب أصبحت تعبر عن حالة التقدم والتطور من وجهة نظر المرأة العربية ، فأصبح التبرج واتباع الموضة الغربية والتقليد في الازياء وحتى طريقة الكلام وأسلوب الحياة ، اذ أصبحت هذه الامور سلوكاً عادياً في حياتنا اليومية مع ازدياد نسبة المدافعين عن هذه الحياة للمرأة مع تقدم الامن ، فضلا عن استهداف الطفولة والذين من المفروض ان يتأثروا في هذه المرحلة العمرية بقيم اسرهم ومجتمعاتهم وعاداتهم الاجتماعية السائدة في مجتمعاتهم ، كونهم يكتسبونها بسهولة ، فمنهم معرضون لتلك المظاهر والسلوكيات الوافدة كونهم لا يفرقون بين السلبي والايجابي بسبب الالعاب والقنوات الفضائية التي تبث برامج تحمل سموماً وافكاراً هجينة كون عملية التقليد في مرحلة الطفولة غالباً ما تستهوي هذه الفئة .

مما تقدم آنفاً نلتمس ان صراعاً واضحاً بين فكرين بل بين أيديولوجيتين ، تتمزق وتتشتت الاجيال الناشئة بينهما الى درجة كبيرة ، ويتجسد ذلك جلياً في غلبة ظاهرة التطرف في مجتمعاتنا الاسلامية .

ونتيجة لهذا الانفصام برزت مشكلة أخرى تجسد حالة القطيعة بين النخب وشعوبها ، مما أدى الى واقع يتسم بازدواجية ثقافية كان من أولى نتائجها افقار الثقافة العربية وتهميشها وسيادة حالة اليأس وضياع روح الابداع وسد النوافذ أمام الفكر الذي يمكن ان يكون الصانع الاول للنهضة العربية [٣٨] .

والمسار الثقافي للعولمة لا يخلو من حسنات مهمة في تسهيل عملية التبادل المعرفي من طريق توظيف شبكات التواصل الاجتماعي ، لإزالة الكثير من العوائق التي كانت تحول دون نشر ثقافتنا وعقيدتنا الاسلامية. فضلاً عن سهولة الحصول على المعلومة المفيدة والاطلاع على العادات والثقافات الغربية السيئة وابرزها الانفلات الاخلاقي والتحيز والتجرد من المشاعر ....الخ . وزيادة التواصل ، واكتساب المعارف واتقان عدة لغات اجنبية التي تساعدنا على فهم ثقافة تلك المجتمعات في عصر لا يتطلب الجمود والتقوقع والعيش على امجاد الاجداد ، بل يتطلب التواصل مع الثقافات الاخرى . اضافة لذلك فأن مواقع التواصل الاجتماعي وهي كثيرة اسهمت اسهاماً فاعلاً في اسقاط انظمة شمولية أدت الى تراجع الحضارة العربية الاسلامية وتدني منظومة القيم الاجتماعية من اجل اهوائهم الشخصية ، فقد سخرت فئة الشباب في مجتمعات هذه الانظمة وسائل التواصل الاجتماعي ، حتى وان كانت بدفع من قوى عظمى ، لإحداث طفرة اجتماعية نوعية بتغيير انظمتها السياسية كثورة الشباب في تونس ومصر وتلت بعض الدول العربية ، موظفة تلك الوسائل الالكترونية كأداة للتبليغ الاعلامي وتحشيد الرأي العام .

العولمة والامن الثقافي – سبل العلاج :

تستطيع التنشئة الاجتماعية مواجهة مؤثرات العولمة بدراسة أبعاد ووسائل دعم الأسرة وتطويرها في عملية التنشئة الاجتماعية في ظل العولمة بتكاتف الجهود بين الاسرة والمدرسة والمسجد ووسائل الاعلام .

وأخطر ما تواجهه مجتمعاتنا الاسلامية اليوم ، ذلك الغزو الوافد إلينا من الثورة التكنولوجية ، التي اخترقت اغلب مساحة الكرة الارضية ، اذ لم يبق بيت لم تدخله ، فمع بداية كل يوم تبدأ جيوش من وسائل الإعلام نشاطها المحموم لتغزو مجتمعاتنا ، وتقتحم علينا بيوتنا ، فهذه القنوات المعولمة تلعب دورا خطيرا في قلب مفاهيم افراد المجتمع ، وخصوصا فئة الشباب كونهم يشكلون اكبر قوة منتجة في المجتمع ، ومن هنا تتضح لنا أثر عصر المعلومات فى امننا الثقافي لان لخصوصية مجتمعنا خصوصية اجتماعية. فالاهتمام بعملية التنشئة الاجتماعية خير سبيل للوقاية من هذا التأثير لان التنشئة الاجتماعية من الظواهر القديمة والمستمرة في المجتمعات الانسانية عموما ،فلا يخلو منها مجتمع مهما بلغت درجة بساطته أو تعقده ومهما كانت رتبته في السلم الارتقاء الحضاري، اذ يحرص افراد هذه المجتمعات عامة على ترسيخ قيمها ونقل معاييرها وأطرها الثقافية من جيل لآخر ، وتعتمد في ذلك سبلاً متعددة ، تتشابه وتختلف في بعض جوانبها وفقا لتباين النسق الثقافي والقيمي بين مجتمع وآخر .

والتنشئة الاجتماعية هي «عملية أساسية يتم بواسطتها نقل التراث الحضاري، وخبرات الأجداد وقيمهم إلى الأحفاد، ومنهم إلى الأجيال القادمة، أي وسيلة الاتصال الرئيسة بين الماضي والحاضر والانتقال من الحاضر إلى المستقبل، ففيها يلقن الطفل قيم مجتمعه ومثله وأهدافه وما يعتز به من إنجازات في تاريخه الطويل فهي في الأساس [٣٩] ، وظيفة أساسية من وظائف الضبط الاجتماعي، والتنشئة تعرف انها عملية انتقال الثقافة من جيل إلى آخر، والطريقة التي يتم بها اعداد الأفراد منذ طفولتهم ليعيشوا في مجتمع ذي ثقافة معينة ، ويدخل في ذلك ما يلقنه الآباء والمدرسون والمجتمع من لغة ودين ومعايير ومعلومات و مهارات [٤٠].

تعد مرحلة الطفولة من أهم المراحل العمرية وأخطرها في حياة الإنسان، فهي اللبنة الأولى التي يتوقف على سلامة وضعها واستقامة بنائها وصلابتها قوة البناء الاجتماعي برمته ، لا تسهم بقسط وافر في تكوين سلوك الطفل وبلورة شخصيته، وتحديد طريقة تفكيره، فخبرات هذه المرحلة تمتد لتلقي بظلالها على بقية المراحل الأخرى من حياة الإنسان، لذلك قيل ان الطفل هو أبو الرجل. وبالنظر إلى حساسية هذه

المرحلة فقد أولاها عناية فائقة مختلفُ الباحثين، وقد كان الفيلسوف اليوناني أفلاطون من السباقين في التفطن والتنبيه على أهمية التنشئة الاجتماعية في الاطمئنان على مستقبل المجتمع، اذ يقول: «طالما كان الجيل الصغير حسن التربية، ويستمر كذلك، فإن لسفينة دولته الحظ في سفرة طيبة» (٤١) .

الترابط الوثيق بين التنشئة الاجتماعية والثقافة، باعتبار عملية التنشئة الاجتماعية القناة التي تؤمن مرور الثقافة بين الأجيال، وإحداث حالة من التناغم والملاءمة الاجتماعية بين الأفراد والمجتمع إذ لا يمكن للثقافة أن تشكل الشخصية وتصوغها ،إلا من طريق عملية التنشئة الاجتماعية ، ذلك أن مستقبل الافراد مرهون بطبيعة الرعاية التربوية والثقافية التي توجه للناشئة، من خلال توفير الأجواء الصحية الملائمة للتدرب على الحوار الهادئ الذي يفضي إلى مساعدة الناشئة على تحفيز مواهبهم، والتعبير عن تطلعاتهم وإعدادهم بطريقة فنية لخلق حياة اجتماعية ايجابية خلاقة .

فالتنشئة الاجتماعية تهيئ لتربية الإبداع ، فالثورة المعاصرة هي ثورة معلومات وتعتمد على العقول البشرية المتفوقة التي تستطيع أن تولد المعلومات حول شؤون الحياة، ودون رعاية هذه العقول وتحسينها لا تستطيع الصمود امام تيارات عصر القرية الكونية .

ومن ثمَّ، وفي ضوء ما تقدم نستدل على ان التنشئة الاجتماعية من أهم العمليات التي تتم داخل البناء الاجتماعي لأي مجتمع ، فهي تغرس القيم الثقافية ، لذا تعد عملية التنشئة الاجتماعية السليمة من متطلبات تحقيق الأمن الثقافي بالتصدي لكل مظاهر الغزو الثقافي ، التي تهدد هويتنا الثقافية . ومن سبل العلاج الاخرى لترسيخ الامن الثقافي تسخير وسائل الاعلام لتوعية افراد المجتمع ، فوسائل الإعلام من أهم وسائط التربية غير النظامية في المجتمع ، اذ ان أهم ما تتميز به وسائل الإعلام أنها تعكس جوانب الثقافة العامة في المجتمع، و تشبع الحاجات النفسية مثل الحاجة إلى المعلومات والتسلية والترفيه والأخبار، ودعم الاتجاهات النفسية، وتعزيز القيم والمعتقدات أو تعديلها، ويتعاظم تأثيرها بالتكرار الذي يعاون في عملية الاستيعاب، تقوم وسائل الإعلام المختلفة بالعديد من الوظائف المهمة في عصر المعلوماتية ومنها :

١ . مراقبة البيئة أي التعريف بالظروف العامة المحيطة بالمواطنين وذلك بنشر الأخبار والتزود بالمعلومات المتنوعة من أجهزة الإعلام المختلفة التوجيه وذلك من خلال إكساب الاتجاهات الفكرية والسلوكية عند النشئ الجديد وكذلك الاتجاهات اللازمة للتطوير والتقدم والتنمية .

ونقل التراث الثقافي والاجتماعي من جيل إلى جيل والمساعدة على تنشئة الجيل الجديد خلق روح الإلهام والابتكار والإبداع لدى أفراد المجتمع وتأصيل الشعور بالانتماء والولاء إلى المجتمع الذي ينتمون اليه

إثراء الروابط الاجتماعية بين أفراد المجتمع الواحد والمساهمة الفعالة في توفير الاستقرار والأمن والحرية لكافة أفراد المجتمع [٤٢].

يمثل الإعلام ومصادره المتعددة ركيزة أساسية في تنمية الوعي بالموضوعات والقضايا والمعلومات في مختلف المجالات السياسية والثقافية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها، ولاسيما بعد ، انتشار الفضائيات والقنوات الإعلامية انتشاراً كبيراً، وذلك يتوجب على الإعلام المغاربي و العربي مواجهة الهيمنة الإعلامية الغربية التي تستهدف تزييف التاريخ وتشويه صورة الإسلام في عقول الناس شرقاً وغرباً، والتضليل الفكري وظهور التيارات المنحرفة، وهدم معالم القيم الأخلاقية، ولا يقف الإعلام موقف السلب معتمداً على الاستنكار والشجب والرفض، وعليه أن يكشف عن حقيقة المواقف الظالمة التي تشرب بالشرعية الدولية وبحقوق الإنسان عرض الحائط على مرأي ومسمع كثير من الأمريكيين والأوربيين [٤٣].

وما يصح على التنشئة الاجتماعية يمكن ان ينسحب على التنشئة السياسية ، كونها تشغل حيزاً كبيراً داخل الاسرة والمجتمع ، فالأسرة تمثل احدى القنوات الرئيسة في عملية التنشئة السياسية ، كون الاسرة تغرس مبادئ حب الوطن والانتماء والقيم الفاضلة في نفوس ابنائها ، وتعمل على تنمية الوعي السياسي وغرس ثقافة المشاركة السياسية لدى الشباب ، من طريق اشراكهم في النشاطات المجتمعية وتطوير قدراتهم . وأيضاً تعد المؤسسة التعليمية عاملاً مهماً من عوامل التنشئة السياسية والاجتماعية فأنها تعمل بوسائلها المختلفة عملا يشبه إلى حد كبير دور العائلة[٤٤].

و تعمل الأحزاب السياسية على إكساب الشباب مبادئ وثقافة حقوق الإنسان، اذ تقوم بدورٍ كبير في الدفاع عن حقوق الإنسان واحترامها من خلال دعم المشاركة السياسية لدى الشباب، اذ تعمل (الأحزاب) على تنمية وعى الشباب بالحقوق المختلفة، كحق المواطن في النشاط السياسي والاجتماعي، والحق في توفير الرعاية الصحية للمواطنين، وتكافؤ الفرص التعليمية، والعدل والمساواة بين الجميع في الحقوق والواجبات أمام سيادة القانون، وكذلك تعمل الأحزاب على تنمية وعى الشباب بالحقوق الاقتصادية، ووسيلة الأحزاب في ذلك عقد. الندوات واللقاءات والصحف الحزبية التي تناقش قضايا حقوق الإنسان[٤٥].

وتأسيساً على ما تقدم ، تقع على الأحزاب السياسية مسؤولية تحقيق المتطلبات الدينية و الأخلاقية والسياسية اللازمة لتحقيق الأمن الثقافي .

وبما ان البناء السياسي لأي دولة يتكون من المؤسسات الرسمية والمؤسسات غير الرسمية ، ومنظمات المجتمع المدني التي تنشأ بمبادرات جماهيرية ، أذ تساهم هذه المؤسسات كالتنظيمات الاجتماعية والجمعيات الأهلية في تنمية الشعور بالمسؤولية من خلال جوانب التكليفات الدينية، وكيفية محاسبة النفس في ضوء ما شرع الله سبحانه، والتمسك بالقيم الدينية لتربية الأبناء. اذ تعمل على التوصل إلى قرارات مهمة في مجال ترقية الثقافات والالتزام بأخلاقياتها ، وتسهم ايضا بدورٍ كبير في إكساب الشباب معايير المواطنة الصالحة، وتنمية المشاركة السياسية لديهم وذلك بإقامة حلقات نقاش أو نماذج اجتماعية مصغرة، يتوفر لأعضائها الحضور قدر من الحرية في توجيه الأسئلة والحوار في الجوانب السياسية في المجتمع ، لقد وضحنا كيف عمدت العولمة في جانبها الثقافي، إلى إنتاج نمط ثقافي واحد و تصديره عبر وسائل السيطرة المختلفة كالتقنية والمعلوماتية و الاتصالات، و شيوع ثقافة الصورة و الثقافة الالكترونية. و كيف جعلت كل هذه الأسباب ، جعلت الدول التي تمثل الطرف الأضعف في المعادلة، فإن تأثير العولمة عليها كان بشكل سلبي، لأنها تستهلك و لا تنتج ظل تنامي ظاهرة العولمة، و لأن الخاسر في العولمة هو الأضعف إنتاجا. فأصبحت عامل تهديد للأمن الثقافي ، في ظل التنامي المتسارعة لظاهرة العولمة .

النتائج :

توصل البحث الى جملة من الاستنتاجات نجملها بما يلي :

أن سياسة الدول العظمى المهيمنة عولمياً استهدفت بوضوح استئصال اللغة و الثقافة العربية في سبيل عملية مزدوجة تتمثل في إقصائها و الحط من شأنها ثقافيا، تعد عاملا من عوامل تشكل الواقع الثقافي العربي الجديد .

أن عملية محو الشخصية العربية التي استهدفتها الثورة المعلوماتية من قبل مالكي وسائل الانتاج ، برزت بشكل واضح من خلال وسائلها المختلفة .

أظهرت الدول النامية والعراق منها بطبيعة الحال قدرة ضعيفة على الانخراط الفعال في برامج الثورة المعلوماتية المتسارع بوصفها وسيلة من وسائل الدفاع عن أصالة القيم والموروثات الحضارية الاصيلة .

شكلت ظاهرة المعلوماتية تحديا كبيرا للأمن الثقافي العربي امام التقدم المضطرد للإنتاج التكنولوجي الذي يعد ركيزة هذه الثورة .

تسعى المعلوماتية إلى إيجاد ثقافة عالمية مسيطرة على الثقافة العربية الإسلامية، وذلك من خلال باستخدام آليات التقنية المتطورة التي جلبت الاتصال بين الأمم والشعوب، فهي تسعى إلى تعميم ثقافة استهلاك وتهميش كل ما هو محلي .

ينبغي تأكيد الاختراق الذي تواجهه الثقافة في مجتمعاتنا وحالة التهميش التي تواجهها ، تشكل خطورة اكبر مما تتعرض له المجالات الاقتصادية والمادية ، لكون الامن الثقافي يتعلق بالهوية الاجتماعية وبمميزات شخصيتها ووحدتها وبوجودها .

المواجهة لهذا التحدي المتمثل بالغزو الثقافي لا يكون بمعاداة الثقافة الوافدة والجمود والانغلاق ، بل من خلال التفاعل مع الثقافات الوافدة علينا و التواصل معها و الاستفادة من تجارب هذه الامم مع الحفاظ على جوهر ثقافتنا الاصلية بتقنيين التبادل الثقافي بما يخدم مصالحنا العامة .

هوامش البحث ومصادره :

١ . حسن، سمير ابراهيم ، مجلة جامعة دمشق ،المجلد ١٨، العدد الأول ، ٢٠٠٢ .

٢ . المنهج الوصفي ، مقال منشور في منتدى آفاق، في ٢٥ شباط / ٢٠٠٨ متاح على الرابط الالكتروني

www.afaksocio.ahlamontada.com

٣. حسن ، عبد الباسط محمد، أصول البحث الاجتماعي، ط٢، مكتبة وهبه، القاهرة،١٩٩٨،ص٢٠٤ .

٤ . النقري ، معن (د) ،المعلوماتية والمجتمع : مجتمع ما بعد الصناعة ومجتمع المعلومات، المركز الثقافي العربي، بيروت – الدار البيضاء، ٢٠١٣ ،ص١٣ .

٥ .المصدرالسابق ، ص١٥ .

٦ . حسن، سمير ابراهيم، مصدر سابق .

٧. صحفيون الجزائريون ومصادر المعلومات الالكترونية ،رسالة ماجستير، جامعة منتوري، قسنطينة ،كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، ٢٠٠٩،ص١٢،متاح على الرابط :ASAM3066"theses"bu.umc.edu.dz

٨. مجمع اللغة العربية، قاموس الوسيط ،ط٤ ،القاهرة، ٢٠٠٤ ،ص١٠٢٨.

٩. احمد، نهلة محمد ،الأمن الثقافي: مفهومه ودواعيه وعوامل تحقيقه ، شؤون عربية، العدد/ ١٦٣،خريف ٢٠١٥، ص١٣٤-١٣٥ ، متاح على الرابط الالكتروني :www.arabaf-fairsonline.org

١٠ . بسيوني، صلاح الدين، القيم في الإسلام بين الذاتية والموضوعية، القاهرة، دار الثقافة للنشر، ١٩٩٠،ص٨-٩ .

١١ . عاطف غيث ، قاموس علم الاجتماع، الإسكندرية، دار المعرفة الجامعية، ١٩٩٥،ص٥٠٥ .

١٢ .خليل، خليل أحمد، معجم المصطلحات الاجتماعية، بيروت دار الفكر اللبناني، ١٩٩٤،ص٣٣٤ ..

13. Noah, Webster's New Twentieth Century Dictionary of the English Language New York. Collins world Publishing Co. Inc. N.D.P. 432.

١٤ . بدوي، احمد زكي (د)، معجم مصطلحات العلوم الاجتماعية، الإسكندرية ، دار المعارف الجامعية،١٩٨٢.

15. Torrington Derek, Effective Management, People organization, New York, Prentice Hall book, 1989, p. 90.

16. Roosen, Johut, Factors affecting crisis Management, International oil spill conference, 1997, p. 45.

١٧ . عبد الخالق، شادية أحمد ،مستويات أزمة اكتشاف إعاقة الأبناء وعلاقتها بالضغوط الوالدية، المؤتمر السنوي الرابع لإدارة الأزمات والكوارث، كلية التجارة، جامعة عين شمس، ١٩٩٩، ص١٥ .

١٨ . عبد الخالق ،جلال الدين، الملامح المعاصرة للموقف النظري في طريقة العمل مع الحالات الفردية ، الإسكندرية ، دار المعرفة الجامعية ، ١٩٩٩ ، ص١٧ .

١٩ . محي، احمد إسماعيل، الإدارة التعليمية والإدارة المدرسية، القاهرة، دار الفكر العربي، ١٩٨٨، ص٣٤.

٢٠ .احمد، احمد إبراهيم، إدارة الأزمة التعليمية منظور عالمي ،الإسكندرية ،المكتب العلمي للكمبيوتر والنشر والتوزيع ، ٢٠٠٠ ، ص١٦.

٢١ . حجازي، احمد مجدي، أزمة القيم ، مرجع سابق ، ص ص٥٤- ٥٥.

٢٢ . المرجع السابق، ص٥٥ .

٢٣. شقرون، حمد ، أزمة علم الاجتماع أم أزمة مجتمع بحث منشور في مجلد نحو علم اجتماع عربي ،علم الاجتماع والمشكلات العربية الراهنة، سلسلة كتب المستقبل العربي [٧]، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، لبنان، ١٩٨٦، ص٧٠ .

٢٤. الكحكي، عزة مصطفى ،القنوات الفضائية الأجنبية وانعكاساتها على الهوية وأزمة القيم لدى عينة من الشباب العربي في مرحلة المراهقة، المؤتمر العلمي السنوي العاشر، جـ١ ، كلية الإعلام ، جامعة القاهرة ،٢٠٠٤ .

25.Sadi plant, on the mobile- the effects of mobile phone on social and individual life 2002 http://www. Socio.ch/mobile/index-mobile htm

٢٦. النفيعي ، مزيد بن مزيد ، مقاهي الإنترنت والانحراف إلى الجريمة بين مرتاديها ، دراسة ميدانية على مقاهي الإنترنت، رسالة ماجستير،السعودية،٢٠٠٢./ / :http www.minshawi.com /other /thbaity-pdf

٢٧.المنشاوي، محمد عبد الله، جرائم الإنترنت في المجتمع السعودي، رسالة ماجستير، كلية الدراسات العليا، قسم العلوم الشرطية، مكة المكرمة، السعودية، ٢٠٠٣،متاح على الرابط الالكتروني :

http://www.minshawi-com/other/thbaity.pdf.

٢٨. النقري، معن (د) ،المعلوماتية والمجتمع : مجتمع ما بعد الصناعة ومجتمع المعلومات، مصدر سابق،صص٢١٢٢ .

٢٩. أحمد، حافظ فرج ، مواصفات نظام تربوي مستقبلي يتفق ومستحدثات عصر العولمة ،بحث مقدم إلى المؤتمر العلمي السنوي الأول حول(مستقبل التعليم في مصر بين الجهود الحكومية والخاصة)،المجلد (الأول)، كلية البنات، جامعة عين شمس، ٢٠٠٢، ص١٥٥ .

٣٠. النقري ، معن (د) ، مصدر سابق ، ص٢٢-٢٣ .

٣١. المصدر نفسه ، ص٢٤ .

٣٢. المصدر نفسه، ص٢٤-٢٥ .

٣٣. مكروم، عبد الودود ،الأصول التربوية لبناء الشخصية المسلمة ،القاهرة ، دار الفكر العربي، ١٩٩٦، ص٢٣٣ .

٣٤. النقري، معن (د) ،مصدر سابق،ص٢٥-٢٦ .

٣٥. احمد، عبد الله حامد ،فرضية الحتمية اللغوية واللغة العربية، عالم الفكر، العدد الثالث، يناير/ مارس، ٢٠٠٠ ، ص١٢.

٣٦. عبد الله، عبد الخالق، التبعية والتبعية الثقافية : مناقشة نظرية، مجلة المستقبل العربي، العدد/ ٨٣ ، بيروت، ١٩٨٦، ص١٦ .

٣٧. النجيري، محمود محمود ، الامن الثقافي العربي : التحديات وآفاق المستقبل، المركز العربي للدراسات الامنية والتدريب ، الرياض ، ١٩٩١، ص١٧١ .

٣٨. امين، جلال احمد، العولمة والهوية الثقافية والمجتمع التكنولوجي الحديث، مجلة المستقبل العربي، العدد/ ٢٣٤ ،مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت، ١٩٩٨ ، ص٦٤ .

٣٩. عايش، محمد إبراهيم، وآخرون، أنماط المشاهدة لبرامج الأطفال في محطات التلفزة المحلية العربية ، مجلة شؤون اجتماعية، العدد / ٧٦ ،السنة١٩ ، ٢٠٠٢ ، ص٦٨.

٤٠. منصور، درة شلبي، وسائل الإعلام والاتصال والتنشئة الاجتماعية، مجلة الإذاعات العربية (تونس) ، العدد ٠١ ، اتحاد الإذاعات العربية ، ٢٠٠٦ ، ص٥٣ .

٤١. خليل ، معن، التنشئة الاجتماعية ، عمان ، دار الشروق، ٢٠٠٤ ، ص١٧ .

٤٢. دور الإعلام في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي، مقال منشور في ٢٠١٢/ ٢٢/ ٣ ،على الرابط الالكتروني: http: / / uqu.edu.sa/control/add_menu/ar/4 300368

٤٣. ادوار المؤسسات التربوية غير النظامية في تحقيق متطلبات الأمن الثقافي، مقال منشور على الرابط الالكتروني :www.roumalqora.edu

٤٤. الطبيب، مولود زايد، مصادر التنشئة السياسية ودورها في تنمية التفكير الأيديولوجي لدى الأفراد ، ليبيا، ٢٠٠٣ ،ص٣٤ .

٤٥. التركماني ، عبدالله ، أدوات التنشئة السياسية ، مقال منشور في الرابط الالكتروني بتاريخ: ٢٤/ ٣/ ٢٠١٢ ،

www.alhewar.org/debat/show.art

... Edition word ...

Definitely the world tends to be a global village, tiny, due to the technology and fast communication, due the facilities of information and thoughts transmission and due to the so called, global culture. Thus the fears of nations grow momentum to cuddle different and various cultures impertinent to theirs, such triggers the concept of the « cultural security « to be a bulwark against the unsought cultures and to be a procedure to shield the sovereignty of the countries: it is the security political, economic, national and food and it is of necessity to disseminate such a concept to monitor and treat the information between people. It seems that thee is a difference between the so called , Cultural Security , as the concept of security designates always the sense of secretiveness ,privacy , introversion , but in reality it calls for promulgation and extroversion and desires to protect the cultural information and to rectify its dissemination orbit : it is the core of the pollination between these two words . More to the point, no culture without security to keep the culture of the nations intact and unblurred in regards to the freedom of opinion. Yet the cultural security never stipulates averting the cultural communication and human interaction, it exerts itself to find a ground for each culture without distortion and pave the way to pluralism and coexistence. In broad terms , for the importance of the « cultural security» , the necessity to enlighten the nations of how to grip their identity and culture precious , facilitation of the thought pollination and vision communication the International Al-Ameed Centre for Research and Studies hold its fourth conference , Cultural Security : Concepts and Applications as there are many a research study , Arabic and English, tackling the cultural security from different vantage points : procedure and remedies to confront the grotesque distorted cultures . The department of distribution in the centre takes the brunt of publishing these articles in a «conference proceedings. Such conferences are essential to show the demerit of the cultural invasion certain nations suffer from and endeavor to cast solidarity in the fabric of its communities. There is a great importance in the gatherings as specific procedures are discussed to confront dangers; wars in modernity are not as traditional as usual, it is a war of a cultural security infiltration and a way to dominate nations and their future horizon.

Proceedings of Fourth International Academic Al-Ameed Conference

Under the slogan

Under the Shade of Al-Ameed

We Do Meet to Augment

Cultural Security Concepts and Applicaions

held as of 14 to 15 -09- 2017

The First Part

Secretariat General of Al-`Abass Holy Shrine

Al-Ameed International Centre for Research and Studies

Publisher : Al-Ameed International Centre for Research and Studies

Publishing Department

Supervision : Prof.Dr. Shawky Mostafa Al Mousawi

Coordination and Execution : Radwan Abdel Hadi Al - Salami

Technical Administration : Hussein Fadel El Helou/Thaeir F. H. Ridha

Zain Alabdeen Aadil Alwakeel

Design : Hussein Aqeel Abu Ghraib

Copy Number : 250

Consignment Number :2158

Holy Al-`Abbas Shrine Postal Code : 56001

Post Office Box : 232

Tel: +964 760 235 5555 **Mobile:** +964 7602323337

http: //alameed.alkafeel.net

Email: alameed@alkafeel.net

Secretariat general of Al Abbas Holy shrine. Al ameed Inernational Center for Research and Studies, author

Events Al-Ameed Fourth Global Academic Conference. First Volume.- First Edition.- karbala [Iraq] : The holy Abbasid threshold, Al ameed Inernational Center for Research and Studies, Department of Publishing 2019.

2 volume ; 24 cm

Includes bibliographical references : pages 279-290.

The Arabic text includes abstracts in Arabic and English.

1. Civilization, Arab--Western influences 2. Karblal (Iraq)--Intellectual life. 3. Civilization, Arab. A. Title

LCC : DS36.82.A2 A8396 2018